رسائل شوق وحنين
(٥)

رسائل إلى .. الصحابة المنتجبين

سبع رسائل في فضل الصحابة المنتجبين والقيم التي مثلوها

د. نور الدين أبو لحية

دار الأنوار للنشر والتوزيع

هذا الكتاب

هذا الكتاب محاولة لتعميق المحبة الحقيقية لأصحاب رسول الله ﷺ الذين وردت النصوص المقدسة بالثناء عليهم واعتبارهم نماذج شريفة للصحبة الحقيقية التي لم تبدل ولم تغير ولم تتأثر بذلك الواقع الجديد الذي حصل بعد رسول الله ﷺ نتيجة ما فتح الله على المسلمين من الدنيا.

وقد كان الأساس الأول لاختيارنا لهؤلاء الأصحاب ما ورد من الثناء عليهم، والذي اتفقت عليه جميع مدارس المسلمين، وخصوصا المدرستين الكبيرتين: السنة والشيعة، باعتبارهما الركنين الكبيرين للإسلام.

ولذلك استبعدنا كل من وقع فيه الخلاف بينهم، من أمثال أولئك الصحابة المختلقين الذين وضعهم سيف بن عمر، أو من أمثال أولئك الذين وضعت لهم الفئة الباغية الكثير من المناقب قصد الإضرار بالمخالفين لها، أو أولئك الصحابة الذي وقفوا أيام الفتنة مع الفئة الباغية مناصرين أو مؤيدين أو مقاتلين معها، وذلك بناء على اعتبار ذلك ثلمة كبيرة في وفائهم بعهودهم.

رسائل شوق وحنين

(5)

رسائل إلى..

الصحابة المنتجبين

سبع رسائل في فضل الصحابة المنتجبين والقيم التي مثلوها

د. نور الدين أبو لحية

www.aboulahia.com

الطبعة الأولى

2019 . 1440

دار الأنوار للنشر والتوزيع

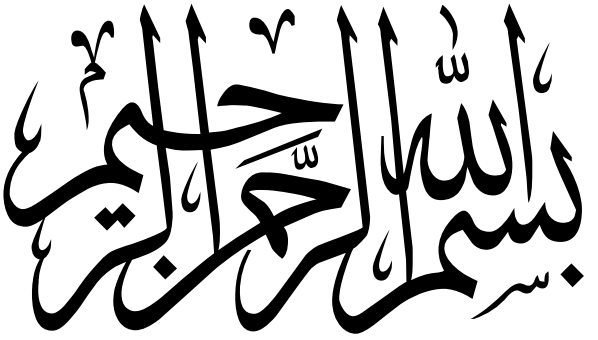

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات 7
المقدمة 9
رسالة إلى الأصحاب النصحاء 13
رسالة إلى الأصحاب الشهداء 35
1. شهداء المقاومة: 39
أ ـ شهداء بدر: 40
ب ـ شهداء أحد: 45
ج. شهداء آخرون: 56
2. شهداء الدعوة: 63
رسالة إلى الأصحاب الأوفياء 69
1. المقداد بن الأسود: 74
2. بلال بن رباح: 81
3. خباب بن الأرت: 90
4. حجر بن عدي: 93
رسالة إلى الأصحاب الحكماء 102
1. حذيفة بن اليمان: 103
2. عبد الله بن مسعود: 121
3. عبد الله بن عباس: 135
رسالة إلى أبي ذر الغفاري 152
1. معرفة الحق: 154
2. العمل بالحق: 176
3. نصرة الحق: 179
4. موتة الحق: 185
رسالة إلى عمار بن ياسر 193
1. المواجهة التنزيلية: 198
2. المواجهة التأويلية: 206
رسالة إلى سلمان الفارسي 222
1. الباحث عن الحقيقة: 226
2. الدال على الحقيقة: 233

المقدمة

هـذا الكتـاب محاولـة لتعميـق المحبـة الحقيقيـة لأصـحاب رسول اللـه ﷺ الـذين وردت النصـوص المقدسـة بالثنـاء عليهم واعتبارهم نماذج شـريفة للصـحبة الحقيقيـة الـتي لم تبـدل ولم تغير ولم تتأثر بذلك الواقع الجديد الذي حصل بعـد رسـول اللـه ﷺ نتيجة ما فتح الله على المسلمين من الدنيا.

وقد كان الأساس الأول لاختيارنا لهـؤلاء الأصـحاب مـا ورد من الثناء عليهم، والذي اتفقت عليه جميع مـدارس المسـلمين، وخصوصـا المدرسـتين الكبـيرتين: السـنة والشـيعة، باعتبارهمـا الركنين الكبيرين للإسلام.

ولذلك استبعدنا كل من وقع فيـه الخلاف بينهم، من أمثـال أولئك الصحابة المختلقين الذين وضعهم سـيف بن عمـر، أو من أمثال أولئك الذين وضعت لهم الفئة الباغية الكثير من المنـاقب قصد الإضرار بالمخالفين لها، أو أولئك الصحابة الذي وقفوا أيام الفتنة مع الفئة الباغيـة مناصـرين أو مؤيـدين أو مقـاتلين معهـا، وذلك بناء على اعتبـار ذلـك ثلمـة كبـيرة في وفـائهم بعهـودهم، خاصة مع ما ورد من قول الإمام علي: (والذي فلق الحبـة وبـرأ النسـمة إنـه لعهـد النـبي الأمي ﷺ: (ألا يحبـني إلا مـؤمن ولا يبغضني إلا منافق) [1]

وقـال رسـول اللـه ﷺ لابنتـه فاطمـة: (إن اللـه بـاهى بكم وغفـر لكم عامـة، ولعلى خاصـة، وإنى رسـول اللـه إليكم غـير محاب لقرابتي، هذا جبريل يخبرني أن السعيد حـق السـعيد من أحب عليـا في حياتـه وبعـد موتـه وإن الشـقي كـل الشـقي من أبغض عليا في حياته وبعد موته)[2]

وقد أقر له بهـذا كـل الصـحابة حـتى الـذين وقفـوا موقفـا سلبيا أيام الفتنة إما بعدم نصرته، أو الوقـوف مـع أعدائـه، وقـد حدث ابن عمر قال: (ما كنا نعرف المنافقين على عهد النبي ﷺ

---

1 () رواه مسلم (78)، والترمذي (5/ 306) وقال: حسن صحيح، وابن ماجه (114) والنسائي (8/ 117) وفي خصائص علي (100 - 102)، وعبد الله بن أحمد في زياداته على الفضائل (1102) وأبو نعيم في الحلية (4/ 185)

2 () رواه الطبرانى (22/415، رقم 1026)

إلا ببغضهم علياً).. وحدث جابر قال: (ما كنا نعرف منافقينا معشر الأنصار إلا ببغضهم لعلي). وحدث أبو سعيد الخدري قال: (إنما كنا نعرف منافقي الأنصار ببغضهم عليا).. وحدث أبو عثمان النهدي، قال: قال رجل لسلمان: ما أشد حبك لعلي؟ قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: (من أحب علياً فقد أحبني، ومن أحبني فقد أحب الله عز وجل، ومن أبغض علياً فقد أبغضني، ومن أبغضني فقد أبغض الله عز وجل)[1]

ولذلك فإن هذا الاعتبار الذي وضعناه معيار شرعي، خاصة مع تلك الأحاديث الكثيرة التي تعتبر الإمام علي فاصلا بين الإيمان والكفر، أو علامة على صدق الاتباع وكذبه، ولا حرج في ذلك، فالله تعالى يختبر عباده بما شاء، ومن شاء، ولا يصح أن يجادل في ذلك الاختيار، خاصة مع ورود النصوص الكثيرة الدالة على ابتلاء الأمة بأهل بيت نبيها ﷺ.

لكنا مع ذلك لم نتحدث عن أولئك الذين تخلفوا عن الوفاء بهذا الشرط بأي حديث يسيء إليهم، فأمرهم لله تعالى، وإنما كان جل اهتمامنا بالذين أحسنوا الوفاء بشروط الصحبة، وداوموا على الحفاظ على عهودها، وهم كثيرون جدا.

وأولهم أولئك الذين مضوا شهداء في سبيل الإسلام، سواء قبل الهجرة أو بعدها، وقد خصصنا لهم فصلا خاص.

ومنهم أولئك الذين أبعدوا ولم يهتم بهم بعد وفاة رسول الله ﷺ، وعزلوا عن المناصب التي تولاها الطلقاء، ثم عزلوا بعد ذلك عن ذكرهم والحديث عنهم، وخاصة من أولئك الذين يدعون حب الصحابة، بينما هم لا يقصدون منهم إلا الطلقاء أو من شابههم، ويدخل فيهم الكثير من الأنصار وأصحاب الحرة وغيرها، والذين ذكر رسول الله ﷺ مظلوميتهم بعده.

ومنهم أولئك الأوفياء بالعهود الذين مثلوا الصحبة أحسن تمثيل، وكانت لهم آثارهم في مواجهة التحريفات التي طرأت على الدين.

ومنهم أولئك الحكماء الذين حذروا من الفتن، ودعوا إلى العودة إلى الإسلام المحمدي الأصيل، وقد اهتممنا بهؤلاء خصوصا، فقد وضعنا فصلا خاص بهم، ثم أضفنا ثلاثة فصول أخرى تابعة لهم، تتمثل في ثلاثة من كبار الصحابة ورد الثناء

---

1 () انظر هذه الآثار في: المستدرك (3/ 130) الطبراني في المعجم الكبير (23/ 380/901) وغيرها.

الخاص عليهم، وهم أبو ذر الغفاري، وسلمان الفارسي، وعمار بن ياسر.

وقد حرصنا على التركيز على القيم المرتبطة بالدين، وتمثيل هؤلاء الصحابة لها، لأن القصد من الدعوة لمحبة الصحابة هو اعتبارهم تلاميذ ناجحين لرسول الله ﷺ، ولقيم الدين، ولذلك يرتبط ذكرهم بذكر القيم والأخلاق، لا بمجرد ذلك الحديث الأجوف المسيء لرسول الله ﷺ وللصحابة أنفسهم، والذي يذكر أن الارتباط بالصحابة ارتباط بذواتهم لا بالقيم الأخلاقية والروحانية التي مثلوها.

وقد كان رائدنا في هذا، وقدوتنا فيه الإمام علي الذي أثنى على الصحابة، لا بذواتهم، وإنما بسلوكهم وأخلاقهم، فقد قال: (قد رأيت أصحاب محمدٍ ﷺ، فما أرى أحداً يشبههم منكم لقد كانوا يصبحون شعثاً غبراً، وقد باتوا سجّداً وقياماً يراوحون بين جباهِهِم وخدودهم ويقفون على مثل الجمر من ذكر معادهم، كأن بين أعينهم رُكب المعزي من طول سجودهم، إذا ذكر الله هملت أعينهم حتى تبُلَّ جيوبهم، ومادوا كما يميد الشجر يوم الريح العاصف، خوفاً من العقاب ورجاءً للثواب)[1]

ولذلك لا نؤمن بتلك المقولات التي نشرتها الفئة الباغية، والتي تنظر إلى الصحبة نظرة أسطورية بعيدة عن المعاني والقيم حتى أنها تدعو إلى محبة أولئك الذين اخترقوا حدود الدين ووقعوا في الكبائر وقتلوا المستضعفين، مع أن النصوص المقدسة تدعو إلى بغض أمثال هؤلاء، واعتبار ذلك البغض قربة لله.

وقد صغنا هذه المعاني جميعا صياغة أدبية على شكل رسائل موجهة لهؤلاء، لأن القصد من هذه السلسلة ربط حقائق الدين وقيمه بالروح والعاطفة، وليس بالعقل فقط.

1() نهج البلاغة للشريف الرضى شرح محمد عبده ص 225 ...

رسالة إلى الأصحاب النصحاء

سادتي يا أصحاب رسول الله ﷺ النصحاء الخالصين الـذين امتلأوا بالصـدق والإخلاص والتقـوى وكـل القيم الرفيعـة.. ولم يستفيدوا من تلك الصحبة الشريفة سواها، فهي أكبر نعمة أنعم الله بها عليهم.. ولذلك لم يكن لهم بعدها غـرض في الـدنيا، ولا متاعها، وإنما كان غرضهم الدين وقيمه.

يا من يا من ضحيتم بكل ما تملكون في سبيل الله.. يا من قـال اللـه تعـالى فيهم: ﴿وَالسَّـابِقُونَ الْأَوَّلُـونَ مِنَ الْمُهَـاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِـيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُـوا عَنْـهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِـكَ الْفَـوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: 100]

اسمحوا لي أيها الأجلاء المنتجبـون أن أبث إليكم شـكواي، وأضـع بين أيـديكم آلامي، فـأنتم لا تختلفـون أبـدا عن أهـل بيت النبــوة، ولا بــني هاشــم، ولا غــيرهم.. فــديننا دين قيم، لا دين أنساب.. ودين الله لا دين عشائر.. وقد قال رسول اللــه ﷺ في سلمان الفارسي: (سلمان منا أهل البيت)[1]

لقــد اســتبدلتكم الأمــة بالطلقــاء والمتخلفين والناقضــين للعهود، والذين أصـبح لهم الريـادة والسـيادة، وأدخلـوا في كتب العقائـد والفقـه والحـديث، وأبيحت دمـاء كـل من ينتقـدهم، أو يعرض أعمالهم على الكتاب والسنة وقيم الدين الرفيعة، ولذلك نفقت بضــاعة الطلقــاء وراجت، وصــار الكتــاب والخطبــاء يتنافسون في الكتابة عنهم والإشادة بفضـلهم في نفس الـوقت الذي ينسـونكم فيـه، وينسـون بلالا والصـخرة الـتي كـانت تجثم على صدره، وهو ينادي أحد أحد..

فالكـل الآن يعـرف معاويـة وأبـاه وأمـه وإخوانـه وأخواتـه ويشيد بهم جميعا، وبالمناصب الرفيعـة الـتي تولوهـا.. أمـا بلال ذلك العبد المسكين، فلا أحد يعرف المصير الذي صـار إليـه، ولا الحياة التي عاشها بعد وفاة حبيبه رسول الله ﷺ، مـع أنـه كـان خازن رسول الله ﷺ والأمين على مال الأمة في حياته.

1() المستدرك على الصحيحين للحاكم 3/691 ح(6539)، المعجم الكبير للطـبراني 6/212 ح6040)

وهكـذا أسـدلت حجب النسـيان والغفلـة على سـمية تلـك التي كانت أول شهيدة في الإسلام.. فلا أحد يذكر زوجهـا ياسـر الذي كان أول الرجال استشهادا في سبيل الله.. ولا أحـد يـذكر ابنهما عمارا.. لأن ذكره سيشوه الطلقـاء، وسـيقلب صـفحاتهم المنتنة، وسيبعث في جماهير المغفلين السؤال عمن قتلـه، ولم قتله، وكيف قتله؟ وكل ذلك سيحول الطلقـاء من صـحابة أجلاء إلى ظلمة وطواغيت.

وهكـذا نسـيت لبينـة جاريـة بـني المؤمـل المستضـعفة المعذبة[1]، وقد كانت من السابقين إلى الإسلام، وأوذيت إيـذاء شديدا.. لأن في ذكرهم لها ولكيفيـة تعـذيبها إحراجـا كبـيرا لمن قدمناهم بأهوائنا وأذواقنا ومعاييرنا البشرية القاصرة.

وهكذا نسيت أم عبيس، أمة بني زهرة[2]، تلك التي كـانت قريش ـ التي أدخلنا تعظيمها في أبـواب العقائـد، وتوهمنـا أنهـا بريئة من النفاق ـ تعذبها عذابا شديدا هي وزوجهـا أبـو عـبيس.. ولا زلنا إلى الآن نجهل نسبهما كما نجهل كل ما يرتبط بهما.

وهكذا نسيت النهدية تلك الجارية اليمنية المستضعفة التي كانت من السابقين إلى الإسلام، فكانت سيدتها تعذبها، وتقـول: واللـه لا أقلعت عنك[3].. وهكـذا كـان حـال ابنتهـا الـتي عـذبت معها، ولا نزال إلى الآن لا نعرف اسـمها ولا اسـم ابنتهـا، ولا أي تفاصيل عنها في نفس الوقت الذي نعرف فيه أنساب الطلقاء، ونعتز بها، وندخلها في كل دواوين الإسلام.

وهكذا نسيت زنيرة[4] تلك الجارية المستضعفة التي كانت يتداول المشركون على تعـذيبها بكـل صـنوف العـذاب الحسـي والمعنوي، حتى أن أحدهم كان يقول سـاخرا منهـا: ألا تعجبـون لهؤلاء واتبـاعهم محمـدا؟ فلـو كـان أمـر محمـد خـيراً وحقـاً مـا سبقونا إليه؟ أفسبقتنا زنيرة إلى رشد، وهي من تـرون؟.. تلـك التي عذبت إلى أن عميت، فقال لها أبو جهل: إن اللات والعزى فعلتـا بـك مـا تـرين، فقـالت، وهي لا تبصـره: ومـا تـدري اللات

1() أنساب الأشراف: 1/84.

2() المرجع السابق، 1/84.

3() المرجع السابق، 1/84.

4() المرجع السابق، 1/84.

والعــزى، من يعبــدهما ممن لا يعبــدهما؟ ولكن هــذا أمــر من السـماء، وربي قـادر على أن يـرد بصـري، فأصـبحت من تلـك الليلة وقد رد الله عليها بصرها، فقـالت قـريش: هـذا من سـحر محمد.

وهكـذا نُسـي كـل أولئـك السـابقين الصـادقين، واسـتبدلوا بالطلقاء والمتخلفين.. وراح سدنة الملـك العضـوض، ومـروجي دين الفئـة الباغيـة يكـذبون على النـاس حين يوهمـونهم بصـدق إيمـانهم بعـد أن رأوا جيـوش المسـلمين قادمـة لفتح مكـة، في نفس الوقت الذي لم يؤمنوا فيه، وهم يـرون القمـر ينشـق في السماء، ويسمعون تلك الآيات العجيبة من القرآن الكريم.

في نفس الوقت الذي يعتبرون فيـه عبـد اللـه بن أبي لجـأ إلى النفاق حتى يحمي مكانته بين قومه، ويكـذبون على النـاس حين يذكرون لهم أن النفاق خاص بأهـل المدينـة، ولا علاقـة لـه بقريش.. وكأنهم لم يقرؤوا قوله تعـالى عنهـا في أوائـل سـورة يس التي هي قلب القـرآن:﴿يس (1) وَالْقُـرْآنِ الْحَكِيمِ (2) إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَـلِينَ (3) عَلَى صِـرَاطٍ مُسْـتَقِيمٍ (4) تَنْزِيـلَ الْعَزِيـزِ الرَّحِيمِ (5) لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أُنْذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ (6) لَقَدْ حَقَّ الْقَـوْلُ عَلَى أَكْثَـرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُـونَ (7) إِنَّا جَعَلْنَـا فِي أَعْنَـاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَـانِ فَهُمْ مُقْمَحُـونَ (8) وَجَعَلْنَـا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَـدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَـدًّا فَأَغْشَـيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِـرُونَ (9) وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (10) إِنَّمَـا تُنْـذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِـيَ الـرَّحْمَنَ بِـالْغَيْبِ فَبَشِّـرْهُ بِمَغْفِـرَةٍ وَأَجْـرٍ كَرِيمٍ﴾ [يس: 1 - 11]

مع أنهم يذكرون في سبب نزولها عن ابن عباس أنه قـال: (كان النبي ﷺ يقرأ في المسجد فيجهر بالقراءة حـتى تـأذى بـه ناس من قريش حتى قاموا ليأخذوه، وإذا أيـديهم مجموعـة إلى أعنـاقهم، وإذا هم لا يبصـرون، فجـاءوا إلى النـبي ﷺ فقـالوا: (ننشدك الله والرحم يا محمد ولم يكن بطن من بطون قـريش إلا وللنبي ﷺ فيهم قرابة فدعا النبي ﷺ حـتى ذهب ذلـك عنهم) [1]

وهكـذا نسـيت كـل هـذه الآيـات، ونسـيت معهـا كـل تلـك

---

[1] () رواه ابن مردويه وأبو نعيم في الدلائل، انظر: الدر المنثور في التفسير بالمـأثور (7/ 42).

الحروب التي شُنت على المسلمين، ونُسي كل ذلك التعذيب الذي مورس على المستضعفين، وأصبح أبو سفيان وهند وأولادهم من خيار الصحابة، بل صارت الكتب تؤلف فيهم وفي فضلهم في نفس الوقت الذي يجهل الناس بلالا وعمارا وسمية وزنيرة.. وكل أولئك الذين لا يصح أن يطلق اسم الصحابة إلا عليهم.

ويستدل أصحاب الملك العضوض، وسدنة الفئة الباغية على ذلك الإلغاء والطرد للسابقين الأولين في نفس الوقت الذي يقربون فيه البغاة والطلقاء بأن الخلفاء الأوائل وظفوا أبناء أبي سفيان في وظائف الدولة الكبرى بعد وفاة رسول الله ﷺ..

ويا ليت شعري ما هذا الاستدلال الغريب، وهل كان الخلفاء الأوائل معصومون في ذلك التوظيف.. ألم يكن رسول الله ﷺ نفسه ينكر على أصحابه إنكارهم لتولي أسامه وأبيه، فقد ورد في الحديث أنه حين أراد النبي ﷺ أن يبعث بعثًا، وأمّر عليهم أسامة بن زيد، طعنوا في إمرته، فقام ﷺ، فقال: «إن تطعنوا في إمرته، فقد كنتم طعنتم في إمرة أبيه من قبله.. وأيم الله إن كان لخليقًا للإمارة، وإن كان لمن أحب الناس إلي، وإن هذا لمن أحب الناس إلي بعده»[1]

لكنا لو تركنا ذلك التقديس المبالغ فيه، ورحنا ننظر في أولى الناس بتلك المناصب الرفيعة، التي لم تكن مناصب سياسية فقط، بل كانت مناصب تمثل الإسلام، وقيم الإسلام، فسنجد أن هناك تقصيرا كبيرا حصل للسابقين الصادقين من المهاجرين والأنصار في نفس الوقت الذي ولي فيه الطلقاء، لسبب بسيط، وهو كونهم من قريش، وكانوا من ساداتها، مع أن رسول الله ﷺ كان يردد على آذانهم كل حين: «اسمعوا وأطيعوا، وإن استعمل عليكم عبد حبشي، كأن رأسه زبيبة»[2]

أليس من العجيب سادتي أن يتولى أبناء أبي سفيان الذين كان لهم ولأبيهم سهم في المؤلفة قلوبهم أرفع المناصب في نفس الوقت الذين يعزل فيه كل أولئك الذين قدموا كل شيء

1() رواه البخاري (6627) ، ومسلم (2426) ، والترمذي (3816) ، والنسائي في الكبرى (8181)

2() صحيح البخاري 9/62 ح(7142).

في سبيل الله.. يعزلون هم وأولادهم، حتى لا نكاد نسـمع عنهم شيئا.

فيزيد بن أبي سفيان الذي يسمونه يزيد الخير، والذي كان من الطلقاء، وألف النـبي ﷺ قلبـه للإيمـان بمائـة بعـير وأربعين أوقيّة [1]، صار قائدا على أول الجيوش التي أرسلت إلى الشام لفتحها ومساعدة الجيوش الإسلامية الأخرى عند الضـرورة، مـع أنه كان من المنهزمين يـوم حـنين، وكـان في الصـحابة من هـو أولى منه قدرة ودينا وصلاحا.

وأبو الوليد عتبة بن أبي سـفيان، صـار واليـا على الطـائف وصدقاتها، ثم ولاه معاويـة مصـر حين مـات عمـرو بن العـاص، وكـان حريصـا على المناصـب، ويخطـط لأعلاهـا، وقـد رووا أنـه اعترضه أعرابي وهو على مكة فقال: أيها الخليفة. قـال: لسـت به ولم تبعد [2].

ومعاوية بن أبي سفيان ولي في أكبر وظـائف الدولـة منـذ عهد مبكر، حيث ولي فتح قيسارية سنة خمس عشرة للهجــرة، ويذكر المؤرخون الإسلاميون بفخر كيف شـوه الفتح الإسـلامي، حيث أنهم يذكرون أنه (سار إلى قيسارية بجنوده الذين أعــدهم له أخوه يزيد بن أبي سفيان ـ أحـد ولاة الشـام لعمـر ــ وكـانت تلك المدينة محصنة وبأس أهلها شديد، فحاصرها معاوية طـويلاً وزاحف أهلهـا مـرات عديـدة، فلم ييـأس معاويـة، فصـمم على فتحها، واجتهد في القتال حتى فتح الله على يديـه، وكـان فتحـه كبيراً فقد قتل من أهلها ما يقرب من مائـة ألـف، وبعث بـالفتح والأخمـاس على أمـير المؤمـنين عمـر، وقـد أثبت معاويـة بعـد توفيق الله ـ بهذا الفتح جدارته وحسن قيادته، فأكسبه ذلك ثقـة الجميع، فأسند له أخوه يزيد ـ أمير دمشق ـ مهمة فتح سـواحل الشام، وقد أبلى في ذلك بلاءً حسناً)[3]

وهم يذكرون بفخر كذلك أنـه عنـدما تـوفي أخـوه يزيـد بن أبي سفيان في طاعون عمـواس، جلس بدلـه في حكم دمشـق وبعلبك والبلقاء[4]، ويذكرون أنه كان لـذلك أثـر كبـير في نفس

1() التبيين في أنساب القرشيين ص 204 .

2() المرجع السابق، ص 208 .

3() نهاية معاوية بن أبي سفيان، الصلابي، ص45.

4() الطبقات الكبرى (7/406)

أبي سفيان، وجعل إسلامه يرسخ أكثر، فما أجمل الإسلام الـذي يأتي بالمناصب والأموال..

وقد رووا أن عمر حين عزى أبا سفيان في وفاة ابنه يزيـد قال: يا أمـير المؤمـنين من وليت مكانـه؟ قـال: أخـوه معاويـة. قال: (وصلت رحماً يا أمير المؤمنين)

ويروون ـ بفخر ـ أن أبا سـفيان كتب حينهـا لمعاويـة يقـول له: (يا بـني إن هـؤلاء الرهـط من المهـاجرين سـبقونا وتأخرنـا، فرفعهم سبقهم وقدمهم عند اللـه وعنـد رسـوله ﷺ وقصـر بنـا تأخيرنا، فصاروا قادة وسادة، وصرنا أتباعاً، وقـد ولـوك جسـيماً من أمورهم فلا تخـالفهم، فإنـك تجـري إلى أمـد فنـافس، فـإن بلغته أورثته عقبك)[1]

وهكذا كتبت هند تقول لابنها: (والله يا بني إنـه قـل أن تلـد مثلـك وإن هـذا الرجـل قـد استنهضـك في هـذا الأمـر، فاعمـل بطاعته فيما أحببت وكرهت)[2]

بل إنهم صاروا يعتبرون هندا ـ تلـك الصـحابية الجليلـة كمـا يطلقون عليها ـ مثالا للهمة العالية، وقد قال بعضـهم في كتـاب حول الهمم العالية: (ومن شرف النفس وعلـو الهمـة مـا قالتـه هند بنت عتبة زوجة أبي سـفيان وأم معاويـة رضـي اللـه تعـالى عنهم أجمعين، حين أتاهـا نعي يزيـد بن أبي سـفيان وقـال لهـا بعض المعزين: إنـا نرجـو أن يكـون في معاويـة خلـف من يزيـد يواسـونها ويعزونهـا، فقـالت: أو مثـل معاويـة يكـون خلفـاً من أحـد؟! واللـه لـو جمعت العـرب من أقطارهـا ثم رمي بـه فيهم لخرج من أي أعراضها شاء.. وقيل لها -أيضاً- ومعاوية وليـد بين يديها: إن عاش معاوية ساد قومه.. فقالت: ثكلته إن لم يسد إلا قومه! وهذه العبارة لها معان عظيمة جـداً بعيـدة المـرمى؛ لأن معنى ذلك أن وليدها بضعة لحم لا يظهر عليه أي أمر مما يقطع بأن هذا سيكون إنساناً له شأن، ولكن هذا معنـاه أنهـا تنـوي أن تربي هذا الولد وتوجهـه، حـتى إنهـا لتـأنف من أن يسـود قومـه فقط، بل غضبت حينما قالوا لها: إن عاش معاوية سـاد قومـه.. فقالت: ثكلتـه -أي: الأفضـل أن يمـوت- إن لم يسـد إلا قومـه..

1() البداية والنهاية (11/399)

2() المرجع السابق، (11/399)

ومعروف أن معاوية من أكثر العرب سيادة وسياسة وحكمة[1]

وهكذا ولي أبو هريرة الذي لم يشارك في أي غزوة، ولم يمس بأي أذى، وتأخر إسلامه إلى ما قبل الفتح في أكبر المناصب، وقد روي أنه أيام ولايته على المدينة في خلافة معاوية كان يتصرف تصرفات غريبة تلفت الانتباه إليه، وهم يحملونها على تواضعه، ولكنها قد تحمل على محامل أخرى، ومنها ما رواه محمد بن زياد قال: كان مروان ـ أيام ولايته على المدينة في خلافة معاوية ــ يستخلف أبا هريرة على المدينة فيضرب برجليه فيقول: خلوا الطريق خلوا الطريق قد جاء الأمير قد جاء الأمير ـ يعني نفسه[2].

بل إنه ولي قبل ذلك، فقد ولاه عمر على البحرين سنة 21هـ، ثم عزله بعد أن بلغته عنه أشياء تخل بأمانة الوالي، وولى مكانه عثمان بن أبي العاص الثقفي، فقد روي أنه قدم بعشرة آلاف، وهو مبلغ ضخم جدا في ذلك الحين وفي هذا الحين، فقال له عمر: استأثرت بهذه الأموال يا عدو الله وعدو كتابه؟ فقال أبو هريرة: لست بعدو الله وعدو كتابه، ولكني عدو من عاداهما، فقال له عمر: فمن أين هي لك؟ قال أبو هريرة: خيل نتجت، وغلة رقيق لي، وأعطية تتابعت علي[3].

وفي رواية أن عمر قال لأبي هريرة: (كيف وجدت الإمارة يا أبا هريرة؟ قال: بعثتني وأنا كاره، ونزعتني وقد أحببتها، وأتاه بأربعمائة ألف من البحرين، فقال: أظلمت أحدا، قال: لا، قال: أأخذت شيئا بغير حقه؟ قال: لا، قال: فما جئت به لنفسك؟ قال: عشرين ألفا، قال: من أين أصبتها؟ قال: كنت أتجر، قال: فانظر رأس مالك ورزقك فخذه واجعل الآخر في بيت المال[4].

لقد روي كل هذا بفخر واعتزاز في نفس الوقت الذي كان فيه أولئك السابقون الصادقون يعيشون كل أنواع الآلام والفقر، لا يلتفت لهم أحد.. ولا يهتم بهم أحد.. سواء في حياتهم أو بعد وفاتهم..

1() سلسلة علو الهمة - المقدم (5/ 4)

2() رواه أحمد: 2/94.

3() انظر: الطبقات الكبرى، ابن سعد، (5/ 252). تاريخ دمشق، ابن عساكر، (67/370). سير أعلام النبلاء (2/612)

4() الطبقات الكبرى، ابن سعد، (5/ 252، 253)

وقد روى المؤرخون الـذين يعتـبرونهم تلـك المعانـاة الـتي عاناها أبـو ذر، حين نفي إلى الربـذة، وهي على بعـد ثلاثـة أيـام من المدينة المنورة، لخلافـه مـع معاويـة، مـع كـون أبي ذر من الســابقين الأولين إلى الإســلام، يقــول ابن عبــد الــبر في [الاستيعاب]: (بعد أن أسلم أبو ذر، رجـع إلى بلاد قومـه، فأقـام بها حـتى مضـت بـدر، وأحـد، والخنـدق، ثم قـدم على النـبي ﷺ المدينة، فصحبه إلى أن مات ﷺ، ثم خرج بعد وفاة أبي بكر إلى الشـام، فلم يـزل بهـا حـتى ولي عثمـان، ثم اسـتقدمه عثمـان لشكوى معاوية، فنفاه وأسكنه الربذة، فمات بها..)[1]

هكذا كان حاله مع أن رسول الله ﷺ قال عنـه: (مـا أظلت الخضـراء، ولا أقلت الغـبراء من ذي لهجـة أصـدق ولا أوفى من أبي ذر، شبه عيسى ابن مريم)[2]

لكنهم يصورونه بصورة الضـعيف الـذي لا يسـتطيع الحكم، في نفس الـوقت الـذي يسـتطيع ذلـك أبـو هريـرة وأولاد أبي سفيان.

وهكـذا كـان حـال غـيره من الـذين لم يتح لهم ــ بسـبب حفاظهم على قيم الـدين ــ أن تصـير لهم أمـور الأمـة، بعـد أن صـارت للطلقـاء، والانتهـازيين الـذين يسـتعملون كـل الطـرق للوصول إلى غاياتهم.

وهكذا كـان حـال حذيفـة بن اليمـان، ذلـك التلميـذ الـذكي النجيب من تلاميذ رسول الله ﷺ، فقـد روي أن عمـر ولاه على المدائن، وكتب له عهدا قـال فيـه لأهـل المـدائن: (اسـمعوا لـه وأطيعوا وأعطوه ما سـألكم)، فخـرج على حمـار موكـف، تحتـه زاده، فلمـا قـدم المـدائن، اسـتقبله أعـاظم الـدهاقين (التجـار) وبيده رغيف، وعرق من لحم. ولما قرأ عليهم عهده، قالوا: سل ما شئت، قال: طعاما آكله، وعلف حماري هـذا - مـا دمت فيكم - من تبن. فأقام ما شاء الله، ثم كتب إليه عمـر: (أقـدم)، فلمـا بلغه قدومه، كمن له على الطريق - وكانت هـذه عادتـه - فلمـا رآه على الحال التي خرج عليها، أتـاه فالتزمـه وقـال: أنت أخي وأنا أخوك[3].

1() الاستيعاب (حاشية على كتاب الإصابة) م 1 ص 213 ..

2() الترمذي (3802).

3() سير أعلام النبلاء: 2/260.

وهكذا كان حال سلمان الفارسي الذي دخل عليه قوم - وهو أمير على المدائن - وهو يعمل الخوص، فقيل له: لم تعمل هذا وأنت أمير يجرى عليك رزق؟ فقال: (إنى أحب أن آكل من عمل يدى)، وكان يشترى خوصا بدرهم فيعمله ويبيعه بثلاثة دراهم ينفق درهما ويتصدق بدرهمين، وروي أنه تعلم عمل الخوص بالمدينة من الأنصار أيام كان بها مع النبي ﷺ وكان عطاؤه خمسة آلاف، يتصدق به، ويأكل من عمل يده[1].

وهكذا كان حال سعيد بن عامر حين كان واليا على حمص، وسأله عمر بن الخطاب، فقال له: ما لك من المال؟ قال: سلاحي وفرسي وأبغل أغزو عليها، وغلام يقوم عليَّ وخادم لامرأتي، وسهم يعد في المسلمين. فقال له عمر: ما لك غير هذا؟ قال: حسبي هذا، هذا كثير. فقال له عمر: فلمَ يحبك أصحابك؟ قال: أواسيهم بنفسي، وأعدل عليهم في حكمي. فقال له عمر: خذ هذه الألف دينار فتقوَّ بها. قال: لا حاجة لي فيها، أعط من هو أحوج إليها مني. فقال عمر: على رسلك حتى أحدثك ما قال رسول الله ﷺ، ثم إن شئت فاقبل وإن شئت فدع: إن رسول الله عرض عليَّ شيئًا فقلت مثل الذي قلت، فقال رسول الله: (من أعطي شيئًا من غير سؤال ولا استشراف نفس، فإنه رزق من الله فليقبله ولا يرده)، فقال الرجل: أسمعت هذا من رسول الله؟ قال: نعم. فقبله الرجل ثم أتى امرأته فقال: إن أمير المؤمنين أعطانا هذه الألف دينار، فإن شئت أن نعطيه من يتجر لنا به ونأكل الربح ويبقى لنا رأس مالنا، وإن شئت أن نأكل الأول فالأول. فقالت المرأة: بل أعطه من يتجر لنا به ونأكل الربح، ويبقى لنا رأس المال. قال: ففرقيه صررًا. ففعلت، فجعل كل ليلة يخرج صرة فيضعها في المساكين ذوي الحاجة، فلم يلبث الرجل إلا يسيرًا حتى توفي، فأرسل عمر يسأل عن الألف، فأخبرته امرأته بالذي كان يصنع، فالتمسوا ذلك فوجدوا الرجل قدمها لنفسه، ففرح بذلك عمر وسُرَّ وقال: يرحمه الله، إن كان الظن به كذلك[2].

وهكذا كان حال عمير بن سعد الذي كان عاملا على حمص، وبقى فيها عامًا كاملا دون أن يرسل إلى عمر بالمدينة

1() الاستيعاب: 2/572.

2() ابن منظور: مختصر تاريخ دمشق 1/1309.

أي رسالة، فأرسل إليه عمر ليأتي إليه، وجاء عمير وشاهده الناس، وهو يدخل المدينة وعليه آثار السفر، وهو يحمل على كتفيه جرابًا وقصعة (وعاء للطعام) وقربة ماء صغيرة، ويمشي في بطء شديد من التعب والجهد، ولما وصل إلى عمر بن الخطاب قال له: السلام عليك يا أمير المؤمنين، فرد عمر السلام ثم قال له: ما شأنك يا عمير؟ فقال عمير: شأني ما ترى، ألست تراني صحيح البدن، طاهر الدم، معي الدنيا؟ فقال عمر: وما معك؟ قال عمير: معي جرابي أحمل فيه زادي، وقَصْعَتي آكل فيها وأغسل فيها رأسي، وإداوتي أحمل فيها وضوئي وشرابي، وعصاي أتوكأ عليها، وأجاهد بها عدوًا إن عَرَض (ظهر)، فوالله ما الدنيا إلا تَبِعٌ لمتاعي. فقال عمر: أجئت ماشيًا؟ قال عمير: نعم. فقال عمر: أَوَلَمْ تَجِدْ من يعطيك دابة تركبها؟ قال عمير: إنهم لم يفعلوا، وإني لم أسألهم. فقال عمر: فماذا عملت فيما عهدنا إليك به؟ قال عمير: أتيت البلد الذي بعثتني إليه، فجمعت صُلَحَاء أهله، ووليتُهم جَبايَة فيئهم (جمع صدقاتهم) وأموالهم، حتى إذا جمعوها وضعتها، ولو بقى لك منها شيء لأتيتك به، فقال عمر: فما جئتنا بشيء؟ قال عمير: لا. فقال عمر: جدِّدوا لعمير عهدًا، ولكن عميرًا رفض وقال في استغناء عظيم: تلك أيام خَلَتْ، لا عَمِلتُ لك، ولا لأحد بعدك[1].

هؤلاء هم الذين كان ينبغي أن تسند إليهم جميع أمور الأمة، لكنهم عزلوا وطردوا وقتلوا.. ولم يبق لهم وجود حتى في أذهان الناس، لأن الطلقاء صاروا هم الصحابة والسابقين، ومن عداهم لا قيمة له.

***

أيها السابقون الصادقون من أصحاب رسول الله ﷺ الذين وصفهم الإمام علي، فقال: (قد رأيت أصحاب محمد ﷺ، فما أرى أحداً يشبههم منكم لقد كانوا يصبحون شعثاً غبراً، وقد باتوا سجّداً وقياماً يراوحون بين جباهِهِم وخدودهم ويقفون على مثل

1() الطبراني في الكبير من 17 ⁄ 51 (109) ومن طريقه أبو نعيم في الحلية 1 ⁄ 250، وابن عساكر في تاريخه 46⁄ 489، وابن الجوزي في المنتظم 4 / 319.

الجمر من ذكر معادهم، كأن بين أعينهم رُكب المعزي من طول سجودهم، إذا ذكر الله هملت أعينهم حتى تبُلَّ جيوبهم، ومادوا كما يميد الشجر يوم الريح العاصف، خوفاً من العقاب ورجاءً للثواب)[1]

نعم أولئك فازوا بالأموال والدنيا، لكن تبقون أنتم الصحابة الحقيقيون الذين لم يغيروا ولم يبدلوا، ولذلك لن تطردوا من الحوض في الوقت الذي يطرد فيه المتخلفون الناقضون للعهود.

ولا تخافوا من تلك التهم التي يتهمكم بها أولئك الذين يكذبون على أنفسهم، وعلى الناس حين يزعمون أنهم يعظمون الصحابة، بينما هم يمارسون معهم كل ألوان العنصرية والتزوير.

ألا ترونهم كيف يقصرون المبشرين بالجنة في أولئك العشرة، لا لشيء إلا لكونهم من قريش في نفس الوقت الذي يتركون فيه أولئك السابقين إلى الإيمان من الذين أوذوا وعذبوا، وكأن الإسلام جاء لقريش لا لغيرها من القبائل والشعوب؟

وهم لم يكتفوا بذلك، بل راحوا يعتبرون كبارهم من الذين واجهوا بني أمية منافقين.. فمن الصحابة الذين حكموا عليهم بالنفاق مع كونهم ممن شارك في غزوة بدر[2] معتب بن قشير الأنصاري: الذي هو بدري بالإجماع وهو عندهم منافق بالإجماع..

ومنهم مدلاج بن عمرو السلمي وهو بدري شهد صفين مع الإمام علي وتأخرت وفاته إلى عام 50 هـ، ورغم ذلك قال أبو حاتم عنه: (أعرابي مجهول وتواطئوا على ذكره في الضعفاء كأبي حاتم وابنه وابن الجوزي إلى عهد الذهبي فاستدركه عليهم ابن حجر في لسان الميزان في القرن التاسع!)

ومنهم ربيعة بن مسعود القارئ الذي قال فيه أبو حاتم: (أعرابي مجهول)! وذكره في الضعفاء ابن الجوزي والذهبي، وأهمله البخاري في تاريخه.. مع أنه بدري، وأسلم قبل دخول النبي ﷺ دار الأرقم، وشهد بدراً والمشاهد كلها وتوفي عام 30

1() نهج البلاغة للشريف الرضى شرح محمد عبده ص 225 ...

2() انظر بحثا في المسألة مهما جدا بعنوان [صحابة بدريون ولكنهم منافقون.... هكذا يقول السلفيون!] للشيخ حسن بن فرحان المالكي.

هـ.

ومنهم خليدة بن قيس الأنصاري، وهو بدري، لكن مع ذلك قال عنه أبو حاتم الرازي: (خليدة بن قيس بن عثمان من بني نعمان بن سنان الأنصاري شهد بدرا سمعت أبي يقول ذلك وسمعته يقول هو مجهول)[1]

ومنهم حمزة بن الجمير من بني عبيد بن عدي الأنصاري، وهو بدري ومع إقرار أبي حاتم بذلك إلا أنه قال فيه: (سمعت أبي يقول ذلك ويقول هو مجهول)، أي مجهول العدالة..

ومنهم أبو سفيان بن الحارث بن قيس، أخو نبتل، الأوسي، وهو بدري اتهموه بالنفاق..

وغيرهم كثير من الذين اتهموهم بالنفاق أو بالجهالة، وراحوا يرمونهم بعدم الوثاقة، في نفس الوقت الذي يكذبون فيه على الناس بادعاء عدالة جميع الصحابة.. لكن مقصدهم الأول في ذلك هو الفئة الباغية، ومن ساندها.

وهكذا نرى مواقفهم من الصحابة الذين شهد لهم رسول الله ﷺ بالصدق والإخلاص، ولكن بسبب كونهم من المعارضين للفئة الباغية نرى التجاهل في حقهم، بل الإعراض عنهم، واتهام كل من يذكرهم بالرفض وما يتبعه من الألقاب والأوصاف.

ومنهم أولئك الشهداء المظلومين المقتولين ظلما بعذراء من أرض دمشق، فعن أبي الأسود، قال: دخل معاوية على عائشة فقالت: ما حملك على قتل أهل عذراء حجر وأصحابه؟ فقال: يا أم المؤمنين، إني رأيت قتلهم صلاحا للأمة، وبقاءهم فسادا للأمة، فقالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (سيقتل بعذراء ناس يغضب الله لهم، وأهل السماء)[2]

وعن سعيد بن أبي هلال أن معاوية حج فدخل على عائشة فقالت: (يا معاوية قتلت حجر بن الأدبر وأصحابه؟ أما والله، لقد بلغني أنه سيقتل بعذراء سبعة نفر يغضب الله لهم وأهل السماء)[3]

ومن العجيب أنهم ـ مع قبولهم لهذا الحديث، ومع كونه يدل على غضب الله على من قتل أولئك الشهداء المظلومين ــ إلا

1() الجرح والتعديل: 3/400.

2() رواه يعقوب بن سفيان وابن عساكر.

3() رواه ابن عساكر.

أنهم لم يغضبوا لذلك، بل راحوا يدافعون عن الطلقاء، وجرائمهم في حق الصحابة وغيرهم..

ومنهم عمرو بن الحمق الذي أخبر رسول الله ﷺ أن الطلقاء سيقتلونه، فعن رفاعة بن شداد البجلي أنه خرج مع عمرو بن الحمق حين طلبه معاوية قال: فقال لي يا فارعة أن القوم قاتلي، إن رسول الله ﷺ أخبرني أن الجن والإنس تشترك في دمي، قال رفاعة: فما تم حديثه حتى رأيت أعنة الخيل فودعته وواثبته حية، فلسعته وأدركوه فاحتزوا رأسه، وكان أول رأس أهدي في الإسلام(1).

وفي حديث آخر عنه قال: بعث رسول الله ﷺ سرية، فقالوا: يا رسول الله، إنك تبعثنا، ولا لنا زاد ولا طعام، ولا علم لنا بالطريق، فقال: (إنكم ستمرون برجل صبيح الوجه يطعمكم من الطعام ويسقيكم من الشراب، ويدلكم على الطريق، وهو من أهل الجنة)، فلم يزل القوم على جعل يشير بعضهم الى بعض، وينظرون الي فقلت: مالكم يشير بعضكم الى بعض وتنظرون إلي، فقالوا: أبشر ببشرى الله ورسوله ﷺ فإنا نعرف فيك نعت رسول الله ﷺ، فأخبروني بما قال لهم، فأطعمتهم وسقيتهم وزودتهم وخرجت معهم حتى دللتهم على الطريق. ثم رجعت الى أهلي وأوصيتهم بإبلي ثم خرجت إلى رسول الله ﷺ فقلت: ما الذي تدعو إليه؟ قال: (أدعو الى شهادة أن لا اله الا الله، وأني رسول الله واقام الصلاة، وايتاء الزكاة، وحج البيت، وصوم رمضان)، فقلت: إذا أجبناك الى هذا فنحن آمنون على أهلنا ودمائنا وأموالنا؟ قال: (نعم)، فأسلمت، ثم رجعت الى أهلي، فأعلمتهم باسلامي، فأسلم على يدي بشر كثير منهم، ثم هاجرت الى رسول الله ﷺ فبينا أنا عنده ذات يوم فقال: (يا عمرو، هل لك أن أريك آية الجنة، تأكل الطعام، وتشرب الشراب وتمشي في الاسواق؟)، قلت: بلى، بأبي أنت وأمي، قال: (هذا وقومه)، وأشار الى علي بن أبي طالب، وقال لي: (يا عمرو، هل لك أن أريك آية النار تأكل الطعام، وتشرب الشراب، وتمشي في الاسواق؟)، قلت: بلى، بأبي أنت وأمي، قال: (هذا) وأشار الى رجل، فلما وقعت الفتنة ذكرت قول رسول الله ﷺ ففررت من آية النار الى آية الجنة، ويرى بني

1() رواه ابن عساكر.

أمية قاتلي بعد هذا، قلت: الله ورسوله أعلم، قال: والله، لو كنت حجرا في جوف حجر لاستخرجني بنو أمية حتى يقتلوني، حدثني به حبيبي رسول الله ﷺ أن رأسي أول رأس تجز، ويحتز في الاسلام، وينقل من بلد الى بلد.

ومنهم قيس بن خرشة ومحاولة هؤلاء المجرمين التعرض له، وحماية الله له منهم، فعن محمد بن يزيد بن أبي زياد الثقفي قال: إن قيس بن خرشة قدم على النبي ﷺ، قال: أبايعك على ما جاء من الله تعالى وعلى أن أقول بالحق، فقال النبي ﷺ: (يا قيس، عسى أن يمدك الدهر، أن يلقاك بعدي من لا تستطيع أن تقول بالحق معهم)، قال قيس: والله لا أبايعك على شيء إلا وفيت لك به، فقال النبي ﷺ: (إذا لا يضرك بشر)، وكان قيس يعيب زياد بن أبي سفيان، وابنه عبيد الله، فبلغ ذلك عبيد الله، فأرسل إليه فقال: أنت الذي تفتري على الله تعالى وعلى رسوله؟ قال: لا، ولكن إن شئت أخبرتك بمن يفتري على الله وعلى رسوله؟ قال: من ذاك؟ قال: أنت وأبوك الذي أمركما، قال قيس: وما الذي افتريت على الله ورسوله؟ فقال: (تزعم انه لا يضرك بشر!) قال: نعم، قال: (لتعلمن اليوم أنك قد كذبت، ائتوني بصاحب العذاب وبالعذاب)، قال: فمال قيس عند ذلك، فمات(1).

ومنهم أهل الحرة، وفيهم صحابة أجلاء، فهم يزعمون كذبا أنهم موالون لهم، مع أنهم يقفون مع الذين استحلوا دماءهم، فعن أيوب بن بشير المعاوي أن رسول الله ﷺ خرج في سفر، فلما مر بحرة زهرة وقف، فاسترجع، فسألوه فقال: (يقتل بهذه الحرة خيار أمتي بعد أصحابي)(2)

وعن ابن عباس قال: جاء تأويل هذه الآية على رأس ستين سنة: وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيراً (الأحزاب:14) قال: لأعطوها، يعني إدخال بني حارثة أهل الشام على المدينة(3).

وعن الحسن قال: لما كان يوم الحرة قتل أهل المدينة حتى

1() رواه الطبراني والبيهقي.

2() رواه البيهقي.

3() رواه البيهقي.

كاد لا ينفلت منهم أحد[1].

وعن مالك بن أنس قال: قتل يوم الحرة سبعمائة رجل من حملة القرآن منهم ثلاثمائة من الصحابة، وذلك في ملك يزيد.

وقد أخبر ﷺ عن هذه الحادثة، وعن بعض الأحداث التي ستحدث في المدينة المنورة بعده، فعن أبي ذرٍّ الغفاريِّ قال: ركب رسول الله ﷺ حماراً، وأردفني خلفه، وقال: (يا أبا ذر، أرأيت إن أصاب الناس جوعٌ شديد، لا تستطيع أن تقوم من فراشك إلى مسجدك، كيف تصنع؟) قال: الله ورسوله أعلم، قال: (تعفّف)، قال: (يا أبا ذر، أرأيت إن أصاب الناس موتٌ شديدٌ، يكون البيت فيه بالعبد، (يعني: القبر) ــ كيف تصنع؟) قلت: الله ورسوله أعلم، قال: (اصبر)، قال: (يا أبا ذر، أرأيت إن قتل الناس بعضهم بعضاً حتى تغرق حجارة الزيت من الدماء كيف تصنع؟)، قلت: الله ورسوله أعلم، قال: (اقعد في بيتك، وأغلق عليك بابك)، قال: فإن لم أترك؟ قال: (فأت من أنت منهم فكن فيهم)، قال: فآخذ سلاحي؟ قال: (إذاً تشاركهم فيما هم فيه، ولكن إن خشيت أن يروعك شعاع السيف، فألق طرف ردائك على وجهك حتى يبوء بإثمه وإثمك)[2]

وقد قال ابن حجر مشيرا إلى هذه الوقعة عند ترجمته لمسرف بن عقبة ـ وهو صحابي ظالم من قواد يزيد بن معاوية ـ: (وقد أفحش مسلم القول والفعل بأهل المدينة وأسرف في قتل الكبير والصغير حتى سموه مسرفا وأباح المدينة ثلاثة أيام لذلك والعسكر ينهبون ويقتلون ويفجرون، ثم رفع القتل وبايع من بقي على أنهم عبيد ليزيد بن معاوية)[3]

وقال ابن كثير – الذي يثقون فيه كما يثقون في ابن حجر-: (وإنما يسميه السلف: مسرف بن عقبة، فلما ورد المدينة استباحها ثلاثة أيام، فقتل في غضون هذه الأيام بشرا كثيرا حتى كاد لا يفلت أحد من أهلها، وزعم بعض علماء السلف أنه قتل في غضون ذلك ألف بكر والله أعلم)[4]

1() رواه البيهقي.

2() رواه أحمد والترمذي والحاكم وابن حبان.

3() الإصابة في تمييز الصحابة (6/ 232)

4() البداية والنهاية: 6/262.

ونقل عن عبد الله بن وهب عن الإمام مالـك قولـه: (قتـل يوم الحرة سبعمائة رجل من حملـة القـرآن، حسـبت أنـه قـال: وكان فيهم ثلاثة من أصحاب رسـول اللـه ﷺ، وذلـك في خلافـة يزيد)[1]

وقد علق الشيخ حسن بن فرحان المالكي على هـذا النص بقولـه: (هـؤلاء الصـحابة من قتلهم غـير سـلف الغلاة؟ ولمـاذا يتكتمون؟.. كفار قريش لم يقتلـوا من (الصـحابة) ربـع مـا قتـل سلفهم. مجموع ما قتلت قريش نحو (90 صـحابياً فقـط) ولكن بـني أميـة قتلـوا فـوق الألـف على أقـل حـال.. أيضـاً الشـيعة والجهميـــة (والرافضـــة) وكـــل خصـــوم الغلاة لم يقتلـــوا من (الصحابة) صحابياً، بينما سلف الغلاة من بني أمية حصـدوا أهـل بدر والرضوان، بينمـا سـعيد بن المسـيب يقـول بـأن بـني أميـة قتلـوا من أدركـوا من (أهـل بـدر والرضـوان).. لـو سـلمنا لهم جدلاً.. أن كل خصومهم من الشيعة والجهمية والإباضية يكفرون (كل الصحابة ويلعنونهم) فهـل تكفـير الصـحابي ولعنـه أشـد أم قتله؟ ليجرب أحدكم نفسه، ولينظر: هل يسوؤه أكثر من يلعنـه ويكفره.. أم من يقتله ويفجر بنسائه وبناته، كمـا فعـل أحبـابكم بنـو أميـة بالصـحابة، اصـحوا، ولمـاذا حقـدكم على من يلعن (الصـحابة) أكـثر من حقـدكم على من قتلـوا الصـحابة وفجـروا بنسائهم، مع أن أحبابكم بـني أميـة جمعـوا الأمـرين معـاً.. أريـد تفسيراً واضحاً من الغلاة.. حتى نرتب الحقـد على قـدر الـذنب. لكنـني لا أفهم منهم هـذا الحب للقاتـل واللاعن والفـاجر، وهـذا البغض للاعن فقط)[2]

والنص الذي يشير إليه الشيخ حسن بن فرحان هو مـا ورد في صحيح البخاري عن سـعيد بن المسـيب قـال: وقعت الفتنـة الأولى - يعني مقتل عثمان - فلم تبقِ من أصحاب بدر أحـداً، ثم وقعت الفتنـة الثانيـة - يعـني الحـرة - فلم تبـقِ من أصـحاب الحديبية أحداً)[3]

وهكذا نرى موقف هؤلاء الطلقاء من الأنصار الـذين يـدعون تعظيمهم لهم، بينما هم يحتقـرونهم أعظم احتقـار حين يوالـون

1() البداية والنهاية: 6/262.

2() خلاصات أموية - الشيخ حسن فرحان المالكي.

3() صحيح البخاري: 4/1475.

أعداءهم، وقد حدث أسيد بن حضير وأنس أن رسول الله ﷺ قال للأنصار حين أفاء الله عليه أموال هوازن: (إنكم ستلقون بعدي أثرة فاصبروا حتى تلقوني على الحوض)[1]

وحدث أنس عن ذلك، فذكر أن رسول الله ﷺ قال للأنصار: (ستلقون بعدي أثرة في القسم والأمر، فاصبروا حتى تلقوني على الحوض)[2]

وقد حدث مقسم يذكر وقوع ما أخبر عنه رسول الله ﷺ، فذكر أن أبا أيوب أتى معاوية فذكر حاجة له، فجفاه ولم يرفع به رأسا، فقال أبو أيوب: أما ان رسول الله ﷺ قد خبرنا أنه ستصيبنا بعده أثرة قال: فبم أمركم؟ قال: أمرنا أن نصبر حتى نرد عليه الحوض، قال: فاصبروا إذا، فغضب أبو أيوب، وحلف أن لا يكلمه أبدا[3].

هذا سادتي قليل من كثير من المظالم التي ارتكبت في حقكم، ثم يزعمون كذبا وزورا أنهم يحبون الصحابة، ويعظمونهم، بل يجعلونهم وسيلة لتفريق صف الأمة، بينما هم يستعملون كل ما لديهم من حقد ليصبوه عليهم.. فالصحابة عندهم ليست سوى قريش، ومن والاها، ووالى طلقاءها.. أما من عداهم، فهم عندهم لا يساوون شيئا، وكأنهم لم يسمعوا قوله ﷺ: (يهلك الناس هذا الحى من قريش)، قالوا: فما تأمرنا؟ قال: (لو أن الناس اعتزلوهم؟)[4]

ومن شك في ذلك فليذهب لكتب الحديث والفقه والتفسير، وليحسب عدد روايات أولئك الذين لم يرض عنهم الطلقاء، وسيرى مبلغ الطرد الذي تحقق لهم.. فمن العجيب أن أبا حميد الساعدي[5] الذي توفي بعد أبي هريرة بثلاث سنوات، (توفي بعد عام 60 هـ)، وسبقه إلى الإسلام، بل كان من البدريين، ومع ذلك لم يرووا عنه سوى ثلاثة أحاديث.. فهل يعقل أن يصحب رجل رسول الله ﷺ كل تلك المدة، ويرى بدرا

1() رواه البخاري ومسلم واحمد والبيهقي والترمذي والنسائي.

2() رواه الحاكم وأبو نعيم.

3() رواه الحاكم.

4() رواه البخاري: 4/ 242.

5() انظر ترجمته في الإصابة في تمييز الصحابة (7/ 80)

وأحـدا والأحـزاب، وغيرهـا كثـير، ومـع ذلـك لا يـروي إلا ثلاثـة أحاديث؟

ومثلـه أم سـلمة زوج النـبي ﷺ[1] الـتي تـوفيت بعـد أبي هريرة بأربع سـنوات (تـوفيت سـنة 61 هــ)، ومـع ذلـك لم تـرو سـوى 158حـديثا.. مـع أنهـا كـانت من السـابقين للإسـلام، وهاجرت للحبشة، ثم عادت مع زوجها أبي سلمة، وتحاصـرا في الشعب مع بني هاشم، ولم يشترك أحد غيرهما مع بني هاشم.. وسبب ذلك التقصير في الرواية عنها هـو موقفهـا المتشـدد من معاوية والفئة الباغيـة معـه، فقـد كـانت معارضـة شـديدة للعن الإمـام علي على المنـابر، ورثت الحسـين، وروت فضـائل أهـل البيت.. ولذلك لا يكادون يذكرونها أو يهتمون بهـا، لأنهم يرتبـون أمهات المؤمنين بحسب مواقفهم من معاوية، لا بحسب كـونهن أمهات المؤمنين.

ومثلهما صالح شقران[2] مولى النبي ﷺ الـذي تـوفي بعـد أبي هريرة بثلاثة عشر عاماً (توفي عـام 70 هــ)، ومـع ذلـك لم يرووا عنه سوى حديث واحد فقط، رغم أنه بدري، ومولى للنبي ﷺ، والمولى أقـرب من غـيره[3].. ومـع ذلـك لم يـرووا عنـه إلا حديثا واحدا فقط.. وسبب ذلك بسيط، وهو أن صـالحا كـان قـد قاتل مع الإمام علي بصفين، وهو مولى للنـبي ﷺ نفسـه، وكـل ذلك ساهم في (إماتـة حديثـه وسـيرته، كـل تلامـذة أبي هريـرة بقوا بعد أبي هريرة في المدينة ثلاثـة عشـر عامـاً، وقـد انقطـع حـــديث أبي هريـــرة بموتـــه، فلمـــاذا لم يبحثـــوا عن صـــحابة كشقران؟)[4]

1() انظر ترجمتها في الإصابة في تمييز الصحابة (8/ 404)

2() وهو مولى رسول الله ﷺ، واسمه صالح بن عديّ، قال ابن حجر: (وكان حبشيا، يقال أهداه عبد الرّحمن بن عوف لرسول الله ﷺ، ويقال اشتراه منه فأعتقه بعد بدر، ويقال: إن النّبيّ ﷺ ورثه من أبيه هو وأمّ أيمن، ذكر ذلك البغويّ عن زيد بن أخرم، سمعت ابن داود يعني عبد اللَّه الخريبي يقول ذلك.. وقال أبو حاتم: يقال إنه كان على الأسارى يوم بدر، وكذا حكى ابن سعد، وزاد: لم يسهم له لكونه مملوكا، لكن كان كلّ من افتدى أسيرا وهب له شيئا، فحصل له أكثر مما حصل لمن شهد القسمة) انظر: الإصابة في تمييز الصحابة (3/ 284)

3() ومن دلائل قربه من رسول الله ﷺ ما رواه التّرمذيّ، عن شقران، قال: أنا واللَّه طرحت القطيفة تحت رسول اللَّه ﷺ في القبر. ورواه ابن السّكن من طريق ابن إسحاق عن الزّهري عن علي بن الحسين، قال: نزل في قبر رسول الله ﷺ العبّاس، والفضل، وشقران، وأوس بن خولي، وكان شقران قد أخذ قطيفة كان النبيّ ﷺ يلبسها فدفنها في قبره.

4() علم الحديث - أمانة أهل الحديث.ـ في الميزان، للشيخ حسن بن فرحان المالكي.

رسالة إلى الأصحاب الشهداء

سادتي يا أصحاب رسول الله ﷺ الذين قدموا نفوسهم رخيصة في سبيل الله، ولم يضعفوا، ولم يتزحزحوا، ولم يتوانوا، ولم يتثاقلوا إلى الدنيا.

سادتي.. يا من كنتم أحسن من مثل الإسلام وقيمه الرفيعة، وأحسن من مثل الصحبة وشرفها العظيم، وأحسن من مثل التلمذة على رسول الله ﷺ، وكان من المتخرجين الناجحين من مدرسته.

دعوني أحدث قومي عنكم، حتى يعرفوا فضلكم، ويحيوا ذكركم، فقد شُوهت أشرف صحبة في الدنيا والآخرة منذ دخل فيها الطلقاء والفارون من الزحف والمغيّرون والمبدلون والمتثاقلون إلى الدنيا..

وغيرت تلك الصحبة الشريفة منذ أصبحت قريش هي التي تحدد المبشرين بالجنة، وتميزهم عن غيرهم، ومنذ أصبحت الصحبة مجرد رؤية بصرية لا علاقة لها بالبصيرة، ولا بالعمل، ولا بالقيم، ولا بالتضحية.

لقد كنتم بتضحياتكم وبذلكم أحسن رد على هؤلاء الذين أقصوكم، فأخروا ترتيبكم في الصحبة، وكأن شهادتكم كانت وبالا عليكم، ولم تكن شرفا لكم.

أنتم أيها الشهداء الصادقون.. لم تخرجوا من دياركم بطرا ولا كبرا ولا طلبا للغنائم، وإنما خرجتم لتحموا الإسلام من الهجمات الكثيرة التي تعرض لها، والتي كادت تبيده، لولا أن حفظه الله بكم، وبتضحياتكم.

لقد كان القرآن الكريم ينزل في ذلك الحين ــ وأنتم تعذبون، أو يساء إليكم بكل أصناف الإساءة ــ ليدعوكم إلى الصبر في وجه ذلك الأذى الشديد الذي كنتم تتعرضون له، ليعرف العالم أجمع أن المسلمين قوم مسالمون، لا يبدؤون غيرهم بالقتال، وإنما يلجؤون إليه بعد أن تضيق بهم المسالك، ولا يجدون حلا غيره، ثم لا يستعملونه إلا في الحدود الضرورية.

لقد روى المحدثون عن أبي بن كعب أنه قال: (لما قدم رسول الله ﷺ وأصحابه المدينة، وآوتهم الأنصار، رمتهم العرب واليهود عن قوس واحدة وشمّروا لهم عن ساق العداوة

والمحاربة، وصاحوا بهم من كل جانب حتى كان المسلمون لا يبيتون إلا في السّلاح ولا يصبحون إلا فيه، فقالوا: ترى نعيش حتى نبيت مطمئنين لا نخاف إلا الله عز وجل، فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [النور: 55]) (1)

في تلك الظروف القاسية، والتي اجتمع فيها الجميع على حربكم، نزل قوله تعالى يدعوكم إلى الصبر، وعدم المقابلة بالمثل: ﴿ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (41) الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [النحل: 41، 42]

ولم يكن ذلك الأذى قاصرا على الأذى الحسي، بل كان المشركون واليهود والمنافقون يستعملون كل وسائل الحرب النفسية، ليزحزحوكم عن الدين، ولم يكن رسول الله ﷺ، ولا القرآن الكريم يدعوكم سوى للصبر والصفح والسلام.

لقد كان الله تعالى يخاطبكم حينها بقوله: ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [آل عمران: 186]

ويقول لكم: ﴿ودَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: 109]

وهكذا كان يتنزل عليكم أمثال قوله تعالى: ﴿فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾ [الحجر: 85]، وقوله: ﴿اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ (106) وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ (107)﴾ [الأنعام: 106ـ 107]، وقوله:﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف: 199]، وقوله:﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الحجر: 94]، وقوله:﴿فَاصْفَحْ

1() رواه البيهقيّ وغيره، سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد (4/ 3)

عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ [الزخرف: 89]، وغيرها من الآيات الكريمة التي تأمر بالصفح والعفو والسلام والإعراض عن الأذى وعدم مقابلته بالمثل.

وقد كان رسول الله ﷺ يشعر بتلك الآلام التي تشعرون بها، وأنتم أهل الشجاعة والبطولة، ولكنه كان ينهاكم عن أن تلبوا ما تطلبه نفوسكم من مواجهة العنف بالعنف، بل كان يدعوكم إلى الكف والصبر والحلم، حتى ولو كانت لكم قوة ومنعة.

وقد روي أنه لما بايع أهل يثرب ليلة العقبة رسول الله ﷺ، وكانوا نيفا وثمانين، قالوا: يا رسول الله، ألا نميل على أهل الوادي ـ يعنون أهل منى ــ ليالي منى فنقتلهم؟ فقال رسول الله ﷺ: (إني لم أومر بهذا)(1)

وقد أخبر القرآن الكريم عن تلك الطلبات الكثيرة التي كانت تأتي رسول الله ﷺ تدعوه لإباحة قتال المعتدين، ومنها قوله تعالى في عتاب الذين قصروا بعد أن أمروا بالقتل مع أنهم كانوا يطلبونه: أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا [النساء: 77]

وقد حدث ابن عباس عنهم، فقال: أتى عبد الرحمن بن عوف وأصحابا له النبي ﷺ بمكة، فقالوا: يا نبي الله، كنا في عز ونحن مشركون، فلما آمنا صرنا أذلة، فقال ﷺ: (إني أمرت بالعفو، فلا تقاتلوا القوم)، فلما حوله الله إلى المدينة أمره بالقتال، فكفوا، فأنزل الله: أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً [النساء: 77]) (2)

وهكذا، وبعد أن ضاقت نفوسكم، واشتد أذى أعدائكم، وتوهموا أن صفحكم وسلامكم ليس ناتجا عن تنفيذكم لوصايا ربكم، وحفاظكم على قيم الدين، وإنما هو ناتج عن ضعفكم

1() تفسير ابن كثير (5/ 434)

2() سنن النسائي الكبرى برقم (11112) والمستدرك (2/307)

وجبنكم.

بعد أن حصل هـذا، وبعـد أن خطـط الأعـداء لاستئصـالكم، حينها فقط أمرتم بالجهاد، وبشروطه الممتلئة بـالقيم الرفيعـة.. لقد تنزل عليكم حينها قولـه تعـالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُـوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْـرِهِمْ لَقَـدِيرٌ (39) الَّذِينَ أُخْرِجُـوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْـرِ حَـقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُـوا رَبُّنَـا اللَّهُ وَلَـوْلَا دَفْـعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَـا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُـرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَـوِيٌّ عَزِيـزٌ﴾ [الحج: 39، 40]

حينها بدأت معركتكم مع المعتدين الظالمين، لا مع غـيرهم من المسـالمين حـتى لـو كـانوا يهـودا أو مشـركين، لأنكم لم تؤمروا بالحرب من أجل نشر الدين، وإنمـا أمـرتم بهـا لتـدافعوا عن أنفسكم، كما قـال تعـالى: ﴿ وَقَـاتِلُوا فِي سَـبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ [البقرة: 190]

حينها تحول الإسـلام من دين المستضـعفين السـاكنين إلى دين المستضعفين المقاومين، ذلك أنه لا يمكن لـدين يـراد منـه أن يخلص البشرية جميعا من الاستكبار والطغيان، ألا يشرع فيه القتال، وكيـف لا يشـرع، والمسـتكبرون لا يعرفـون سـوى لغـة السلاح.

ولذلك فـإن الـذين يعـاتبونكم، ويتصـورون أن الإسـلام قـد تغير بسبب تلك الأوامر بجهاد المعتدين، لم يفهموا الإسلام، ولم يعيشـوا الظـروف الـتي عشـتم فيهـا، وهـل يمكن أن يتحـرر المستضعفون من نير المستكبرين من دون مقاومة؟

ومثلهم، بل أشد منهم أولئك الذين توهمـوا أن أوامـر اللـه تعالى لكم بجهاد المعتدين الذين يظلمـونكم تنسـخ تلـك الآيـات التي تأمرهم بالصبر والصفح والعفـو وتحمـل الأذى، فـذلك كلـه وهم، فآيات الله هي كلماته التي لا تبدل ولا تغـير، وإنمـا توضـع في مواضعه المناسبة.. والأصل هو العفـو والسـماحة والسـلام، لكن إن ووجهت بالمستكبرين الذين لا يعرفون هذه اللغة حينهـا تطبق اللغة الأخرى، ووفق حدودها الأخلاقية.

ولذلك مثلتم أنتم يا أصحاب رسـول اللـه ﷺ كلا الأمـرين.. فكنتم مسـالمين متسـامحين، وفي نفس الـوقت كنتم أبطـالا مجاهدين.

1. شهداء المقاومة:

اسمحوا لي ـ سادتي ـ بعد هذا أن أحدث قــومي عن بعض تضحياتكم في تلك الغـزوات الـتي فرضـت عليكم، بعـد أن أذن الله لكم باسترداد حقوقكم، والدفاع عن أنفسكم..

أ ـ شهداء بدر:

لقد كانت أول غزوة اختبرت فيها بطولتكم وصدقكم غزوة بدر.. تلك التي خرج فيها رسول الله ﷺ بعد أن جاء المشـركون لقتالكم، وهم يفوقونكم عددا وعدة..

لقـد خـرج ﷺ حينهـا، وهـو ينظـر إلى ضـعفكم وجـوعكم، ويقــول مخاطبــا ربــه: (اللهم إنهم حفــاة فــاحملهم، وعــراة فاكسهم، وجياع فأشبعهم، وعالة فأغنهم من فضلك)(1)

وقـد حـدث ابن مسـعود يصـف حـالكم في تلـك الغـزوة، فقال: (كنا يوم بدر كلّ ثلاثـة على بعـير، وكـان أبـو لبابـة وعليّ زميلي رسول الله ﷺ، وكان إذا كانت عقبة رسول الله ﷺ قـالا: اركب يا رسول الله حتى نمشي عنك، فيقول: (ما أنتمـا بـأقوى مني على المشي، وما أنا بأغنى عن الأجر منكما) (2)

حينها لم يستعمل رسول الله ﷺ مـا يسـتعمله المسـتبدون من التجنيد الإجباري، وإنما راح يستشيركم، ويخبركم عمـا نـزل بكم لتقرروا ما ترونه مناسبا، حتى يكون إقـدامكم صـادقا وفي سبيل الله، ومن غير أن تكرهوا عليه.

وحين استشــاركم قــام أحــد أبطــالكم، وهــو المقــداد بن الأسود، ذلك الذي أمر الله بحبه، وقـال: (يـا رسـول اللـه امض لما أمرك الله، فنحن معك، والله مـا نقـول لـك كمـا قـال قـوم موسى لموسى: ﴿فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَـاتِلَا إِنَّا هَاهُنَـا قَاعِـدُونَ﴾ [المائدة: 24]، ولكن اذهب أنت ربك فقاتلا إنا معكما مقـاتلون، عن يمينك وشمالك، وبين يديك وخلفك، والذي بعثك بـالحق لـو سرت بنا إلى برك الغمـاد لجالـدنا معـك من دونـه حـتى نبلغـه) (3)،، فأشرق وجه رسول الله ﷺ، وعلم أي قوم أنتم.

ولم يكن المهاجرون وحدهم من قال مثـل تلـك الكلمـات، بل قال مثلها الأنصار أيضا، فقد قام أحدكم، وهو شهيد الإسـلام سعد بن معاذ، فقال: (يـا رسـول اللـه قـد آمنّـا بـك وصـدّقناك،

1() دلائل النبوة للبيهقي (3/ 38)

2() الأنوار في شمائل النبي المختار (ص: 308)

3() مغازي الواقدي (1/ 48)

وشهدنا أنّ ما جئت به هو الحق، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا، على السّمع والطاعة، فامض لما أردت، ولعلك يا رسول الله تخشى أن تكون الأنصار ترى عليها ألّا ينصروك إلا في ديارهم، وإني أقول عن الأنصار وأجيب عنهم، فاظعن حيث شئت، وصل حبل من شئت، واقطع حبل من شئت، وخذ من أموالنا ما شئت، وأعطنا ما شئت، وما أخذت منّا كان أحبّ إلينا مما تركت، وما أمرت فيه من أمر فأمرنا تبع لأمرك، فو الله لئن سرت حتى تبلغ البرك من غمدان لنسيرنّ معك، والله لو استعرضت بنا هذا البحر لخضناه معك، ما تخلّف منا رجل واحد، وما نكره أن نلقي عدوّنا غدا، إنّا لصبر في الحرب، صدق في اللّقاء، لعلّ الله يريك منّا ما تقرّ به عينك، ولعلك خرجت لأمر فأحدث الله غيره، فسر بنا على بركة الله، فنحن عن يمينك وشمالك، وبين يديك وخلفك، ولا نكوننّ كالذين قالوا لموسى: ﴿فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ [المائدة: 24]،ولكن اذهب أنت وربّك فقاتلا إنا معكما متّبعون) (1)

بعد أن اطمأن رسول الله ﷺ إلى وجود أمثالكم من الصادقين، قال: (سيروا على بركة الله، وأبشروا، فإن الله تعالى وعدني إحدى الطائفتين، والله لكأني الآن أنظر إلى مصارع القوم)

في تلك المعركة ــ ككل المعارك ــ لم ينجح الجميع في الاختبار، حيث أن طائفة من الناس، نكلت عن عهودها، وراحت تبرر ذلك بأصناف التبريرات، مثلهم مثل أولئك الإسرائيليين الذين قعدوا عن النصرة، بعد أن امتلأوا بالجبن.

لكنكم سادتي لم تكونوا هذا النوع، بل نجحتم في الاختبار، وكانت شهادتكم في سبيل الله أحسن برهان على هذا النجاح الذي وقعتموه بدمائكم..

وقد أخبرنا رسول الله ﷺ أنكم بعد شهادتكم ظللتم ثابتين، بل تمنيتم أن يعيدكم الله للدنيا، لتستشهدوا من جديد، قال ابن مسعود يروي ذلك: (إن الثمانية عشر الذين قتلوا من أصحاب رسول الله ﷺ يوم بدر جعل الله أرواحهم في الجنة في جوف طير خضر تسرح في الجنّة، فبينما هم كذلك إذ اطّلع عليهم ربّهم اطّلاعة فقال: يا عبادي، ماذا تشتهون؟ فقالوا: يا ربنا هل

1() دلائل النبوة للبيهقي (3/ 107)

فوق هذا من شيء؟ قال: فيقول: يا عبادي، ماذا تشتهون؟ فيقولون في الرابعة: تردّ أرواحنا في أجسادنا فنقتل كما قتلنا) [1]

لقد سار منكم إلى الله في تلك المعركة أصحاب طاهرون طيبون، أبلوا أحسن البلاء إلى أن لقوا الله تعالى، وهو عنهم راض..

لاشك أنكم تعرفون أول من طعن منكم، ثم استشهد بعدها.. إنه عبيدة بن الحارث، ذلك الذي أمره رسول الله ﷺ أن يقوم بمبارزة المشركين، هو وعمه حمزة، وأخوه علي..

إنه ذلك الفارس البطل في الجاهلية والإسلام، ذلك القريب السابق، الذي أسلم قبل دخول النبي ﷺ دار الأرقم، وكان ثاني قائد عقد له النبي ﷺ لواء في الإسلام، حينما بعثه للقيام بدورية استطلاع في السنة الأولى من الهجرة، تلك التي التقت بأبي سفيان في ثنية المرة[2].

وقد اختاره رسول الله ﷺ حتى يبين للمسلمين وغيرهم أن أول من يقدم التضحيات هم أقاربه.. وقد شاء الله أن يكون أول من طعن، وفيه وفي أخويه، وفي أعدائهما من المشركين نزل قوله تعالى: ﴿ هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ﴾ [الحج: 19]، وفي مقابلهم نزل قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ [الحج: 23]

وبعد أن بدأت المعركة، خرج رسول الله ﷺ يبشركم بقوله: (قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض، والذي نفسي بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابرا محتسبا مقبلا غير مدبر إلا أدخله الله الجنة) [3]

حين سمع ذلك رجل منكم، وهو عمير بن الحمام، وكان في يده تمرات يأكلهنّ، قال، وهو ممتلئ بالبشارة: (بخ بخ[4] يا

1() رواه الطبراني بسند رجاله ثقات، سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد (4/ 75)

2() الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر (4 /209-210)

3() دلائل النبوة للبيهقي (3/ 69)

4() بخ بخ: كلمة تقال عند المدح والرّضا بالشيء وتكرّر للمبالغة

رسول الله، عرضها السموات والأرض؟!) قال ﷺ: نعم، قال: (أفما بيني وبين أن أدخل الجنة إلا أن يقتلني هؤلاء؟)، ثم قال: (لئن حييت حتى آكل تمراتي هذه إنها لحياة طويلة) (1)، ثم قذف التّمرات من يده، وأخذ سيفه، وظل يقاتل، وهو يردد فرحا مسرورا:

ركضا إلى الله إلّا التّقى

والصّبر في الله وكلّ زاد

وظل على ثباته إلى أن رزقه الله تعالى الشهادة.

وهكذا سار على طريقه حارثة بن سراقة، ذلك الذي استشهد من غير أن يعرف قاتله، بعد أن أصابه سهم غرب(2) وقع في نحره، وقد جعل ذلك أمه وأخته تتألمان، لا بسبب شهادته، وإنما خوفا من ألا يكون شهيدا بسبب عدم معرفة القاتل(3).

لقد قالت أمه عندما سمعت كيفية قتله: (والله، لا أبكي عليه حتى يقدم رسول الله ﷺ، فأسأله، فإن كان ابني في الجنة لم أبك عليه، وإن كان ابني في النار بكيته لعمر الله فأعولته!)

فلما قدم رسول الله ﷺ من بدر جاءت إلى رسول الله فقالت: يا رسول الله، قد عرفت موقع حارثة من قلبي، فأردت أن أبكي عليه فقلت: لا أفعل حتى أسأل رسول الله، فإن كان في الجنة لم أبك عليه، وإن كان في النار بكيته فأعولته. فقال النبي ﷺ: (هبلت، أجنة واحدة؟ إنها جنان كثيرة، والذي نفسي بيده إنه لفي الفردوس الأعلى)، فقالت: (فلا أبكي عليه أبدا!)

حينها دعا رسول الله ﷺ بإناء من ماء فغمس يده فيه ومضمض فاه، ثم ناول أم حارثة فشربت، ثم ناولت ابنتها فشربت، ثم أمرهما فنضحتا في جيوبهما، ففعلتا فرجعتا من عند النبي ﷺ، وما بالمدينة امرأتان أقر أعينا منهما ولا أسر(4).

وهكذا سار في طريق الشهادة سعد بن خيثمة

1() الإصابة (5/31-32)

2() سهم غرب: أي لا يعرف رامية. (النهاية، ج 3، ص 153)

3() الإصابة، (1/311)

4() مغازي الواقدي (1/ 94)

الخزرجي[1]، أحد النقباء الاثني عشر الذين كفلوا قومهم في بيعة العقبة، وقد روي أنه استهم مع أبيه خيثمة أيهما يشارك في الغزوة، فخرج سهمه، وكان شاباً، فقال له أبوه: آثرني اليوم ـ أي: اسمح لي بأن أخرج إلى بدر بدلاً منك ـ فقال له سعد: (يا أبت، لو كان غير الجنة لفعلت)، وسار سعد مزهوا فرحا باختيار الله له بأن يكون من شهداء هذه الغزوة.

ومن شهداء هذه الغزوة عمير بن أبي وقاص الزهري[2]، ذلك الذي رده رسول الله ﷺ، ولم يسمح له بالقتال لصغر سنه، فبكى عمير تألما لذلك، وحينها سمح له الرسول ﷺ بالقتال، فاستشهد.

ومنهم مهجع العكي[3]، الذي كان عبدا فعتق، وكان من السابقين في الإسلام، وهو من الذين أنزل الله تعالى فيه قوله: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ﴾ [الأنعام: 52]

وغيرهم من الصادقين الذين لم تصلنا تفاصيل أخبارهم، فلا نعرف عنهم إلا أسماءهم وأنسابهم، لكن الله يعرفهم، والإسلام يعرفهم، ورسول الله ﷺ يشهد لهم، ونحن نتبرك بهم، ونسأل الله بجاههم سواء عرفناهم أو لم نعرفهم.

ب ـ شهداء أحد:

وبعد تلك الغزوة التي كتب الله فيها النصر للمسلمين، راحت قريش تستخدم كل ما لديها من قوة مال وعدد وعدة لضرب الإسلام الضربة القاضية، وقد كان أبو سفيان عدو الإسلام اللدود يتجول بين الأحياء والعشائر، يحرضهم، ويقول لهم: (إن محمدا قد وتركم وقتل خياركم، فأعينونا بهذا المال على حربه، لعلّنا ندرك منه ثأرنا بمن أصاب منّا)[4]

وبعد أن جمع أئمة الكفر أبو سفيان وغيره الأموال الكثيرة، والتي وصف القرآن الكريم اجتهادهم في جمعها، فقال: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى

---

1 () انظر: الإصابة (3/75)

2 () انظر: الإصابة (5 /35-36)

3 () الإصابة، (6 /46)

4 () دلائل النبوة للبيهقي (3/ 224)

جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ [الأنفال: 36] أرسلوا عمرو بن العاص، وعبد الله بن الزّبعرى وهبيرة بن أبي وهب، ومسافع بن عبد مناف، وأبا عزّة عمرو بن عبد الله الجمحيّ إلى العرب يستنفرونها لحرب رسول الله ﷺ، فألّبوا العرب وجمعوها.

ومثلهم ذهب أبو سفيان لأكابر العرب، فأخذ يؤلّبهم على رسول الله ﷺ، ويجمع الجموع، فجمع قريبا من ثلاثة آلاف من قريش والحلفاء والأحابيش، فيهم سبعمائة دارع ومائتا فارس.

وقد كان القصد من هذا الإعداد الضخم ليس مجرد معركة بسيطة يحاربون بها الإسلام، وإنما أرادوا استئصاله جميعا، ومن جذوره.

وبعد أن أعدوا أنفسهم كل ذلك الإعداد، خرجوا مع نسائهم إلى المعركة التي أرادوا أن تكون فاصلة، فقد خرج أبو سفيان بزوجته هند بنت عتبة، ومثله سادة قريش وكبراؤهم خرجوا معهم بنسائهم، ومعهنّ الدّفوف يبكين قتلى بدر، ليثرن حماسة المقاتلين.

وقد بلغ الحقد بهند بنت عتبة أنها قالت لزوجها أبي سفيان: (إنكم قد خرجتم بالظعن معكم، ونحن نخاف على نسائنا. فتعالوا ننبش قبر أم محمد، فإن النساء عورة، فإن يصب من نسائكم أحدا قلتم هذه رمة أمك، فإن كان برا بأمه كما يزعم، فلعمري ليفادينكم برمة أمه، وإن لم يظفر بأحد من نسائكم، فلعمري ليفدين رمة أمه بمال كثير إن كان بها برا)[1]

في تلك المعركة التي انتصر المسلمون في بدايتها، ثم انهزموا بسبب انشغالهم بجمع الغنائم.. تميز الصادقون من المترددين، والثابتون من المولين.. وقد كنتم أنتم أيها الشهداء الطيبون مصاديق للثبات والصدق والإخلاص، ذلك أنكم لم تترددوا، ولم تفروا، ولم تتوانوا في نصرة رسول الله ﷺ، خاصة بعد أن أشاع المشركون أنه قد قتل.

لقد كان سيد شهدائكم في تلك المعركة حمزة بن عبد المطلب عم رسول الله ﷺ ذلك الذي بقرت بطنه، وحملت كبده إلى هند بنت عتبة لتأكلها، وترضي حقدها الذي لا تخمد ناره.

وكان من شهدائكم فيها عبد الله بن جحش

---

1 () مغازي الواقدي (1/ 206)

الأسـدي[1]، أحـد السـابقين إلى الإسـلام، وممن هـاجر إلى الحبشة، ثم عاد إلى مكة لما بلغ مهاجري الحبشـة إسـلام أهـل مكة.. وكان ممن شرفوا بإرسال رسـول اللـه ﷺ لهم في بضـع السـرايا، وقـد قـال حينهـا يصـفه: (لأبعثن عليكم رجلا أصـبركم على الجـوع والعطش)، قـال سـعد: فبعث علينـا عبـد اللـه بن جحش فكان أول أمير في الإسلام، ورايته في تلك السـرية هي أول راية عقدت في الإسلام، ونسبت إليـه فيمـا بعـد فسـميت: (سرية عبد الله بن جحش)[2]

في ذلك اليوم الذي استشهد فيه، أكل وشرب حـتى شـبع، وكأنه ليس مقدما على تلك المعركة الخطـيرة، فقـال لـه بعض الحاضرين متعجبـا: (أتـدري أين تغـدو؟)، قـال: (نعم، ألقى اللـه وأنا ريان أحب إلي من أن ألقاه وأنـا ظمـآن، اللهم إني أسـألك أن أستشهد، وأن يمثل بي، فتقول: فيم صـنع بـك هـذا؟ فـأقول فيك وفي رسولك) [3]

وروي أنه قال لسعد بن أبي وقاص: ألا تأتي فندعو؟.. قال سـعد: فخلونـا في ناحيـة، فـدعا سـعد فقـال: (يـا رب إذا لقينـا القوم غـدا فلَقِّني رجلا شـديدا حـرده، أقاتلـه فيـك، ثم ارزقـني الظفر عليه حتى أقتله، وآخذ سلبه)، فأَمَّنَ عبد اللـه بن جحش، ثم قـال: (اللهم ارزقـني رجلا شـديدا حـرده أقاتلـه فيـك حـتى يأخـذني فيجـدع أنفي وأذني؛ فـإذا لقيتـك قلت: هـذا فيـك وفي رسولك، فتقول صدقت)، قال سـعد: (فكـانت دعـوة عبـد اللـه خيرا من دعوتي، فلقد رأيته آخر النهار وإن أنفـه وأذنـه لمعلـق في خيط) [4]

وفي حديث آخر أنه قال في دعائه: (اللهم إذا لاقـوا هـؤلاء غدا فإني أقسم عليك لما يقتلـوني ويبقـروا بطـني ويجـدعوني، فإذا قلت لي لم فعل بك هذا فأقول: (فيك وفي رسولك)[5]

1() الطبقات الكبرى: 2/42، والذهبي، سير أعلام النبلاء: 1/149.

2() انظر تفاصيل السرية في تهذيب سيرة ابن إسحاق لابن هشام 1/601، والحديث رواه أحمد: (1/178)

3() ابن سعد، الطبقات الكبرى: 3/91

4() الإصابة: 2/287.

5() الإصابة: 2/287.

وقد قال الرجل الذي سمع منه هذا الدعاء: (أما هذا فقد استجيب له، وأعطاه الله ما سأل في جسده في الدنيا، وأنا أرجو أن يعطى ما سأل في الآخرة)

وقد صار يلقب بعدها بـ [المجدع في الله]، وكان سيفه انقطع يوم أحد فأعطاه النبي ﷺ عرجونا، فصار في يده سيفا، فكان يسمى العرجون.

وكان من شهدائكم فيها مصعب بن عمير[1]، ذلك الصحابي الجليل المجاهد السابق إلى الإسلام، ذلك الذي ترك العز الذي يعيشه، ليلتحق بالإسلام، وهو في عز شبابته، ويتحمل الأذى بسببه، ومن أقرب الناس إليه..

ذلك الذي كان يبالغ في اهتمامه بمظهره وزينته وشعره قبل الإسلام، وكانت أمة الثرية تكسوه أحسن الثياب وأرقها، وتعطره بأجمل العطور وأغلاه، وكان رسول الله ﷺ يقول عند ذكره له: (ما رأيت بمكة أحدا أحسن لمة، ولا أرق حلة، ولا أنعم نعمة من مصعب بن عمير) [2]

لكن ذلك كله فارقه بعد إسلامه، فقد جهد ـ كما يذكر الرواة عنه ـ جهدا شديدا حتى إن جلده كان يتحشف[3] كما يتحشف جلد الحية[4].. وقد روي أنه أقبل ذات يوم، والنبي ﷺ جالس في أصحابه، عليه قطعة نمرة قد وصلها بإهاب، فلما رآه أصحاب رسول الله ﷺ نكسوا رؤوسهم رحمة له، ليس عندهم ما يغيرون عنه، فسلم فرد عليه النبي ﷺ، وأحسن عليه الثناء وقال: (الحمد لله ليقلب الدنيا بأهلها، لقد رأيت هذا (يعني مصعبا) وما بمكة فتى من قريش أنعم عند أبويه نعيما منه، ثم أخرجه من ذلك الرغبة في الخير، في حب الله ورسوله) [5]

وقد كان من الذين أوذوا في الله، فعندما سمع أهله بإسلامه، أوثقوه، فلم يزل محبوسا إلى أن هرب مع من هاجر إلى الحبشة، ثم رجع إلى مكة فهاجر إلى المدينة بعد العقبة الأولى ليعلم الناس القرآن ويصلي بهم، فقد كان مع ابن أم

1() انظر في ترجمته: ابن سعد، الطبقات الكبرى: 3/116، وابن عبد البر، الاستيعاب: 3/468، وابن الأثير، أسد الغابة: 4/405، وابن حجر، الإصابة:3/421-422.

2() ابن سعد، الطبقات الكبرى: 3/116

3() المتحشف: اللابس للحشيف: وهو الخلق (ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث: 1/391)

4() ابن الأثير، أسد الغابة: 4/406.

5() الطبقات الكبرى لابن سعد: 3/82.

مكتوم أول من قدم المدينة، وكانا يقرئان أهلها القرآن الكريم.. وبذلك كان أول سفير وداعية للإسلام.

وقد منّ الله عليه بالجهاد في غزوة بدر، ثم شارك في أحد، وكان الصحابة الذين تأخرت وفاتهم يذكرونه، ويغبطونه على شهادته، ويذكرون أنه (ممن مضى، ولم يأخذ من أجره شيئا، فقد ترك نمرة إذا غُطي بها رأسه بدت رجلاه، وإذا غُطيت بها رجلاه بدا رأسه، فأمر رسول الله ﷺ أن يُغطى رأسه، ويجعل على رجليه شيء من إذخر) (1)

وقد مر رسول الله ﷺ عليه حين رجع من أحد، فوقف عليه وعلى أصحابه، فقال: (أشهد أنكم أحياء عند الله، فزوروهم وسلموا عليهم فوالذي نفس محمد بيده لا يسلم عليهم أحد إلا ردوا عليه إلى يوم القيامة)، ثم قرأ رسول الله ﷺ قوله تعالى: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: 23])(2)

وكان من شهدائكم فيها شماس بن عثمان المخزومي(3)، وكان مثل أخيه مصعب من فتيان قريش الذين عرفوا بالجمال والرفاهية، ولذلك لقب بهذا اللقب، وقد كان من السابقين إلى الإسلام، وهاجر إلى الحبشة، ثم شهد بدرا، واستشهد يوم أحد.

وقد كان في الوقت الذي فر فيه الخائفون من سطوات السيوف قريبا من رسول الله ﷺ يذب عنه، ويقيه بنفسه، وقد شهد له رسول الله ﷺ بذلك، فقال: (ما شبهته يومئذ إلا بالجُنة، ما أوتى من ناحية إلا وقاني) (4)

وكان من شهدائكم فيها سعد بن الرَّبيع الخزرجي الأنصاري(5)، ذلك الذي كان أحد نقباء الأنصار، وكان كاتبا في الجاهلية، وشهد العقبة الأولى والثانية، وشهد بدرا.

ذلك الذي مثل الأخوة الإيمانية في أرقى مراتبها، فقد روي

1() البخاري، 7/226.

2() ابن الأثير، أسد الغابة: 4/407-408.

3() ابن سعد، الطبقات الكبرى: 3/245،وابن عبد البر، الاستيعاب: 2/156، 3/89.

4() ابن سعد، الطبقات الكبرى: 2/44.

5() ابن سعد، الطبقات الكبرى: 3/522، وابن عبد البر، الاستيعاب: 2/34-35، وابن الأثير، أسد الغابة: 2/196.

أنه ﷺ آخى بينه وبين عبد الرحمن بن عوف، وكان كثير المال، فقال له: (قد علمت الأنصار أني من أكثرها مالا، سأقسم بيني وبينك شطرين)[1]

وبعد غزوة أحد، أمر رسول الله ﷺ أن يلتمس في القتلى، فقال: (من يأتيني بخبر سعد بن الربيع، فإني رأيت الأسنة قد أشرعت إليه؟)، فذهب بعضهم يبحث عنه بين القتلى، فوجده، وبه رمق، فقال له: (اذهب إليه ﷺ فأقرئه مني السلام، وأخبره أني قد طعنت اثنتي عشرة طعنة، وأني قد أنفذت مقاتلي، وأخبر قومك أنهم لا عذر لهم عند الله إن قتل رسول الله ﷺ وواحد منهم حي) [2]

وفي رواية أنه قال له: (اقرأ على قومي السلام وقل لهم يقول لكم سعد بن الربيع: الله الله وما عاهدتم عليه رسول الله ﷺ ليلة العقبة، فوالله مالكم عند الله عذر إن خلص إلى نبيكم وفيكم عين تطرف)، فقال رسول الله ﷺ عندما وصلته الرسالة: (نصح لله ولرسوله حيا وميتا)

وكان من شهدائكم فيها أوس بن الأرقم بن زيد[3]، ذلك الذي قتله صفوان بن أميه ثم قال: (الآن حيث شفيت نفسي حين قتلت الأماثل من أصحاب محمد ﷺ، قتلت ابن قوقل، وقتلت ابن أبي زهير ــ يعني خارجة ــ وقتلت أوس بن أرقم) [4]

وكان من شهدائكم فيها مالك بن سِنَان والد أبى سعيد الخدري الأنصاري[5]، والذي قال يحدث عن والده: (أصيب وجه رسول الله ﷺ فاستقبله مالك بن سنان ـ يعني أباه ـ فمسح الدم عن رسول الله ﷺ، ثم ازدرده، فقال رسول الله ﷺ: (من أحب أن ينظر إلى من خالط دمي دمه فلينظر إلى

1() البخاري،: 7/112-113ـ 9/231، أما باقي الحديث، فلا نرى صحته، خاصة وأن العرب كانت تأنف من ذلك أنفة شديدة.

2() ابن عبد البر، الاستيعاب: 2/34-35، وابن الأثير، أسد الغابة: 2/196-197.

3() ابن عبد البر، الاستيعاب: 1/79، وابن الأثير، أسد الغابة: 1/163 وابن حجر، الإصابة: 1/79.

4() ابن سعد، الطبقات الكبرى: 3/525.

5() ، وابن عبد البر، الاستيعاب: 3/370، وابن الأثير، أسد الغابة: 4/251، وابن حجر، الإصابة: 3/345.

مالك بن سنان[1]

وقد كان منذ إسلامه من الذين تمثلت فيهم قيم العفاف والزهد، وقد روي أنه طوى ثلاثاً ولم يسأل أحدا شيئا، فقال عنه رسول الله ﷺ: (من أراد أن ينظر إلى العفيف المسألة فلينظر إلى مالك بن سنان[2]

وكان من شهدائكم فيها عباس بن عبادة الأنصاري الخزرجي[3]. وكان ممن خرج إلى رسول الله ﷺ وهو بمكة، وشهد معه العقبتين، وكان في النفر الستة من الأنصار الذين لقوا رسول الله ﷺ بمكة فأسلموا قبل سائر الأنصار، وأقام مع رسول الله ﷺ بها حتى هاجر إلى المدينة، فكان يقال له مهاجري أنصاري.

وقد حدث عاصم بن عمر بن قتادة أن القوم لما اجتمعوا لبيعة رسول الله ﷺ قال العباس بن عبادة: (يا معشر الخزرج، هل تدرون علام تبايعون هذا الرجل؟) قالوا: نعم، قال (إنكم تبايعونه على حرب الأحمر والأسود من الناس، فإن كنتم ترون أنكم إذا نهكت أموالكم مصيبة، وأشرافكم قتلاً أسلمتموه، فمن الآن، فهو والله إن فعلتم خزي الدنيا والآخرة، وإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه إليه على نهكة الأموال، وقتل الأشراف، فخذوه، فهو والله خير الدنيا والآخرة)، قالوا: فإنا نأخذه على مصيبة الأموال، وقتل الأشراف، فما لنا بذلك يا رسول الله إن نحن وفينا بذلك؟ قال: (الجنة)، قالوا: ابسط يدك، فبسط يده فبايعوه[4].

ولم يكتف بذلك، بل راح يعرض على رسول الله ﷺ أن يمثل على المشركين، فقال: (لئن شئت يا رسول الله لنميلن عليهم غدا بأسيافنا)، فقال النبي ﷺ: (لم نؤمر بذلك) [5]

وكان من شهدائكم فيها عبد الله بن عمرو بن حرام الخزرجي الأنصاري[6] والد جابر بن عبد الله، ذلك الذي شهد العقبة مع السبعين من الأنصار، وكان أحد النقباء

---

1 () ابن الأثير، أسد الغابة: 4/251.

2 () ابن الأثير، أسد الغابة: 4/251.

3 () ابن عبد البر، الاستيعاب: 3/100، و، وابن حجر، الإصابة: 2/271.

4 () ابن عبد البر، الاستيعاب: 3/100.

5 () ابن الأثير، أسد الغابة: 3/59.

الاثني عشر، وشهد بدرا، وأحدا، ولما بكاه بعض أهله قال لهم النبي ﷺ: (ابكوه أو لا تبكوه فوالله ما زالت الملائكة تظله بأجنحتها حتى دفنتموه) (1)

وحدث جابر قال: (لقيني رسول الله ﷺ فقال: يا جابر مالي أراك منكسرا مهتما؟ قلت: يا رسول الله استشهد أبى وترك عيالا وعليه دين، قال: أفلا أبشرك بما لقي الله به أباك؟ قلت: بلى يا رسول الله، قال: (إن الله أحيا أباك وكلمه.. فقال له: يا عبدى تمن أعطك، قال: يا رب تردني إلى الدنيا، فأقتل فيك ثانية، فقال الرب تعالى ذكره: إنه سبق مني أنهم إليها لا يرجعون قال يا رب فأبلغ من ورائي فأنزل الله: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: 169]، فحفرت له قبرا بعد ستة أشهر فحولته إليه فما أنكرت منه شيئا الا شعرات من لحيته كانت مستها الأرض) (2)

وعن جابر أن رسول الله ﷺ لما خرج لدفن شهداء أحد قال: (زملوهم بجراحهم فإني أنا الشهيد عليهم، ما من مسلم يُكْلَم في سبيل الله إلا جاء يوم القيامة يسيل دما اللون لون الزعفران والريح ريح المسك) (3)

قال جابر: وكفن أبي في نمرة واحدة وكان يقول ﷺ: (أي هؤلاء كان أكثر أخذا للقرآن؟، فإذا أشير له إلى الرجل، قال: (قدموه في اللحد قبل صاحبه)، وبما أن عبد الله بن عمرو بن حرام كان أخا وصديقا لعمرو بن جموح، فقد طلب رسول الله ﷺ أن يدفنا في قبر واحد، وقال: (ادفنوا عبد الله بن عمرو وعمرو بن الجموح في قبر واحد)

وقد ذكر جابر كرامة تتعلق بهما بعد موتهما، فقد قال: (كان عبد الله بن عمرو رجلا أحمر أصلع ليس بالطويل، وكان عمرو بن الجموح رجلا طويلا، فعرفا ودخل السيل عليهما، وكان قبرهما مما يلي السيل فحفر عنهما وعليهما نمرتان، وعبد الله قد أصابه جرح في يده، فيده على جرحه، فأميطت يده عن

6() ابن سعد، الطبقات الكبرى: 3/561ـ 3/620، وابن عبد البر، الاستيعاب: 2/339، وابن الأثير، أسد الغابة: 3/242، وابن حجر، الإصابة: 2/350.

1() البخاري، 7/374، 7 مسلم، 3/385.

2() ابن الأثير، أسد الغابة: 3/242-244، وابن حجر، الإصابة: 2/350.

3() النهاية في غريب الحديث: 2/313.

جرحه فانثعب الدم فردت إلى مكانها فسكن الدم، قال جابر: فرأيت أبي في حفرته، فكأنه نائم، فقيل له: أفرأيت أكفنته؟ فقال: إنما دفن في نمرة خمر بها وجهه، وعلى رجليه الحرمل، فوجدنا النمرة كما هي والحرمل على رجليه على هيئته، وبين ذلك ست وأربعون سنة) [1]، فشاورهم جابر في أن يطيب بمسك، فأبى ذلك أصحاب النبي ﷺ.

وأخبر جابر قال: لما حضر أحد دعاني أبي من الليل فقال: (ما أراني إلا مقتولا في أول من يقتل من أصحاب النبي ﷺ؛ وإني لا أترك بعدي أعز علي منك غير نفس رسول الله ﷺ وإن علي دينا فاقض واستوص بأخواتك خيرا، فأصبحنا فكان أول قتيل) [2]

وكان من شهدائكم فيها عمرو بن الجموح بن زيد بن حرام[3].. ذلك الذي شهد العقبة، ثم شهد بدرا، وقد كان من سادات الأنصار، وكان سيدا من سادات بني سلمة وشريفا من أشرافهم.

وقد روي أنه (كان رجلا أعرج شديد العرج، وكان له بنون أربعة مثل الأسد، يشهدون المشاهد مع رسول الله ﷺ، فلما كان يوم أحد أرادوا حبسه، فأتى رسول الله ﷺ فقال: إن بني يريدون أن يحبسوني عن هذا الوجه والخروج معك فيه، فوالله إني لأرجو أن أطأ بعرجتي هذه في الجنة، فقال رسول الله ﷺ: (أما أنت فقد عذرك الله، فلا جهاد عليك)، وقال لبنيه: (ما عليكم أن لا تمنعوه، لعل الله يرزقه شهادة)، فخرج معه، فأخذ سلاحه وولى، فلما ولى أقبل على القبلة وقال: (اللهم ارزقني الشهادة، ولا تردني إلى أهلي خائبا) [4]

وقد قال فيه رسول الله ﷺ: (والذي نفسي بيده إن منكم من لو أقسم على الله لأبره، منهم عمرو بن الجموح، ولقد رأيته يطأ في الجنة بعرجته)

وقد شهد له رسول الله ﷺ بالسيادة على قومه، فقال: من سيدكم يا بني سلمة؟ قالوا: الجد بن قيس على بخل فيه،

---

1 () دلائل النبوة للبيهقي محققا (3/ 293)

2 () البخاري، 3/214.

3 () ابن عبد البر، الاستيعاب: 2/503، وابن الأثير، أسد الغابة: 3/703، والذهبي، سير أعلام النبلاء: 1/252، وابن حجر، الإصابة: 2/529.

4 () عيون الأثر (2/ 27)

فقال النبي ﷺ: (وأي داء أدوى من البخل، بل سيدكم الأبيض الجعد عمرو بن الجموح) [1]

وروي أنه أتى إلى رسول الله ﷺ قبل استشهاده، فقال: يا رسول الله أرأيت إن قاتلت حتى أقتل في سبيل الله تراني أمشي برجلي هذه في الجنة قال: نعم[2].

وروي أن النبي ﷺ قال يوم أحد: (قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين)، فقام عمرو بن الجموح وهو أعرج فقال: (والله لأقحزن عليها في الجنة)، فقاتل حتى قتل[3].

وهكذا قدمتم في تلك الغزوة الكثير من الشهداء الذين لا نزال نحن إلى ذكراهم، وقد كان رسول الله ﷺ يكثر من زيارتهم، وقد حدث بعضهم، قال: كان النبي ﷺ يأتي قبور الشهداء عند رأس الحول، فيقول: (السلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار) [4]

ج. شهداء آخرون:

وبعد تينك الغزوتين اللتين أبليتم فيها بلاء حسنا، اكتشف أعداءكم من المشركين واليهود وغيرهم قوتكم ومنعتكم، ولذلك لم تحصل أي معركة تشبههما، لكن حصلت الكثير من الأحداث التي استدعت جهادكم، وقدمتم فيها الكثير من البطولات، وسار فيها منكم الكثير من الشهداء.

ومن تلك الأحداث ما يعرف بغزوة مؤتة بأدنى البلقاء دون دمشق في جمادى الأولى سنة ثمان من الهجرة، والتي أمّر فيها رسول الله ﷺ ثلاثة من القادة، كلهم استشهدوا في سبيل الله.

فقد حدث عمر بن الحكم عن أبيه أن رسول الله ﷺ صلّى الظهر، ثم جلس، وجلس أصحابه حوله، ثم قال: (زيد بن حارثة أمير الناس، فإن قتل زيد فجعفر بن أبي طالب، فإن أصيب جعفر، فعبد الله بن رواحة، فإن أصيب عبد الله بن رواحة فليرتض المسلمون رجلا منهم فليجعلوه عليهم)

---

1 () الاستيعاب: 2/503.

2 () الاستيعاب: 2/503.

3 () أسد الغابة: 3/705

4 () مصنف عبد الرزاق الصنعاني 3/ 573 ح (6716)

وقد ثارت حينها بعض النفوس الـتي لم تعـرف جيـدا القيم الإسـلامية، حيث اسـتغربت توليـه زيـد القيـادة مـع أنـه لم يكن قرشيا، وقد ذكر ذلك عبد الله بن عمـر، فقـال: (بعث النـبي ﷺ بعثا وأمر عليهم أسامة بن زيد، فطعن بعض الناس في إمارتـه، وقالوا: يستعمل هذا الغلام على المهاجرين فقام رسول الله ﷺ فقال بعد أن حمد اللـه وأثـنى عليـه، ثم قـال: (قـد بلغـني أنكم قلتم في أسامة، إن تطعنوا في إمارتـه فقـد كنتم تطعنـون في إمارة أبيه من قبل، وأيم الله إن كـان لخليقـا للإمـارة وإن كـان لمن أحبّ الناس إليّ، وإن هذا لمن أحبّ النّاس إليّ بعده) [1]

في ذلك الموقـف كـان جعفـر بن أبي طـالب من الثـابتين الصادقين، فقد حدث أبو قتادة قال: بعث رسـول اللـه ﷺ جيش الأمراء وقال: (عليكم زيد بن حارثة فإن أصيب زيد فجعفر فـإن أصيب جعفر فعبد الله بن رواحـة)، قـال: فـوثب جعفـر، وقـال: (بأبي أنت وأمي يا رسول الله ما كنت أرهب أن تسـتعمل عليّ زيدا)، فقال ﷺ: (امض فإنك لا تدري أي ذلك خير) [2]

وقد ذكر المؤرخون أنه لما تجهّز الناس للخروج وهم ثلاثـة آلاف، جاء رسول الله ﷺ وأوصاهم وودعهم، فلما ودّع عبد اللـه بن رواحة مع من ودّع من الأمراء بكى، فقالوا: (ما يبكيك يا ابن رواحـة؟)، فقـال: (أمـا واللـه مـا بي حبّ الـدنيا ولا صـبابة بكم ولكني سمعت رسول الله ﷺ يقرأ آية من كتاب اللـه عـز وجـل يـذكر فيهـا النـار: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَـا كَـانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًـا مَقْضِـيًّا﴾ [مـريم: 71]، فلسـت أدري كيـف لي بالصّـدر بعـد الورود؟)

حينهـا قـال المودعـون لـه وللجيش: (صـحبكم اللـه ودفـع عنكم وردّكم إلينا صالحين)، فرد عبد الله بن رواحة:

لكنني أسأل الرّحمن وضربة ذات فرغ
تقذف الزّبدا
أو طعنة بيدي حرّان بحربة تنفذ الأحشاء والكبدا
حتّى يقال إذا مرّوا يا أرشد الله من غاز وقد رشدا

ثم بعـد أن تهيـأ الجيش للخـروج أتى عبـد اللـه بن رواحـة

1() رواه البخاري (4468)

2() رواه أحمد 5/ 299 والبيهقي في الدلائل 4/ 367 .

رسول الله ﷺ فودّعه، ثم قال:

فثبّت الله ما آتاك ... تثبيت موسى ونصرا

إنّي تفرّست فيك ... الله يعلم أنّي ثابت

أنت الرّسول فمن ... والوجه منك فقد أزري

وعندما بلغ الجيش ثنيّة الوداع، وكان رسول الله ﷺ معهم يشيعهم وقف، ووقفوا حوله فقال: (اغزوا باسم الله، فقاتلوا عدوّ الله وعدوّكم بالشام، وستجدون رجالا في الصوامع معتزلين الناس فلا تعرضوا لهم، وستجدون آخرين للشيطان في رؤوسهم مفاحص فافلقوها بالسيوف، لا تقتلنّ امرأة ولا صغيرا ولا كبيرا فانيا ولا تقربن نخلا ولا تقطعنّ شجرا ولا تهدمنّ بيتا) (1)

وقد ظل رسول الله ﷺ يوصيهم إلى آخر لحظة، فقد روي أنه قال، وهو في الطريق لعبد الله بن رواحة: (إنك قادم غدا بلدا السجود فيه قليل فأكثر السجود) قال عبد الله بن رواحة: زدني يا رسول الله، قال: (اذكر الله فإنه عون لك على ما تطالب)، فقام من عنده حتى إذا مضى ذاهبا رجع فقال: يا رسول الله إن الله وتر يحب الوتر، فقال: (يا ابن رواحة ما عجزت فلا تعجزنّ إن أسأت عشرا أن تحسن واحدة)، قال ابن رواحة: لا أسألك عن شيء بعدها(2).

وقد حدث زيد بن أرقم عن عبد الله بن رواحة وشوقه للشهادة، فقال: (كنت يتيماً في حجر عبد الله بن رواحة فلم أر وليّ يتيم كان خيرا منه فخرجنا إلى مؤتة فكان يردفني خلفه على حقيبة رحله فو الله إنه ليسير ليلة إذ سمعته وهو ينشد أبياته هذه:

إذا أدّيتني وحملت ... مسيرة أربع بعد

فشأنك أنعم ... ولا أرجع إلى أهلي

وآب المسلمون ... بأرض الشّام

وردّك كلّ ذي ... إلى الرّحمان

1() رواه البيهقي في السنن 9/ 69.

2() ذكره السيوطي في الدر 3/ 189 وعزاه لابن عساكر.

هنا لك لا أبالي ولا نخل أسافلها

فلما سمعتهنّ منه بكيت فخفقني بالدّرّة وقال: (مـا عليـك يـا لكـع أن يرزقـني اللـه الشـهادة فأسـتريح من الـدنيا ونصـبها وهمومها وأحزانها وترجع بين شعبتي الرّحل)، ثم قال في بعض شعره وهو يرتجز:

يا زيد زيد اليعملات تطاول اللّيل

ثم نزل من الليل، ثم صلى ركعتين ودعا فيهما دعاء طـويلا ثم قال: يا غلام. قلت: لبّيك. قال: هي إن شاء الله الشهادة.

وعندما وصلوا أرض المعركة، ووجد أن العدو قد جهـز لهم ما لم يكن يخطر على بالهم، فقـد كـان عـددهم أكـثر من مائـة ألـف، ثم بلغهم أن هرقـل قـد نـزل مـآب من أرض البلقـاء في مائـة ألـف من الـروم وانضـم إليهم مائـة ألـف أخـرى من لخم وجذام وقبائل قضاعة وغيرها، فلما بلغ ذلـك المسـلمين أقـاموا على معان ليلتين يفكرون في أمرهم، وقالوا نكتب إلى رسـول الله ﷺ فنخـبره بكـثرة عـدونا فإمـا أن يمـدّنا بالرجـال وإمـا أن يأمرنا بأمر فنمضي له.

حينها قام عبد الله بن رواحة، وقال: (يا قوم والله إن التي تكرهون للّتي خرجتم تطلبون الشهادة، وما نقاتـل النـاس بعـدد ولا قوّة ولا كثرة وما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله بـه، فـانطلقوا فإنمـا هي إحـدى الحسـنيين إمـا ظهـور وإمـا شـهادة وليست بشرّ المنزلتين)، فقال الناس: صدق والله ابن رواحة.

وبعد أن بدأت المعركة، وبدأ القتال الشديد، قاتـل زيـد بن حارثـة برايـة رسـول اللـه ﷺ حـتى شـاط في رمـاح القـوم، ثم أخذها جعفر بن أبي طـالب فقاتـل بهـا حـتى إذا ألحمـه القتـال اقتحم عن فرس له شقراء فعرقبها، وهو يقول:

يا حبّذا الجنّة طيّبة وباردا

والرّوم روم قد كافرة بعيدة

عليّ إذ لاقيتها ضرابها

ثم قاتـل القـوم حـتى قتـل، وكـان بـذلك أول رجـل من المسلمين عرقب فرسا له في سبيل الله، وقد ذكر المؤرخـون أنه أخذ اللواء بيمينه فقطعت، فأخذه بشماله فقطعت فاحتضنه بعضديه حتى قتل وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة، فأثابـه اللـه بـذلك

جناحين في الجنة يطير بهما حيث شاء.

وحدث عبد الله بن عمر قال: (كنت فيهم في تلك الغـزوة، فالتمسنا جعفر بن أبي طـالب فوجـدناه في القتلى ووجـدنا في جسده بضعا وستين من طعنة ورمية)

ثم أخذ الراية عبد الله بن رواحة، هو يقول مخاطبا نفسه:

أقسمت يا نفس طائعة أو
[illegible]

إن أجلب النّاس مالي أراك
[illegible]

قد طال ما قد كنت هل أنت إلا نطفة
[illegible]

ويقول لها:

يا نفس إلّا هذا حمام الموت
[illegible]

وما تمنّيت فقد إن تفعلي فعلهما
[illegible]

وبعد استراحة له، جاءه بعضهم بعرق من لحم فقال: (شـد بهذا صلبك، فإنك لقيت في أيامـك هـذه مـا لقيت)، فأخـذه من يده، ثم انتهس منه نهسة، ثم سـمع الحطمـة في ناحيـة النـاس فقـال: وأنت في الـدنيا؟ ثم ألقـاه من يـده، ثم أخـذ سـيفه، ثم تقدم فقاتل حتى قتل.

وهكـذا سـار الكثـير من الأصـحاب الصـادقين في طريـق الشهادة سـواء في عهـد رسـول اللـه ﷺ، أو بعـده، ومنهم **أبو دجانة، سماك بن خرشـة السـاعدي الأنصـاري**[1]، ذلـك الشهيد الحي الذي كاد يقتـل في غـزوة أحـد، لـولا أن اللـه من عليه بالحياة بعدها، حتى يستشهد بعده.

وقد كان من المستقبلين للنبي ﷺ يـوم هجرتـه، وهـو آخـذ بخطام ناقته يقول معهم: (هلم يا رسول الله إلى العز والثروة، والقـوة والجلـد والعـدد)، لكن رسـول اللـه ﷺ كـان يقـول لهم ولغيرهم: (خلوا سبيلها؛ فإنها مأمورة) [2]

ذلك الذي نجح في مسـابقة اختبـار السـيف، عنـدما أخـرج النبي ﷺ يوم أحـد سـيفا بـاترا، ونـادى أصـحابه: (من يأخـذ هـذا السيف بحقه؟) فقام أبو دجانة، وقال: وما حقه يا رسول اللـه؟

---

1 () الثقات لابن حبان (1/ 134) والسيرة الحلبية (2/ 244)

2 () الثقات لابن حبان (1/ 134) والسيرة الحلبية (2/ 244)

قال: (أن تضرب به وجوه العدو حتى ينحني)، فقال: (أنا آخذه بحقه يا رسول الله)، فأعطاه إياه[1].

حينها خرج يختال، وقد عصب عصابته الحمراء، التي كانت علامة على أنه سيقاتل حتى الموت، وقد وصف الزبير بن العوام قتاله، فقال: (وجدت في نفسي حين سألت رسول الله ﷺ السيف فمنعنيه وأعطاه أبا دجانة، وقلت في نفسي: أنا ابن صفية عمته، ومن قريش، وقد قمت إليه فسألته إياه قبله؛ فآتاه إياه وتركني! والله لأنظرن ما يصنع؟ فاتبعته، فأخرج عصابة له حمراء؛ فعصب بها رأسه؛ فقالت الأنصار: أخرج أبو دجانة عصابة الموت! فجعل لا يلقى أحدا إلا قتله، ولا يرتفع له شيء إلا هتكه وأفراه، وكان في المشركين رجل لا يدع لنا جريحا إلا ذفف عليه، فجعل كل واحد منهما يدنو من صاحبه، فدعوت الله أن يجمع بينهما، فالتقيا فاختلفا ضربتين، فضرب المشرك أبا دجانة؛ فاتقاه بدرقته، فعضت بسيفه، فضربه أبو دجانة فقتله) [2]

وقد روي أنه مر في قتاله بنسوة قريش، فامتنع عن قتلهن، وقال: (رأيت إنسانا يخمش الناس خمشا شديدا؛ فصمدت له، فلما حملت عليه السيف ولول، فإذا امرأة، فأكرمت سيف رسول الله ﷺ أن أضرب به امرأة(

وبعد أن بدأت انتكاسة أحد، وفر الكثير من المعركة، كان أبو دجانة من الثابتين فيها، وقد جعل جسده ترسا دون رسول الله ﷺ يتحمل حر النبل في ظهره وهو منحن على رسول الله ﷺ حتى كثرت عليه[3].

وقد أثنى عليه رسول الله ﷺ وعلى صدقه، وأعطى ابنته فاطمة سيفه، وقال: (هاك السيف؛ فإنها قد شفتني)

ولم يكتف بذلك الجهاد المبارك، بل شارك في حصار بني النضير، وندبه النبي ﷺ مع علي بن أبي طالب وسهل بن حنيف في عشرة من أصحابه لملاحقة اليهود الذين أرادوا أخذ المسلمين على حين غرة، فأدركوهم فقتلوهم[4].

1() رواه مسلم (2470)، وأحمد (3/ 123) والحاكم وصححه (3/ 230)

2() تاريخ الطبري (2/ 63) والكامل لابن الأثير (2/ 106) ودلائل النبوة (3/ 234)

3() البيهقي في دلائل النبوة (3/ 234) وهي في سيرة ابن هشام (3/ 118)

4() سبل الهدى والرشاد (4/ 322)

وهكـذا سـاهم في كـل الغـزوات إلى أن قتـل شـهيدا يـوم اليمامة، وقد ذكر أنس شهادته، فقال: (رمى أبـو دجانـة بنفسـه يوم اليمامة إلى داخل الحديقة ـ وكانت تسمى حديقة المـوت ـ فانكسرت رجله؛ فقاتل وهو مكسور الرجل حتى قتل) (5)

2. شهداء الدعوة:

لم يكن أولئك فقط من سلكوا طريـق الشـهادة في عهـد رسول الله ﷺ وبعده، وإنما كان هناك آخـرون قتلـوا في سـبيل الله مع أنهم لم يخرجوا للقتال، وإنما خرجوا للـدعوة والإصـلاح والتعليم.. لكن النفـوس الممتلئـة بالحقـد راحت تغـدر بهم وتقتلهم.

وليت أولئك الذين ينكرون تلك الآيات الكريمـة الـتي تـأمر بالجهاد، اطلعوا على ما ذكره التاريخ عن هؤلاء، ليعلموا أنه لولا ذلك التشـريع المقـدس الـذي يـتيح للمسـلمين أن يـدافعوا عن أنفسهم، لما بقيت للمسلمين قائمة.

وسنذكر هنا نماذج عنهم، لنعرف البيئة الـتي كلـف رسـول الله ﷺ بدعوتها، وكيف كان الجهاد في سبيل اللـه هـو الوسـيلة الوحيدة التي تحمي الدعوة من سـطوات النفـوس المسـتكبرة الحاقدة.

لقد ذكر المؤرخون أنه قدم على رسول الله ﷺ بعد غـزوة أحد رهط من قبيلتي عضل والقارة، فقالوا: (يا رسـول اللـه إن فينا إسلاما، فابعث معنا نفرا من أصـحابك يفقهوننـا في الـدين، ويقرئوننا القرآن، ويعلموننا شرائع الإسلام)

فبعث رسول الله ﷺ معهم سـتة من أصـحابه، وهم: مرثـد بن أبي مرثد الغنوي، وخالد بن البكير الليـثي الكنـاني، وعاصـم بن ثابت بن أبي الأقلح، وخبيب بن عدي، وزيد بن الدثنـة، وعبـد الله بن طارق.

فخرجـوا مـع القـوم حـتى إذا كـانوا على الرجيـع بناحيـة الحجاز، غـدروا بهم، فاستصـرخوا عليهم هـذيلا فلم يـرع القـوم وهم في رحـالهم إلا الرجـال بأيـديهم السـيوف، قـد غشـوهم، فأخذوا أسيافهم ليقاتلوا القوم فقـالوا لهم: (إنـا واللـه مـا نريـد قتلكم، ولكنا نريد أن نصيب بكم شيئا من أهل مكة، ولكم عهـد الله وميثاقه أن لا نقتلكم)

5() ابن سعد (3/ 556)

وجاء القوم فأحاطوا بهم فقالوا: (لكم العهد والميثاق أن نزلتم إلينا ألّا نقتل منكم رجلا، إنّا واللّه لا نريد قتلكم، إنما نريد أن نصيب منكم شيئا من أهل مكة).

حينها قال عاصم: (أما أنا فلا أنزل في ذمة كافر، اللهم إني أحمي لك اليوم دينك فاحم لحمي، اللهم أخبر عنا رسولك)

وقد استجاب الله دعاءه، قال إبراهيم بن سعد: (فاستجاب اللَّه تعالى لعاصم فأخبر رسول اللّه ﷺ خبره وخبر أصحابه بذلك يوم أصيبوا) (1)

ثم إنه قاتلهم، فقتلوه، وقد ذكر المؤرخون أن قريشا طلبت أن يؤتى لهم بعاصم ولو بشيء من جسده، لأنه قتل عظيما من عظمائهم يوم بدر، وهو عقبة بن أبي معيط، فبعث اللّه عليه مثل الظلة من الدّبر يطير في وجوههم ويلدغهم فحمته من رسلهم فلم يقدروا منه على شيء.

فلما حالت بينهم وبينه، قالوا: دعوه حتى يمسي فتذهب عنه فنأخذه، فبعث اللّه تعالى الوادي فاحتمله فذهب به، وكان عاصم قد أعطى اللّه عهدا ألّا يمس مشركا ولا يمسّه مشرك، فبرّ اللّه عز وجل قسمه، فلم يروه ولا وصلوا منه إلى شيء.

أما خبيب وزيد، وعبد اللّه فقد صعدوا إلى الجبل، فلم يقدروا عليهم حتى أعطوهم العهد والميثاق، فنزلوا إليهم، فلما استمكنوا منهم أطلقوا أوتار قسيهم فربطوهم بها، ثم خرجوا بهم إلى مكة ليبيعوهم بها حتى إذا كانوا بالظّهران انتزع عبد اللّه بن طارق يده من القران، ثم أخذ سيفه واستأخر عنه القوم فرموه بالحجارة حتى قتلوه فقبروه بالظّهران.

ثم انطلقوا بزيد وخبيب فباعوهما بمكة، فحبسوهما حتى خرجت الأشهر الحرم، ثم راحوا يمارسون جرائمهم بقتلهم، بعد أن مارسوا جرائمهم بتعذيبهم.

وقد ذكر المؤرخون أنه لما أتوا بزيد بن الدثنة لقتله، واجتمع رهط من قريش، منهم أبو سفيان الذي قال له مخاطبا: (أنشدك اللّه يا زيد أتحب أن محمدا عندنا الآن في مكانك نضرب عنقه وأنك في أهلك؟)، فقال زيد: (واللّه ما أحب أن محمدا الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه وأني جالس في أهلي)، فقال أبو سفيان: (ما رأيت من الناس

1() رواه البخاري 7/ 437 (4086)

أحدا يحب أحدا كحب أصحاب محمد محمدا)

وهكـذا فعلـوا بخـبيب بن عـدي الـذي رأى القرشـيون الكرامات تترى على يديه، ومع ذلك لم تتحرك قلوبهم للإيمـان، بل تحركت أيديهم لقتله، فقـد روي أنـه في الفـترة الـتي حبس فيها انتظارا لقتلـه بعـد خـروج الأشـهر الحـرم، قـالت بعض من كان محبوسا في بيتها: (والله مـا رأيت أسـيرا خـيرا من خـبيب، والله لقد وجدته يأكل قطفـا من عنب مثـل رأس الرجـل، وإنـه لموثق بالحديد وما بمكة من ثمرة، وما كان إلا رزقا رزقه اللـه) (1)

وقالت: (اطلعت عليه من صير الباب وإنه لفي الحديد وإن في يده لقطفا من عنب مثل رأس الرّجل يأكـل منـه ومـا أعلم في أرض اللّه تعالى عنبا يؤكل)

وروي أنه كان يتهجّد بالقرآن فكان يسـمعه النسـاء فيبكين ويرفقن عليه، فلما انسلخت الأشهر الحرم، وأجمعوا على قتلـه قالت ماوية: (فأتيته فأخبرته فو اللّه ما اكترث بذلك)

ثم أخرجوه مغلولا في الحديد حـتى انتهـوا بـه إلى التنعيم، وخرج معه النساء والصبيان والعبيد وجماعة من أهل مكـة، فلم يتخلّف أحد منهم يريدون التشـفي برؤيتـه، فلمـا انتهـوا بـه إلى التنعيم أمروا بخشبة طويلة فحفروا لها.

فلمـا انتهـوا بخـبيب إليهـا قـال: (هـل أنتم تـاركي فأصـلّي ركعتين؟) قالوا: نعم. فركع ركعـتين أتمّهمـا من غـير أن يطـوّل فيهما، ثم أقبل على القوم فقال: (أما واللّه لـولا أن تظنـوا أني إنما طوّلت جزعا من القتل لاستكثرت من الصلاة) (2)

وبعـد أن انتهى من صـلاته، قـال: (اللهم أحصـهم عـددا واقتلهم بـددا ولا تغـادر منهم أحـدا)، وقـد كـان معاويـة بن أبي سفيان حينها من الذين حضروا يشمتون به وبقتله، فقـال: (لقـد حضرت مع أبي سفيان، فلقد رأيتني وإن أبـا سـفيان ليضـجعني إلى الأرض فرقـا من دعـوة خـبيب)، وقـال حـويطب بن عبـد العزّى: (لقد رأيتني أدخلت إصبعي في أذنيّ وعدوت هاربا فرقا أن أسمع دعاءه)، وكأن ذلـك الاضـطجاع وغـيره سـيحميهم من تلك الدعوة التي نزلت بهم.

---

1 () رواه البخاري (4086)

2 () رواه البخاري (4086)

فلما صلى الركعتين جعلوه على الخشبة، ثم وجّهوه إلى المدينة وأوثقوه رباطا، ثم قالوا له: (ارجع عن الإسلام نخل سبيلك). قال: (لا والله ما أحب أني رجعت عن الإسلام وأن لي ما في الأرض جميعا). قالوا: (أفتحب أن محمدا في مكانك وأنت جالس في بيتك؟) قال: (لا والله ما أحب أن يشاك محمد شوكة وأنا جالس في بيتي). فجعلوا يقولون: (ارجع يا خبيب)، فقال: (لا أرجع أبدا). قالوا: (أما واللات والعزى لئن لم تفعل لنقتلنّك)، فقال: (إن قتلى في الله لقليل)، ثم قال: (اللهم إني لا أرى إلا وجه عدو، الله إنه ليس هنا أحد يبلغ رسولك عني السلام، فبلّغه أنت عني السلام)

فلما رفع على الخشبة أخذ يدعو، وقد روي عن أسامة بن زيد أن رسول الله ﷺ (كان جالسا حينها في أصحابه فأخذته غمية كما كانت تأخذه فلما نزل عليه الوحي سمعناه يقول: (وعليه السلام ورحمة الله وبركاته). ثم قال: (هذا جبريل يقرئني من خبيب السلام)، ثم قال: (وعليك السلام، خبيب قتلته قريش)

ثم دعا المشركون أربعين ولدا ممن قتل آباؤهم ببدر كفّارا، فأعطوا كل غلام رمحا وقالوا: (هذا الذي قتل آباؤكم، فطعنوه برماحهم طعنا خفيفا)، فاضطرب على الخشبة، فانقلب فصار وجهه إلى الكعبة، فقال: (الحمد للّه الذي جعل وجهي نحو قبلته التي رضي لنفسه)، ثم قتلوه.

***

هذه سادتي بعض الذكريات الجميلة التي لا نزال نحملها عنكم، وهي تدلنا على مبلغ النجاح الذي حققه رسول الله ﷺ في تربيتكم وتوجيكم وتعليمكم جميع قيم الإيمان.

وليت الذين ينشغلون بالدفاع عن الطلقاء، والاعتذار عن الفارين عن الزحف، والمولين الدبر، والمتثاقلين للدنيا، تركوهم، وانشغلوا بكم، وأحيوا من خلال ذكركم المفهوم الصحيح لصحبة رسول الله ﷺ.. تلك الصحبة الشريفة التي لا ينال حقيقة معناها إلا الصادقون، فليس كل من دخل المدرسة تلميذ، ولا كل من تشرفت عيناه برؤية رسول الله ﷺ تشرف قلبه بها، وإلا كان المشركون واليهود الذي رأوه من كبار الصحابة، فقد طالت رؤيتهم له بمقدار طول عداوتهم.

رسالة إلى الأصحاب الأوفياء

سادتي يا أصحاب رسول اللـه ﷺ.. يـا من امتلأتم بالوفـاء، ولم تنقضـوا العقـود، ولم تنكثـوا العهـود، بـل حـافظتم عليهـا، وضحيتم في سبيلها إلى أن توفاكم الله بعد أن ذقتم كـل ألـوان البلاء.

لقد كنتم تدركون جيدا أن صحبة رسول الله ﷺ، وإن كانت شريفة مقدسة إلا أن مسؤولياتها لا تقـل عن شـرفها.. ذلـك أن كـل من صـحب رسـول اللـه ﷺ، وأعطى المثـال السـيء عنـه، يكون مثل ذلك التلميذ الفاشل الذي يشوه أستاذه.

لذلك كنتم تحرصون كل حين على مراقبة أنفسـكم، حـتى لا تشوهوا نبيكم، ولا القيم العظيمة التي رباكم عليها.

وقد كنتم تذكرون كل حين أن رسول اللـه ﷺ تـرككم على عهود عظيمـة، وأن أسـاس علاقتكم بـه حرصـكم على تنفيـذها بدقة، حتى لا يصدق فيكم ما صدق على أصحاب الأنبيـاء الـذين خانوا الصحبة، ونقضوا العهود، كما قال تعالى بعد ذكره للرسـل عليهم الصـلاة والسـلام: ﴿ وَلَـوْ شَـاءَ اللَّهُ مَـا اقْتَتَـلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنِ اخْتَلَفُـوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَـرَ وَلَـوْ شَـاءَ اللَّهُ مَـا اقْتَتَلُـوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَـلُ مَـا يُرِيدُ﴾ [البقرة: 253]

وقال بعد أن أثنى على مجموعة من الأنبياء عليهم الصـلاة والسـلام: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَـا مَـعَ نُـوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْـرَاهِيمَ وَإِسْـرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَـرُّوا سُـجَّدًا وَبُكِيًّا (58) فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَـاعُوا الصَّـلَاةَ وَاتَّبَعُـوا الشَّـهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ [مريم: 58، 59]

بل إن الله تعالى أخبر أن الناقضين لعهـودهم مـع أنبيـائهم عليهم السلام، لا ينتظرون وفاتهم، بل إنهم ينقضـونها، وبـأقرب فرصة لذلك الانقلاب الخطير، كما قال تعالى:﴿وَمَا أَعْجَلَـكَ عَنْ قَوْمِكَ يَـا مُوسَـى (83) قَـالَ هُمْ أُولَاءِ عَلَى أَثَـرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْـكَ رَبِّ لِتَرْضَى (84) قَـالَ فَإِنَّا قَـدْ فَتَنَّا قَوْمَـكَ مِنْ بَعْـدِكَ وَأَضَـلَّهُمُ السَّامِرِيُّ (85) فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِـهِ غَضْـبَانَ أَسِـفًا قَـالَ يَـا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا أَفَطَـالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْـدُ أَمْ أَرَدْتُمْ

أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِي﴾ [طه: 83 - 86]

ولهذا كنتم تقرؤون هذه الآيات الكريمة، وتطبقونها على أنفسكم، لا على بني إسرائيل، فالله تعالى ما أنزل القرآن الكريم على بني إسرائيل، وإنما أنزله على هذه الأمة.

وكيف لا تقرؤونها بمثل تلك القراءة، وقد ورد في القرآن الكريم ما يشير إلى أن هذه الأمة لا تختلف عن سائر الأمم في هذه السنة، ولو أنها كانت متميزة عنها في ذلك لاستثنى، قال تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ [آل عمران: 144]

بل ورد في آية أخرى الدلالة على أن الأمة ستفترق بعده ﷺ إلى ثلاث فرق، قال تعالى: ﴿وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ (31) ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ [فاطر: 31، 32]

وقد ورد في الحديث ما يبين أن هذه الفرق تشمل الصحابة فمن بعدهم، فقد روي أن عائشة سئلت عن الآية الكريمة، فقالت ــ ردا على من سألها ــ: (يا بني، هؤلاء في الجنة، أما السابق بالخيرات فمن مضى على عهد رسول الله ﷺ، شهد له رسول الله ﷺ بالحياة والرزق، وأما المقتصد فمن اتبع أثره من أصحابه حتى لحق به، وأما الظالم لنفسه فمثلي ومثلكم) (1)

وكيف لا تقرؤونها بمثل تلك القراءة، وقد كنتم تسمعون رسول الله ﷺ يذكر لكم كل حين أن جيلكم الذي تشرف بصحبته كغيره من الأجيال، لا ضمانه له بأن يبقى ملتزما، فالنجاح في الاختبار الإلهي هو الذي يحدد مصير كل إنسان، وما دام حيا، فهو عرضة للنجاح والسقوط، وقد روي أن رسول الله ﷺ قال لشهداء أحد: (هؤلاء أشهد عليهم)، فقال أبو بكر: ألسنا يا رسول الله بإخوانهم، أسلمنا كما أسلموا، وجاهدنا كما جاهدوا، فقال رسول الله ﷺ: (بلى، ولكن لا أدري ما تحدثون

1() مسند الطيالسي برقم (1489)

بعدي)[1]

وفي حديث آخر أن النبي ﷺ قام على أهل البقيع، فقال: (السلام عليكم يا أهل القبور من المؤمنين والمسلمين، لو تعلمون ما نجاكم الله منه مما هو كائن بعدكم)، ثم نظر إلى أصحابه، فقال: هؤلاء خير منكم. قالوا: يا رسول الله، وما يجعلهم خيراً منا؟ قد أسلمنا كما أسلموا وهاجرنا كما هاجروا، وأنفقنا كما أنفقوا، فما يجعلهم خيراً منا؟ فقال ﷺ: (إن هؤلاء مضوا لم يأكلوا من أجورهم شيئا، وشهدت عليهم. وإنكم قد أكلتم من أجوركم بعدهم، ولا أدري كيف تفعلون بعدي)[2]

وهكذا كنتم تسمعون الأحاديث الكثيرة التي تحذر من الفتن، وتخبر أنها قريبة منكم، وأن بابها سيفتح عليكم بعد وفاته مباشرة.

لقد حدث أسامة بن زيد قال: أشرف النبي ﷺ على أطم من آطام المدينة، ثم قال: (هل ترون ما أرى؟ إني أرى مواقع الفتن خلال بيوتكم كمواقع القطر) [3]

وحدث كعب بن عجرة الأنصاري قال: خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن في المسجد، أنا تاسع تسعة، فقال لنا: (أتسمعون هل تسمعون ـ ثلاث مرار ـ إنها ستكون عليكم أئمة، فمن دخل عليهم فصدقهم بكذبهم وأعانهم على ظلمهم فلست منه، وليس مني، ولا يرد علي الحوض يوم القيامة، ومن دخل عليهم ولم يصدقهم بكذبهم ولم يعنهم على ظلمهم فهو مني وأنا منه، وسيرد علي الحوض يوم القيامة) [4]

وهكذا كنتم تسمعون تحذيراته ﷺ من الفتن التي ستحل بالأمة، فتن السراء، وفتن الضراء، فقد بالغ ﷺ في نصحكم، وذكر لكم كل ما سيحصل لكم من أنواع الاختبار التي أشار إليها قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [التوبة: 16]

وغيرها من الآيات الكريمة التي فسرتها الأحاديث الكثيرة

1() موطأ مالك 2: 461.

2() الزهد لابن مبارك: 171. المصنف لعبد الرزاق 3: 575.

3() صحيح البخاري 2: 871، صحيح مسلم 4: 2211.

4() السنن الكبرى للبيهقي 8: 165.

التي تبين لكم بدقة ما سيحصل لكم، ومنها ما رواه عبد الله بن عمرو أن النبي ﷺ قال: (كيف أنتم إذا فتحت عليكم خزائن فارس والروم.. أي قوم أنتم؟) قال عبد الرحمن بن عوف: نقول كما أمرنا الله، قال: (أو غير ذلك؟ تتنافسون ثم تتحاسدون ثم تتدابرون)[1]

وفي حديث آخر عن عمرو بن عوف عن النبي ﷺ قال: (والله ما الفقر أخشى عليكم، ولكن أخشى أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم، فتنافسوها كما تنافسوها، فتهلككم كما أهلكتهم)[2]

وفي حديث آخر عن أبي برزة عن النبي ﷺ قال: (إنما أخشى عليكم الشهوات التي في بطونكم وفروجكم ومضلات الفتن) [3]، وفي رواية: (ومضلات الهوى)[4]

وقد ورد في الحديث ما يشير إلى أن الشر سيكون بعد النبوة مباشرة، ففي الحديث عن حذيفة قال: كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني، فقلت يا رسول الله: إنا كنا في جاهلية وشر فجاءنا الله بهذا الخير فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: نعم، قلت: وهل بعد ذلك الشر من خير؟ قال: نعم، وفيه دخن، قلت: وما دخنه؟ قال: قوم يهدون بغير هديي، تعرف منهم وتنكر، قلت: فهل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: نعم، دعاة على أبواب جهنم، من أجابهم إليها قذفوه فيها، قلت: يا رسول الله: صفهم لنا، فقال: هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا، قلت: فما تأمرني إن أدركني ذلك؟ قال: تلزم جماعة المسلمين وإمامهم. قلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: فاعتزل تلك الفرق كلها ولو أن تعض بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك)[5]

وهكذا كنتم تعلمون أن سنة الله في الأمم السابقة ستحل بهذه الأمة أيضا، فقد قال ﷺ لكم مخاطبا ومحذرا: (لتتبعنَّ

1() مسلم (2962)، ابن ماجه (3996)

2() البخاري (2988)، مسلم (2961)، الترمذي (2462)، ابن ماجه (3997)، أحمد (4/ 137)

3() أحمد (4/ 420)

4() أحمد (4/ 420)

5() البخاري 4/ 242 (3606) وفي 9/ 65 (7084) ومسلم (6/ 20 (4812)

سنن من كان من قبلكم شبر بشبر وذراع بذراع، حتى لو دخلوا جحر ضب تبعتموهم)، قلنا: يا رسول الله اليهود والنصارى؟ قال: (فمن؟)[1]

وقد قال حذيفة ــ وهو المهتم بأحاديث الفتن ــ: (لتركبن سنة بني إسرائيل حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة، غير أني لا أدري تعبدون العجل أم لا) [2]

لكنكم سادتي استطعتم أن تنجحوا في الاختبارات، وهذا لا يعني عصمتكم، فأنتم أنفسكم تقرون بتقصيركم، ولكن فرق كبير بين ذلك الذي يخطئ ويعترف، ثم يعود إلى السراط المستقيم، وبين ذلك الذي يستمر في غيه وضلاله وتبديله.

لن أتحدث عن جميعكم هنا، فمنكم من لم يسجل التاريخ أسماءهم، ومنكم من لم يحفظ أحاديثه الرواة.. ولذلك اعذروني في أن أذكر أربعة منكم، كانوا من أحسن نماذج الوفاء للعهود التي عاهدوا عليها رسول الله ﷺ.. حيث حافظوا عليها إلى أن أعادهم الله تعالى لصحبة نبيه ﷺ، وهو عنهم راض.

1. المقداد بن الأسود:

واعذروني سادتي في أن أبدا بأحدكم، وهو سيد من سادات الوفاء.. شهد لله رسول الله ﷺ بذلك.. وشهد له التاريخ كله بذلك.

إنه أحد الأربعة الذين تشتاق لهم الجنة.. أولئك الذين أمر رسول الله ﷺ بحبهم، وأمرنا بالتأسي به في ذلك.

إنه أحد الذين قال فيهم رسول الله ﷺ: (إن الجنة تشتاق إلى أربعة: إلى عمار، وعلي وسلمان، والمقداد) [3]، وقال: (إن الله تعالى أمرني بحب أربعة، وأخبرني أنه يحبهم، وإنك يا علي منهم، والمقداد وأبو ذر وسلمان) [4]

إنه صاحب ذلك المشهد الذي تمنى عبد الله بن مسعود ـ على جلالة قدره ــ أن يكون صاحبه، فقال: (لقد شهدت من المقداد مشهدا لأن أكون أنا صاحبه أحب إلي مما في الأرض

---

1 () أحمد، 5/ 21. النسائي، 6/ 346 رقم 11185. الترمذي، 4/ 475 رقم 2180 ..

2 () مصنف ابن أبي شيبة 7: 481.

3 () حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (1/ 142)

4 () حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (1/ 172)

من شيء، وكان رجلا فارسا، وكان رسول الله ﷺ إذا غضب احمرت وجنتاه، فأتاه المقداد على تلك الحال فقال: (أبشر يا رسول الله، فوالله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى عليه السلام: اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون، ولكن والذي بعثك بالحق لنكونن من بين يديك، ومن خلفك، وعن يمينك، وعن شمالك، أو يفتح الله عز وجل لك)[1]

إنه أحد أولئك الذين (أخذهم المشركون وألبسوهم أدرع الحديد، ثم صهروهم في الشمس، فما منهم أحد إلا وأتاهم على ما أرادوا إلا بلالا، فإنه هانت عليه نفسه في الله، وهان على قومه فأعطوه الولدان فجعلوا يطوفون به في شعاب في مكة، وهو يقول: أحد أحد)[2]

إنه ذلك الذي ضحى بكل شيء، وتحمل الجوع الشديد من أجل نصرة الإسلام، وقد ورد في الحديث أنه قال: (جئت أنا وصاحبان، لي قد كادت تذهب أسماعنا وأبصارنا من الجهد، فجعلنا نعرض أنفسنا على أصحاب رسول الله ﷺ، فما يقبلنا أحد حتى انطلق بنا رسول الله ﷺ إلى رحله، ولآل محمد ثلاث أعنز يحتلبونها، فكان النبي ﷺ يوزع اللبن بيننا، كنا نرفع لرسول الله ﷺ نصيبه، فيجيء فيسلم تسليما يسمع اليقظان ولا يوقظ النائم، فقال لي الشيطان: لو شربت هذه الجرعة فإن النبي ﷺ يأتي الأنصار فيتحفونه، فما زال بي حتى شربتها، فلما شربتها ندمني وقال: ما صنعت؟ يجيء محمد ﷺ فلا يجد شرابه فيدعو عليك فتهلك، وأما صاحباي فشربا شرابهما ونامـا، وأما أنا فلم يأخذني النوم، وعلي شملة لي إذا وضعتها على رأسي بدت منها قدماي، وإذا وضعتها على قدمي بدا رأسي، وجاء النبي ﷺ كما كان يجيء فصلى ما شاء الله أن يصلي، ثم نظر إلى شرابه فلم ير شيئا فرفع يده، فقلت: تدعو علي الآن فأهلك، فقال رسول الله ﷺ: (اللهم أطعم من أطعمني، واسق من سقاني)، فأخذت الشفرة وأخذت الشملة وانطلقت إلى الأعنز أجسهن أيتهن أسمن كي أذبحه لرسول الله ﷺ، فإذا حفل كلهن، فأخذت إناء لآل محمد ﷺ كانوا يطمعون أن يحتلبوا فيه فحلبته حتى علته الرغوة، ثم أتيت رسول الله ﷺ، فشرب ثم

---

1 () حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (1/ 172)

2 () حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (1/ 149)

نـاولني فشـربت، ثم ناولتـه فشـرب، ثم نـاولني فشـربت، ثم ضحكت حـتى ألقيت إلى الأرض، فقـال لي: (إحـدى سـوآتك يـا مقداد)، فأنشأت أحدثه بما صنعت، فقـال رسـول اللـه ﷺ: (مـا كـانت إلا رحمـة من اللـه عـز وجـل، لـو كنت أيقظت صـاحبيك فأصابا منها)، قلت: والذي بعثك بالحق، ما أبالي إذا أصـبتها أنت وأصبت فضلتك من أخطأت من الناس)(1)

وقال: (لمـا نزلنـا المدينـة عشـرنا رسـول اللـه ﷺ عشـرة عشرة، يعني في كل بيت، قال: فكنت في العشرة الـذين كـان النبي ﷺ فيهم، قال: ولم يكن لنا إلا شاة نتجزأ لبنها) (2)

إنه ذلـك الـذي عـرف الجاهليـة والإسـلام، ومـيز بين القيم الـتي تمثلهمـا، ولم يغـتر بالصـحبة المجـردة عن القيم، وقـد رد على من قال له: (طوبى لهاتين العينين اللتين رأتا رسـول اللـه ﷺ، والله لوددنا أنا رأينا ما رأيت، وشـهدنا مـا شـهدت)، بقولـه: (ما يحمل الرجل أن يتمنى محضرا غيبة الله عنه لا يـدري كيـف يكون فيه، والله لقد حضر رسول الله ﷺ أقوام كبهم اللـه على مناخرهم في جهنم لم يجيبوه ولم يصدقوه، ألا يحمد الله تعالى أحدكم أن لا تعرفوا إلا ربكم مصدقين بمـا جـاء بـه نـبيكم، فقـد كفيتم البلاء بغـيركم، واللـه لقـد بعث النـبي ﷺ على أشـد حـال بعث عليها نبي من الأنبيـاء في فـترة وجاهليـة لم يـروا أن دينـا أفضل من عبادة الأوثان، فجاء بفرقان فرق بين الحق والباطل، وفرق بين الوالـد وولـده، حـتى إن كـان الرجـل لـيرى والـده أو ولده أو أخاه كافرا، وقد فتح الله تعالى قفل قلبه للإيمان ليعلم أنه قد هلك من دخل النـار، فلا تقـر عينـه وهـو يعلم أن حميمـه في النار، وأنها التي قال الله تعالى: ﴿رَبَّنَـا هَبْ لَنَـا مِنْ أَزْوَاجِنَـا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: 74])(3)

إنه ذلك الذي أدرك بأن الاختبارات الإلهيـة ليسـت متوقفـة على فترة دون فترة، وأن ادعاء الإسلام والصحبة ليسا كـافيين، وقد قـال في ذلك: (العجب من قـوم مـررت بهم آنفـا، يتمنـون الفتنة، ويزعمون ليبتلينهم الله فيها بما ابتلى به رسـول اللـه ﷺ وأصـحابه، وأيم اللـه لقـد سـمعت رسـول اللـه ﷺ يقـول: (إن

1() حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (1/ 173)

2() حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (1/ 174)

3() رواه مسلم (4/ 3154) 250

السعيد لمن جنب الفتن ـ يرددها ثلاثا ــ وإن ابتلي فصبر)، وأيم الله لا أشهد لأحد أنه من أهل الجنة حتى أعلم بما يموت عليه بعد حديث سمعته من رسول الله ﷺ، سمعت رسول الله ﷺ يقول: (لقلب ابن آدم أسرع انقلابا من القدر إذا استجمعت غليا) (1)

ولذلك كان يلوم المتقاعسين والقاعدين في كل الجبهات، حتى في جبهة القتال، وقد روي عن أبي يزيد المكي قال: (كان أبو أيوب والمقداد يقولان: أمرنا أن ننفر على كل حال، ويتأولان هذه الآية: ﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا ﴾ [التوبة: 41])

وقال أبو راشد الحبراني: وافيت المقداد بن الأسود فارس رسول الله ﷺ جالسا على تابوت من تابوت الصيارفة بحمص، قد فضل عنها من عظمه، يريد الغزو؛ فقلت له: لقد أعذر إليك. قال: أتت علينا سورة البعوث: ﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا ﴾ [التوبة: 41])

ولهذا كانت كل أمانيه الشهادة في سبيل الله، وقد قال محدثا عن نفسه في غزوة الغابة: (فخرجت وأنا أسأل الله الشهادة حتى أدرك أخريات العدو)، لكن الله تعالى شاء له فيها النصر، وقد مدحه حينها حسان بن ثابت، فقال في تصويره الشاعري لتلك الغزوة(2):

لولا الّذي لاقت ومسّ بجنوب ساية أمس
في الثّقوب

للقينكم يحملن كلّ حامي الحقيقة ماجد
مدجّج الأحداد

ولسرّ أولاد اللّقيطة سلم غداة فوارس
أبّيا المقداد

وبسبب هذا لم يغب عن أي غزة من الغزوات، بل كان في جميعها فارسا وبطلا، ولهذا جعله رسول الله ﷺ يوم أحد على الخيل بعد إعطاء لواء المهاجرين للإمام علي، ولواء الأوس إلى أسيد بن خضير، ولواء الخزرج إلى الحباب بن المنذر.

وقد قال فيه بعضهم يذكر هذه الصفة: (ما بقي أحدٌ إلا وقد جال جولة إلا المقداد بن الأسود فإن قلبه كان مثل زبر

1() حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (1/ 175)

2() سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد (5/ 104)

الحديد) [1]

ولذلك لم يكن يرى في الدين وسيلة للمغانم والمكاسب، وإنما كان يرى فيه وسيلة لتكميل النفس وتربيتها وتهذيبها، وقد بدأ ذلك معه من عهد رسول الله ﷺ، فقد روي عنه أنه قال يحدث عن نفسه: (بعثني رسول الله ﷺ مبعثا، فلما رجعت قال لي: كيف تجد نفسك؟ قلت: ما زلت حتى ظننت أن معي حولا لي، وأيم الله، لا ألي على رجلين بعدها أبدا)

وما ذلك إلا لحسابه لنفسه، وورعه وتقواه، وهو تنبيه لأولئك المسارعين في طلب الولايات على الرغم من عدم تهذيبهم لأنفسهم، وتأديبهم لها.

لكنه ـ مع ورعه الذي جعل يترك الإمارة وطلبها ــ كان يمارس دوره الواجب عليه في النصيحة لكل من ولي أي مسؤولية، لا تأخذه في ذلك لومة لائم، وقد حدث الحارث بن سويد، قال: كان المقداد بن الأسود في سرية فحصرهم العدو، فعزم الأمير أن لا يحشر أحد دابته، فحشر رجل دابته لم تبلغه العزيمة، فضربه، فرجع الرجل وهو يقول: ما رأيت كما لقيت اليوم قط، فمر المقداد فقال: ما شأنك؟ فذكر له قصته، فتقلد السيف وانطلق معه حتى انتهى إلى الأمير فقال: أقده من نفسه، فأقاده فعفا الرجل، فرجع المقداد وهو يقول: (لأموتن والإسلام عزيز) [2]

ومن صفاته العظمى التي وفرت له تلك المكانة الخاصة في قلب رسول الله ﷺ تلك الطاعة المطلقة لرسول الله ﷺ، والتي يسلم له فيها تسليما مطلقا، فلا يجادله، ولا يماريه، ولا يقدم رأيه على رأيه، وقد روي عنه أنه قال: أنا أسرت الحكم بن كيسان، أراد أميرنا ضرب عنقه، فقلت: دعه نقدم به على رسول الله ﷺ قدمنا، فجعل رسول الله ﷺ يدعوه إلى الإسلام فأطال، فقال عمر: علام تكلم هذا يا رسول الله؟ والله لا يسلم هذا آخر الأبد، دعني أضرب عنقه ويقدم إلى أمه الهاوية، فجعل النبي ﷺ لا يقبل على عمر حتى أسلم الحكم، فقال عمر: فما هو إلا أن رأيته قد أسلم حتى أخذني ما تقدم وما تأخر، وقلت: كيف أرد على النبي ﷺ أمرا هو أعلم به مني؟ ثم أقول: إنما

---

1 () معجم رجال الحديث، ج18، ص360 و363.

2 () حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (1/ 176)

أردت بذلك النصيحة لله ولرسوله، فقال عمر: فأسلم والله فحسن إسلامه وجهد في الله حتى قتل شهيدا ببئر معونة ورسول الله ﷺ راض عنه ودخل الجنان[1].

وروي أن رسول الله ﷺ قال للذين جادلوه أو هموا بقتله معاتبا لهم: (لو أطعتكم فيه آنفا فقتلته دخل النار) [2]

ومن صفاته العظمى ذلك الثبات على المبدأ، والوفاء بالعهد، والالتزام بتلك الوصية التي أوصى بها رسول الله ﷺ في حق الإمام علي، والتي تصور الكثير من الصحابة ومن بعدهم أنها مجرد اجتهاد من رسول الله ﷺ، وليست أمرا جازما، ولا حكما نافذا، لكن المقداد لم يكن يرى ذلك، بل كان يعلم أن كل كلمة من رسول الله ﷺ وحي يوحى، لا مجال فيه للعاطفة، ولا للرأي المجرد.

ولهذا ذكره الإمام الصادق من جملة الذين طالبوا بعد وفاة رسول الله ﷺ بتطبيق وصيته، وحكم الإمام علي، ولم يرجعوا عن ذلك إلا خشية من تفرق صف المسلمين، فقد قال: (كان الذي أنكر على أبي بكر اثنى عشر رجلا من المهاجرين: خالد بن سعيد بن العاص، وكان من بني أمية وسلمان الفارسي وأبو ذر الغفاري والمقداد بن الأسود وعمار بن ياسر وبريدة الأسلمي ومن الأنصار أبو الهشيم بن التيهان وسهل وعثمان ابنا حنيف وخزيمة بن ثابت ذو الشهادتين وأبي بن كعب وأبو أيوب الأنصاري)

وقال: (إنما منزلة المقداد في هذه الأُمة كمنزلة ألف في القرآن، لا يلزق بها شيء) [3]

ومما كتبه الإمام الرضا للمأمون في محض الإسلام، وشرائع الدين قوله: (والذين مضوا على منهاج نبيهم ﷺ ولم يغيروا، ولم يبدِّلوا، مثل: سلمان الفارسي، وأبي ذر الغفاري، والمِقداد بن الأسود) [4]

وقد روي من نصائحه التي أسداها للخليفة الأول منكرا عليه قوله: (يا أبا بكر تب إلى ربك والزم بيتك، وابك على

---

1 () رواه ابن سعد، حياة الصحابة (1/ 72)

2 () رواه ابن سعد، حياة الصحابة (1/ 72)

3 () الاختصاص:10.

4 () عيون أخبار الرضا عليه السلام للشيخ الصدوق 134:2

خطيئتك، وسلم الأمر لصاحبه الذي هو أولى به منك، فقد علمت ما عقده رسول الله ﷺ في عنقك من بيعته، وألزمك من النفوذ تحت راية أسامة بن زيد وهو مولاه، ونبه على بطلان وجوب هذا الأمر لك ولمن عضدك عليه بضمه لكما إلى علم النفاق ومعدن الشنان والشقاق عمرو بن العاص الذي أنزل الله فيه على نبيه ﷺ: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ [الكوثر: 3]، فلا اختلاف بين أهل العلم أنها نزلت في عمرو، وهو كان أميرا عليكما في الوقت الذي أنفذه رسول الله ﷺ في غزاة ذات السلاسل، وأن عمرا قلد كما حرس عسكره، فأين الحرس إلى الخلافة، اتق الله وبادر بالاستقالة قبل فوتها، فإن ذلك أسلم لك في حياتك وبعد وفاتك، ولا تركن إلى دنياك ولا تغرنك قريش وغيرها، فعن قليل تضمحل عنك دنياك ثم تصير إلى ربك فيجزيك بعملك، وقد علمت وتيقنت أن علي ابن أبي طالب هو صاحب الأمر بعد رسول الله ﷺ، فسلمه إليه بما جعله الله له فإنه أتم لسترك واخف لوزرك، فقد والله نصحت لك إن قبلت نصحي وإلى الله ترجع الأمور) [1]

وروي من دفاعه عن آل بيت النبوة، وتنفيذه لوصايا رسول الله ﷺ في ذلك أنه قال: (ما رأيت مثل ما أوذي به أهل هذا البيت بعد نبيهم)، فقال له عبد الرحمن بن عوف: وما أنت وذاك يا مقداد، فقال: (إني والله لأحبهم لحب رسول الله ﷺ إياهم، وإن الحق معهم وفيهم، يا عبد الرحمن أعجب من قريش وإنما تطولهم على الناس بفضل أهل هذا البيت، قد اجتمعوا على نزع سلطان رسول الله ﷺ بعده من أيديهم، أما وأيم الله يا عبد الرحمن لو أجد على قريش أنصارا لقاتلتهم كقتالي إياهم مع النبي ﷺ يوم بدر) [2]

2. بلال بن رباح:

واعذروني بعد المقداد أن أذكر أخاه بلالا.. ذلك الذي منعته حبشيته من أن يذكر في المبشرين بالجنة، مع أن الأحاديث وردت بذلك، بل وردت بما هو أشرف منه، فقد كان رسول الله ﷺ يذكره، ويثني عليه، ويعتبره من السابقين الصادقين، وفوق ذلك استعمله أمينا للمال في عهده، حتى يكون ذلك درسا لمن

---

1 () الاحتجاج، ص102.

2 () مروج الذهب ج 2، ص 352.

عزلوه، وعزلوا أمثاله من الأمناء، وراحوا يولـون الطلقـاء أمـور المسلمين.

وقـد قـال ﷺ يـذكر دخولـه الجنـة: (رأيتـني دخلت الجنـة وسمعت خشفا أمامي، فقلت: من هذا يـا جبريـل؟ فقـال: هـذا بلال) (1)

وذكر أن ذلك الدخول لم يكن مجانيا، ولا للصحبة المجردة عن العمل، وإنما لبعض الأعمال التي كان يقـوم بهـا بلال، وهي وإن بدت بسيطة، لكنهـا تـدل على شخصـه والقيم الـتي يـؤمن بها، ففي الحديث أن رسول الله ﷺ قال لبلال بعد صلاة الغداة: (حدثني بأرجى عمـل عملتـه عنـدك في الإسـلام منفعـة، فـإني سمعت الليلة خشف نعليـك بين يـدي في الجنـة، قـال بلال: مـا عملت عملا في الإسـلام أرجى عنـدي منفعـة من أني لا أتطهـر طهورا تاما في ساعة من ليل أو نهار إلا صليت بذلك الطهور ما كتب الله لي أن أصلي)(2)

وهكذا شرفه ﷺ بلقب [سيد المؤذنين]، فقال: (نعم المـرء بلال، وهو سيد المؤذنين)(3)

وشـرفه بـأن اعتـبره سـابق قومـه، فقـال: (بلال سـابق الحبشة)(4)

وشرفه بأن ذكر معاناته والأذى الذي لحقه، وأشـركه معـه في ذكره، فقال: (لقد أوذيت في اللـه ومـا يـؤذى أحـد، وأخفت في اللـه ومـا يخـاف أحـد، ولقـد أتت علي ثلاثـون من بين يـوم وليلة وما لي ولبلال ما يأكله ذو كبد؛ إلا ما يواري إبط بلال)(5)

وإلى الآن لا تـزال صـورته ترتسـم في الأذهـان لتمثـل الصحبة الحقيقية تلك التي تتحمـل الآلام في سـبيل الإسـلام، لا تلك التي لبسها الطلقاء وإخوانهم زورا وبهتانا.

وقد ذكر الرواة الكثير من مشاهد الآلام التي مر بهـا، وهـو يضحي بنفسه في سـبيل عقيدتـه، فعن عـروة بن الزبـير قـال: (كان بلال لجارية من بني جمح، وكـانوا يعذبونـه برمضـاء مكـة،

1() حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (1/ 150)

2() رواه البخاري 3 / 28 ، ومسلم رقم (2458)

3() حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (1/ 147)

4() حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (1/ 149)

5() رواه أحمد والترمذي وابن حبان ، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، حياة الصحابة (1/ 315)

يلصقون ظهره بالرمضاء لكي يشرك، فقول: أحد أحد، فيمر به ورقة ـ وهو على تلك الحال ـ فيقول: أحد، أحد، يـا بلال. واللـه، لئن قتلتموه لأتخذنه حنانا) [1]

وعن ابن إسـحاق، قـال: (كـان أميـة يخرجـه إذا حميت الظهـيرة فيطرحـه على ظهـره في بطحـاء مكـة؛ ثم يـأمر بالصخرة العظيمـة فتوضـع على صـدره، ثم يقـول لـه: لا تـزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد، وتعبد اللات والعزى. فيقـول ـ وهو في ذلك البلاء ـ: أحد، أحد)[2]

وفي تلـك الأيـام قـال عمـار بن ياسـر، شـريكه في الآلام يذكره[3]:

جزى الله خيرا عن بلال ... عتيقا وأخزى فاكها وأبا

عشية هما في بلال ... ولم يحذرا المرء ذو العقا

بتوحيده رب الأنام ... شهدت بأن الله ربي

فإن يقتلوني يقتلوني ... لأشرك بالرحمن من

فيا رب إبراهيم والعبد ... وموسى، وعيسى،

لمن ظل يهوى الغي ... على غير بركان منه ولا

وقد كان لبلال وإخوانه ـ بسـبب ذلـك ــ مـواقفهم الخاصـة من أولئـك المتجـبرين من القرشـيين، والـذين عرفـوا من خلال معـــاملتهم القاســـية لهم أن إســـلامهم لم يكن إلا نوعـــا من استسلام المنافقين الذين يتحينون الفرص للانقضاض من جديد.

وقد أيـدهم رسـول اللـه ﷺ في ذلـك الموقـف بصـراحة لا حدود لهـا، فقـد روي أن أبـا سـفيان مـر على سـلمان وصـهيب وبلال في نفر من المستضعفين بعد أن ادعى الإسـلام، فقـالوا: ما أخذت سيوف الله من عنق عدو الله مأخذها، حينها قـال أبـو بكـر: أتقولـون هـذا لشـيخ قـريش وسـيدهم؟ ثم أتى النـبي ﷺ فـأخبره، وكأنـه يرجـو من رسـول اللـه ﷺ أن ينهـاهم عن ذلـك الموقف، لكنه ﷺ قال له ـ مشيرا إلى تأييده لهم ـ: (يـا أبـا بكـر

---

1 () رواه الزبير بن بكار، حياة الصحابة (1/ 346)

2 () حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (1/ 148)

3 () سيرة ابن إسحاق، (ص: 191)

لعلك أغضبتهم؟ لئن كنت أغضبتهم لقد أغضبت ربك)، فأتاهم أبو بكر فقال: يا إخوتاه أغضبتكم؟ قالوا: (لا.. يغفر الله لك يا أخي) [1]

لكن للأسف لم يعتبر ذلك الموقف سندا للمستضعفين في رفضهم لتولي الطلقاء أمور المسلمين، بل اعتبر مجرد ثناء فارغ من أي محتوى، مع أن الكبرياء والتجبر الذي كان لديهم ظل مصاحبا لهم، ولم يكن تلفظهم بالشهادتين كافيا لتطهيرهم من رواسب الجاهلية.

وكيف يتطهرون، وقد ظلوا لآخر لحظة محجوبين عن الإسلام بسبب اتباع المستضعفين لرسول الله ﷺ، وقد ورد في الحديث عن ابن مسعود قال: مر الملأ من قريش على رسول الله ﷺ وعنده صهيب وبلال وخباب وعمار ونحوهم وناس من ضعفاء المسلمين فقالوا: يا رسول الله أرضيت بهؤلاء من قومك؟ أفنحن نكون تبعا لهؤلاء؟ أهؤلاء الذين من الله عليهم؟ أطردهم عنك فلعلك إن طردتهم اتبعناك، قال: فأنزل الله عز وجل: ﴿ وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَى رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (51) وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنعام: 51، 52]) [2]

وهكذا كان موقف نظرائهم من الملأ الذين حشوا كبرا وتجبرا، وقد روي عن خباب قال: جاء الأقرع بن حابس التميمي وعيينة بن حصن الفزاري، فوجدوا رسول الله ﷺ مع صهيب وبلال وعمار وخباب قاعدا في ناس من الضعفاء من المؤمنين، فلما رأوهم حول النبي ﷺ حقروهم، فأتوه فخلوا به، وقالوا: إنا نريد أن تجعل لنا منك مجلسا تعرف لنا به العرب فضلنا، فإن وفود العرب تأتيك فنستحيي أن ترانا العرب مع هذه الأعبد، فإذا نحن جئناك فأقمهم عنا، فإذا نحن فرغنا فاقعد معهم إن شئت.. فنزل قوله تعالى: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾

---

1 () رواه أحمد (5/64) وفي (5/65) ومسلم (7/173) والنسائي في الكبرى (5057)

2 () رواه أبو نعيم في الحلية وغيرهن حياة الصحابة (3/ 215)

[الأنعام: 52]) [1]

وقد روي أن رسول الله ﷺ بعد أن نزلت عليه هذه الآية الكريمة، قام يلتمسهم حتى أصابهم في آخر المسجد يذكرون الله، فقال: (الحمد لله الذي لم يمتني حتى أمرني أن أصبر نفسي مع رجال من أمتي، معكم المحيا ومعكم الممات)**[2]**

ولهذا كان رسول الله ﷺ يدعو بلالا ــ كما يدعو كل المستضعفين ـ إلى عدم السقوط في مستنقعات الدنيا، لأن فضلهم لم يكن سوى بسبب تلك القيم الممتلئة بالتواضع، والتي وفرها لهم وقوفهم مع المستضعفين، ففي الحديث عن بلال، قال: (قال لي رسول الله ﷺ: (يا بلال مت فقيرا، ولا تمت غنيا)، قلت: فكيف لي بذلك يا رسول الله؟ قال: (ما رزقت فلا تخبئ، وما سئلت فلا تمنع)، فقلت: يا رسول الله كيف لي بذلك؟ قال: (هو ذلك أو النار) [3]

ولهذا ظل ممتلئا بالتواضع، ولم يتاجر بذلك الثناء الذي أثني عليه، وقد حدث الشعبي قال: خطب بلال وأخوه إلى أهل بيت من اليمن، فقال: أنا بلال وهذا أخي، عبدان من الحبشة، كنا ضالين فهدانا الله، وكنا عبدين فأعقتنا الله، إن تنكحونا فالحمد لله وإن تمنعونا فالله أكبر[4].

ولم يكن رسول الله ﷺ يكتفي بالثناء عليه، وإنما كان يستعمله، وفي أخص شؤون المسلمين، لينبه من بعد إلى اختيار السابقين المتواضعين، لا المتخلفين والطلقاء والمستكبرين.

فقد كانت كل الأموال التي تجبى للمسلمين توضع عند بلال، أي أنه كان وزير المالية، أو أمين صندوق المال، ولذلك كان يسأل عن كل الشؤون المالية للمسلمين، فعن عبد الله الهوزني، قال: لقيت بلالا فقلت: يا بلال حدثني كيف كانت نفقة رسول الله ﷺ؟ فقال: (ما كان له شيء، كنت أنا الذي ألي له ذاك منذ بعثه الله عز وجل حتى توفي، وكان إذا أتاه الرجل

---

1 () رواه ابن ماجة في السنن برقم (4127)، وقال البوصيري في الزوائد (3/276): هذا إسناد صحيح، هذا ما نراه صحيحا من الرواية، أما ما أضيف إليه من إقرار رسول الله ﷺ ، وقولهم: فاكتب لنا عليك كتابا، قال: فدعا بالصحيفة ودعا عليا ليكتب.. فغير صحيح، ويستحيل على رسول الله ﷺ أن يستسلم لأهوائهم.

2 () تفسير الطبري، (15/ 240)

3 () حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (1/ 149)

4 () رواه ابن سعد حياة الصحابة (3/ 493)

المسلم فرأه عاريا يأمرني به، فأنطلق فأستقرض وأشتري البردة فأكسوه وأطعمه)[1]

وكان رسول الله ﷺ يوصيه كل حين، ليعلمه ــ ويعلم من بعده ـ كيف يتعامل مع ما اعتبره الله تعالى قوام حياة الناس، فعن عبد الله بن مسعود، قال: دخل النبي ﷺ على بلال، وعنده صبر من تمر، فقال: (ما هذا يا بلال؟) قال: يا رسول الله ادخرته لك ولضيفانك، قال: (أما تخشى أن تكون له بخار في النار، أنفق بلال ولا تخش من ذي العرش إقلالا)[2]

ومن القصص الطريفة التي تروى عنه في هذا، والتي تدل على كيفية تسييره لهذا الجانب، ومدى الصلاحيات التي أعطاها له رسول الله ﷺ ما حدث به عبد الله الهوزنيّ؛ قال: لقيت بلالا مؤذّن رسول الله بحلب، فقلت: يا بلال، حدّثني كيف كانت نفقة رسول الله ﷺ؟ قال: ما كان له شيء، كنت أنا الّذي ألي ذلك منه منذ بعثه الله إلى أن توفّي، وكان إذا أتاه الإنسان مسلما فرآه عاريا يأمرني فأنطلق فأستقرض فأشتري له البردة فأكسوه وأطعمه، حتّى اعترضني رجل من المشركين فقال: يا بلال، إنّ عندي سعة فلا تستقرض من أحد إلّا منّي، ففعلت، فلمّا أن كان ذات يوم توضّأت ثمّ قمت لأؤذّن بالصّلاة، فإذا المشرك قد أقبل في عصابة من التّجّار، فلمّا رآني قال: يا حبشيّ؛ قلت: يا لبّاه، فتجهّمني وقال لي قولا غليظا، وقال لي: أتدري كم بينك وبين الشّهر؟ قال: قلت: قريب، قال: إنّما بينك وبينه أربع، فآخذك بالّذي عليك فأردّك ترعى الغنم كما كنت قبل ذلك، فأخذ في نفسي ما يأخذ في أنفس النّاس، حتّى إذا صلّيت العتمة رجع رسول الله ﷺ إلى أهله فاستأذنت عليه، فأذن لي، فقلت: يا رسول الله بأبي أنت وأمّي إنّ المشرك الّذي كنت أتديّن منه قال لي كذا وكذا، وليس عندك ما تقضي عنّي، ولا عندي، وهو فاضحي، فأذن لي أن آبق إلى بعض هؤلاء الأحياء الّذين قد أسلموا حتّى يرزق الله رسوله ﷺ ما يقضي عنّي، فخرجت حتّى إذا أتيت منزلي فجعلت سيفي وجرابي ونعلي ومجنّي عند رأسي، حتّى إذا انشقّ عمود الصّبح الأوّل أردت أن أنطلق فإذا إنسان يسعى يدعو: يا بلال، أجب رسول

---

1 () حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (1/ 149)

2 () حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (1/ 149)، ورواه البزار بإسناد حسن والطبراني، حياة الصحابة (2/ 392)

الله ﷺ، فانطلقت حتّى أتيته، فإذا أربع ركائب مناخات عليهنّ أحمالهنّ، فاستأذنت فقال لي رسول الله ﷺ: أبشر فقد جاءك الله بقضائك، ثمّ قال: (ألم تر الرّكائب المناخات الأربع؟) فقلت: بلى، فقال: (إنّ لك رقابهنّ وما عليهنّ فإنّ عليهنّ كسوة وطعاما أهداهنّ إليّ عظيم فدك، فاقبضهنّ واقض دينك) ففعلت.. ثمّ انطلقت إلى المسجد فإذا رسول الله ﷺ قاعد في المسجد، فسلّمت عليه فقال: (ما فعل ما قبلك؟) قلت: قد قضى الله كلّ شيء كان على رسول الله ﷺ فلم يبق شيء، قال: (أفضل شيء؟) قلت: نعم، قال: (انظر أن تريحني منه، فإنّي لست بداخل على أحد من أهلي حتّى تريحني منه)، فلمّا صلّى رسول الله ﷺ العتمة دعاني فقال: (ما فعل الّذي قبلك؟) قلت: هو معي لم يأتنا أحد، فبات رسول الله ﷺ في المسجد وقصّ الحديث، حتّى إذا صلّى العتمة يعني من الغد دعاني قال: (ما فعل الّذي قبلك؟) قال: قلت: قد أراحك الله منه يا رسول الله، فكبّر وحمد الله شفقا من أن يدركه الموت وعنده ذلك) (1)

وفوق هذا، فقد كانت علاقة بلال برسول الله ﷺ أكبر بكثير من تلك الصورة التي ذكرها المحدثون، وقد قال فيه الإمام الصادق: (رحم الله بلالاً فإنه كان يحبنا أهل البيت) (2)

ومن الروايات الدالة على تلك العلاقة ما ورد في الرواية أنه (بينما كان النبي ﷺ والناس في المسجد ينتظرون بلالاً أن يأتي فيؤذن إذ أتى بعد زمان، فقال له النبي ﷺ: ما حبسك يا بلال؟، فقال: إني اجتزت بفاطمة وهي تطحن واضعة ابنها الحسن عند الرحى وهي تبكي، فقلت لها: أيما أحب إليك: إن شئت كفيتك ابنك، وإن شئت كفيتك الرحى؟ فقالت: أنا أرفق بابني، فأخذت الرحى فطحنت، فذاك الذي حبسني، فقال النبي ﷺ: (رحمتها، رحمك الله)(3)

ولهذا لم يطق البقاء في المدينة بعد وفاة رسول الله ﷺ، وقد حدث إبراهيم بن الحارث التيمي قال لما توفي رسول الله ﷺ أذن بلال ورسول الله ﷺ لم يقبر فكان إذا قال: أشهد أن

---

1 () رواه أبو داود (3055)

2 () المفيد، الاختصاص: ص 83.

3 () مختصر تاريخ دمشق، ج 5، ص 1.

محمـدا رسـول اللـه، انتحب النـاس في المسـجد، فلمـا دفن رسـول اللـه ﷺ قـال لـه أبـو بكـر: أذن، فقـال: إن كنت إنمـا أعتقتني لأكون معك فسبيل ذلك، وإن كنت أعتقتني لله فخلـني ومن أعتقتني له، فقال: ما أعتقتك إلا للـه، قـال: فـإني لا أؤذن لأحد بعد رسول اللهﷺ، قال: فذلك إليـك، فأقـام حـتى خـرجت بعوث الشام، فسار معهم حتى انتهى إليها(1).

وروي أنه (رأى في منامه النبي ﷺ وهو يقول لـه: مـا هـذه الجفوة يا بلال! أما آن لـك أن تـزورني يـا بلال!.. فانتبـه حزينـاً وجلاً خائفاً، فركب راحلتـه وقصـد المدينـة فـأتى قـبر النـبي ﷺ فجعل يبكي عنده ويمرغ وجهه عليه، فأقبل الحسـن والحسـين، فجعل يضمهما ويقبلهما، فقالا له: يا بلال نشـتهي نسـمع أذانـك الذي كنت تـؤذن بـه لرسـول اللـه ﷺ في السـحر؛ ففعـل، فعلا سطح المسجد، فوقف موقفـه الـذي كـان يقـف فيـه، فلمـا أن قال: الله أكبر، الله أكبر ارتجت المدينة، فلما أن قال: أشهد أن لا إله طح المسجد، فوقف موقفه الذي كان يقف فيه، فلمـا أن قال: الله أكبر، الله أكبر ارتجت المدينة، فلما أن قال: أشهد أن لا إله إلا الله ازداد رجتها فلما أن قال: أشهد أن محمـداً رسـول الله خرج العواتق من خدورهن، وقالوا: أبعث رسـول اللـه ﷺ!؟ فما رئي يوم أكثر باكياً ولا باكيةً بالمدينة بعد رسول الله ﷺ من ذلك اليوم(2).

ولم يكن بلال من أولئـك الـذين اعـتزلوا، وفـروا بـدينهم فقط، وإنما كان يجـاهر بنصـائحه خوفـا من تبـديل الـدين، وقـد حـدث قيس بن أبي حـازم قـال: جـاء بلال إلى عمـر حين قـدم الشام وعنده أمراء الأجناد، فقال: يا عمر، يا عمر، فقـال عمـر: هذا عمر. فقال: إنك بين هؤلاء وبين الله، وليس بينك وبين اللـه أحـد، فـانظر من بين يـديك ومن عن يمينـك ومن عن شـمالك، فإن هؤلاء الذين جاؤوك والله إن يأكلوا إلا لحـوم الطـير، فقـال عمر: صدقت، لا أقوم من مجلسـي هـذا حـتى تكفلـوا لي لكـل رجل من المسلمين بمدي بر وحظهما من الخل والزيت، قـالوا: تكفلنا لك يا أمير المؤمنين، هو علينـا، قـد أكـثر اللـه من الخـير

1() مختصر تاريخ دمشق (5/ 265)

2() مختصر تاريخ دمشق (5/ 265)

وأوسع، قال: فنعم[1].

3. خباب بن الأرت:

من الأسماء التي لا يمكننا تجاهلها بعد ذكر بلال أخوه وزميله وصديقه في الوفاء خباب بن الأرت[2].. ذلك الذي مثل الوفاء والتضحية والنبل بأسمى معانيها.. وقد بقيت النيران التي حرقته بها قريش تملؤه بالآلام كل حين إلى أن مات بسببها شهيدا، بعد أن أخر الله وفاته ليزداد من بركات ذلك اللقاء المبارك مع رسول الله ﷺ، وتزداد معها أدلة وفائه التي لا تنتهي.

لقد كان يحرص كل حين على ذكر ما أصابه وإخوانه من البلاء، لا ليمن به على المسلمين، وإنما ليذكر به أولئك الذين ألقوا بزمام الأمور إلى الطلقاء، وأبعدوا الذين ضحوا بأنفسهم في سبيل الإسلام.

ومما يروى في ذلك ما حدث به الشعبي قال: دخل خباب بن الأرت على عمر بن الخطاب فأجلسه على متكئه وقال: ما على الأرض أحد أحق بهذا المجلس من هذا إلا رجل واحد، قال له خباب: من هو يا أمير المؤمنين؟ قال: بلال. فقال له خباب: (يا أمير المؤمنين ما هو بأحق مني، إن بلالا كان له في المشركين من يمنعه الله به ولم يكن لي أحد يمنعني، فلقد رأيتني يوما أخذوني وأوقدوا لي نارا ثم سلقوني فيها ثم وضع رجل رجله على صدري فما اتقيت الأرض إلا بظهري)، ثم كشف عن ظهره فإذا هو قد برص[3].

وقد حدث عن نفسه وعن إخوانه من المستضعفين، وكيف لجأوا إلى رسول الله ﷺ يطلبون نصرة الله مع أنه كان يمكنهم أن يخفوا إيمانهم، لكنهم أبوا أن يفعلوا ذلك، يقول: شكونا إلى رسول الله ﷺ وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة، فقلنا: ألا تستنصر لنا؟ ألا تدعو لنا؟ فقال ﷺ: (قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل، فيحفر له في الأرض، فيجعل فيها، ثم يؤتى بالمنشار، فيوضع على رأسه، فيجعل نصفين، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه، ما يصده ذلك عن دينه، والله ليتمن الله

---

1 () رواه أبو عبيد، والطبراني ، قال الهيثمي: ورجاله رجال الصحيح خلا عبد الله بن أحمد وهو ثقة مأمون، حياة الصحابة (2/ 472)

2 () انظر ترجمته في تهذيب الكمال (1674) ، وتهذيب التهذيب (3/ 133) ، ومغازي الواقدي (100)، ـ (155) ، وحلية الأولياء (1/ 43)، ، والاستيعاب (2/ 437) ، وأسد الغابة (2/ 98)

3 () الطبقات الكبرى (3/ 122)

هـذا الأمـر حـتى يسـير الـراكب من صـنعاء إلى حضـرموت، لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون) [1]

ومع ذلك، فقد دعا على رسول اللـه ﷺ على المـرأة الـتي كانت تؤذيه، فقد روي أنه ﷺ قال: (اللهم انصر خبابا)، فاشتكت مولاته رأسها، وكانت تعوي مع الكلاب، فقيل لها: اكتوي، فكـان خباب يأخذ الحديـدة قـد أحماهـا فيكـوي بهـا رأسـها، يفعـل بهـا ليعالجها، ما كانت تفعل به لتعذبه[2].

وهكذا كان يذكر مواقف قريش، ويذكر بعنادهـا وجبروتهـا، حتى تعزل من أن يكون الأمر لها، ويحـرم منـه الضـعفاء الـذين ضحوا بأنفسهم، وقد روي من كلماته في ذلك قوله: (كنت رجلا قينا، وكان لي على العاص بن وائل دين، فأتيته أتقاضاه، فقـال: لا، واللـه لا أقضـيك حـتى تكفـر بمحمـد. فقلت: واللـه لا أكفـر بمحمــد حــتى تمــوت، ثم تبعث. قــال: فــإني إذا مت ثم بعثت جئتني ولي ثم مال وولد، فأعطيتك، فأنزل الله: ﴿أَفَـرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَـالَ لَأُوتَيَنَّ مَـالًا وَوَلَـدًا (77) أَطَّلَـعَ الْغَيْبَ أَمِ اتَّخَـذَ عِنْـدَ الـرَّحْمَنِ عَهْـدًا (78) كَلَّا سَـنَكْتُبُ مَـا يَقُـولُ وَنَمُـدُّ لَـهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا (79) وَنَرِثُهُ مَـا يَقُـولُ وَيَأْتِينَـا فَـرْدًا﴾ [مـريم: 77 - 80])[3]

وعندما ذهب إلى المدينة المنورة مهاجرا، ظـل على حالـه من المعاناة، وقد كان حينها في صحبة المقداد، فعن موسى بن يعقوب عن عمته أن (المقـداد بن عمـرو وخبـاب بن الأرت لمـا هاجرا إلى المدينة نزلا على كلثوم بن الهـدم، فلم يبرحـا منزلـه حتى توفي قبل أن يخرج رسول الله ﷺ إلى بدر بيسير. فتحــولا فــنزلا على سـعد بن عبـادة فلم يـزالا عنـده حـتى فتحت بنـو قريظة)

وقد شهد مثل إخوانه من الأوفيـاء الثـابتين المشـاهد كلهـا مع رسول الله ﷺ ابتداء من بـدر وأحـد والخنـدق وغيرهـا.. ولم يحصل منه فيها جميعا فرارا، ولا تردد، ولا جبن على الـرغم من الآلام الكثيرة التي كانت تعتريه كل حين بسـبب التعـذيب الـذي تعرض له.

---

1 () رواه البخاري 7 / 126.

2 () سبيل الهدى والرشاد، ج 2، ص 359.

3 () رواه مسلم (2795) (36) ، والترمذي (3162) ، والنسائي في "الكبرى" (11322)

وقد حدث حارثة بن مضرب: دخلت على خباب وقد اكتوى سبع كيات، فسمعته يقول: (لولا إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: (لا ينبغي لأحد أن يتمنى الموت) لألفاني قد تمنيته)، ثم أتي بكفنه قباطي، فبكى، ثم قال: لكن حمزة عم النبي ﷺ كفن في بردة، إذا مدت على قدميه قلصت عن رأسه، وإذا مدت على رأسه قلصت عن قدميه، ولقد رأيتني مع رسول الله ﷺ ما أملك دينارا ولا درهما، وإن في ناحية بيتي في تابوتي لأربعين ألف واف، ولقد خشيت أن تكون عجلت لنا طيباتنا في حياتنا الدنيا) (1)

ومع كل ذلك الوفاء الذي أثبت به صدق إيمانه إلا أنه ظل خائفا إلى آخر لحظات حياته من تقصيره وتفريطه في حق العهود التي عاهد بها رسول الله ﷺ، وقد روي أن نفرا من أصحاب رسول الله ﷺ زاروه في مرض موته، وقالوا: (أبشر يا أبا عبد الله، إخوانك تقدم عليهم غدا)، فبكى، وقال: (أما إنه ليس بي جزع، ولكن ذكرتموني أقواما، وسميتموهم لي إخوانا، وإن أولئك مضوا بأجورهم كما هي، وإني أخاف أن يكون ثواب ما تذكرون من تلك الأعمال ما أوتينا بعدهم) (2)

وقد جعله ذلك التواضع والوفاء يوصي ابنه بقوله: (أي بني إذا أنا مت، فادفني بهذا الظهر، فإنك لو قد دفنتني بالظهر قيل دفن بالظهر رجل من أصحاب رسول الله ﷺ فدفن الناس موتاهم) (3)

وقد ظل أولاده حريصين على استمرار وفائه من بعده، فمن أولاده عبد الله بن خباب، ذلك الذي كان من أصحاب الإمام علي وشيعته، وكان عاملا له على منطقة النهروان، وقد قُتل هو وزوجته على يد الخوارج بعد أن شقوا بطن زوجته واستخرجوا جنينها، وبسبب ذلك حارب الإمام علي الخوارج في النهروان(4).

4. حجر بن عدي:

حتى لا يكون للزمن دوره في تحديد الصالحين من غيرهم،

1() مسند الحميدي 1/ 86 رقم 158، طبقات ابن سعد 3/ 166، حلية الأولياء 1/ 144، 145، الزهد لابن المبارك 183، 184 رقم 522، أسد الغابة 2/ 99.

2() الطبقات الكبرى (3/ 124)

3() الطبقات الكبرى (3/ 124)

4() تاريخ الطبري، ج 5، ص 81.

فسنذكر هنا ذلك الصحابي الذي لم يتشرف كثيرا بصحبة رسول الله ﷺ، ولم تطل تلمذته له، ولذلك اعتبر من صغار الصحابة.. لكن صدقه ووفاءه وتضحياته جعلته من كبارهم، بل جعلت رسول الله ﷺ يشير إليه، ويتحدث عنه.. فالعبرة ليست بالسبق، وإنما بالصدق.. ومن سبق ولم يصدق، سبقه من صدق ولم يسبق.

إنه حجر بن عدي[1] شهيد الولاء والوفاء.. ذلك الذي أخبر رسول الله ﷺ عن قتله مع أصحابه، وبشر بعظيم الأجر الذي ينالونه، وبعظيم السخط الذي يناله قتلتهم، ففي الحديث عن أبي الأسود، قال: دخل معاوية على عائشة فقالت: ما حملك على قتل أهل عذراء حجر وأصحابه؟ فقال: يا أم المؤمنين، إني رأيت قتلهم صلاحا للأمة، وبقاءهم فسادا للأمة، فقالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (سيقتل بعذراء ناس يغضب الله لهم، وأهل السماء)[2]

ذلك الذي ذكره الإمام علي، وشبه قلته وقتل أصحابه بأصحاب الأخدود، فقد حدث عبد الله بن زرير الغافقي قال: سمعت علياً يقول: يا أهل العراق، سيقتل سبعة نفر بعذراء مثلهم كمثل أصحاب الأخدود، منهم حجر بن عدي الأدبر وأصحابه، يقتلهم معاوية بالعذراء من دمشق، كلهم من أهل الكوفة) [3]

ذلك الذي أرسل الإمام الحسين رسالة إلى معاوية في شأنه، وبعد قتله له، يقول فيها: (ألست قاتل حجر بن عدي وأصحابه المصلين العابدين، الذين ينكرون الظلم ويستعظمون البدع، ولا يخافون في الله لومة لائم، ظلما وعدوانا، بعد إعطائهم الأمان بالمواثيق والأيمان المغلظة؟ أو لست قاتل عمرو بن الحمق صاحب رسول الله ﷺ الذي أبلته العبادة

1() هو حُجر بن عَدي الكندي الكوفي، من فضلاء الصحابة وزهادهم، وفد على النبي ﷺ مع أخيه هانئ بن عدي وشارك في معركة القادسية، وفتح مرج عذراء بالشام، وهو من خواص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب قاتل معه في الجمل وصفين والنهروان، وكان يرأس قبيلته في كل المعارك. قتله معاوية بن أبي سفيان بعد أن عرض عليه البراءة من الإمام علي بن أبي طالب فأبى ذلك، فقتله ومعه أحد أبنائه، وعدد من أصحابه، وقطعوا رأسه وعلّقوه على بوابة الشام، وهو أول رأس يُعلّق على البوابات، انظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج 1، ص 480، البرقي، أحمد بن محمد، كتاب الطبقات، ص 58 رقم 74، رجال الكشي، ص 80، رقم 40.

2() ابن عساكر (12/226)

3() تاريخ دمشق، ج 12، ص 227.

وصفرت لونه وأنحلت جسمه؟!)[1]

ذلك الذي اعتبر الحسن البصري مقتله جريمة من الجرائم الكبرى التي ارتكبها معاوية في حق الإسلام، فقال: (أربع خصال كنّ في معاوية لو لم يكن فيه منهنّ إلا واحدة لكانت موبقة، انتزاؤهُ على هذه الأمة بالسفهاء حتى ابتزها أمرها بغير مشورة منهم، وفيهم بقايا الصحابة وذوو الفضيلة، واستخلافه ابنه بعده سكيراً خميراً يلبس الحرير ويضرب بالطنابير، وادعاؤهُ زياداً وقد قال رسول الله ﷺ: (الولد للفراش، وللعاهر الحجر)، وقتله حجراً، ويلاً له من حجر وأصحاب حجر، مرتين)[2]

ذلك الذي رثته هند ابنة زيد بن مخرمة الأنصارية، فقالت[3]:

ترفع أيها القمر ... تبصر هل ترى حجراً

يسير إلى معاوية ... ليقتله كما زعم

تجبرت الجبابر بعد ... وطاب لها الخورنق

وأصبحت البلاد بها ... كأن لم يحيها مزنٌ

ألا يا حجر حجر ... تلقتك السلامة

أخافُ عليك ما ... وشيخاً في دمشق

يرى قتل الخيار ... له من شر أمته

ألا يا ليت حجراً ... ولم ينحر كما نحر

فإن تهلك فكل ... من الدنيا إلى هللٍ

ومثله قالت الكندية الوفية ترثيه:

دموع عيني ديمةٌ ... تبكي على حجرٍ

لو كانت القوس ... ما حمل السيف

---

1 () البلاذري في أنساب الأشراف (ج 2 / ص 119)

2 () تاريخ الطبري ج 4 ص 208، الكامل في التاريخ ج 3 ص 487، المنتظم لابن الجوزي ج 5 ص 243.

3 () تاريخ الرسل والملوك (3/ 206)

لاشك أنكم تعلمون قصته، ولستم بحاجة لأقصها عليكم، ولكن اسمحوا لي أن أذكر بها تلك الأجيال التي راحت تمجد الجلاد، وتشاركه في قتل الضحية.. تلك التي عزلت رسول الله ﷺ.. وعزلت أصحابه السابقين الصادقين.. وراحت تثني على معاوية، وترمي حجرا وأصحابه وغيرهم من المظلومين في طيات النسيان، ولا تكتفي بذلك، بل تمارس نفس جرائمها مع كل من يريد أن يحيي ذكرهم، أو يشير إليهم، أو يدعو لهم.. لأنهم لا يريدون الإسلام الإلهي، وإنما يريدون الإسلام الشيطاني الذي أسسه معاوية وإخوانه من الطلقاء، ومن ساندهم وناصرهم وضحى بوفائه من أجلهم.

وطبعا لن أذكر الروايات التي وردت في مصادر الموالين لأهل بيت النبوة، فهم متهمون في كل الأحوال، لذلك سأذكر المصادر التي يعتمدونها، والأشخاص الذين يثقون فيهم، حتى يعلمون مقدار جرائم الطلقاء في حق الأصحاب الحقيقيين.

لقد ذكر الطبري قصة مقتله مفصلة.. وسنقتبس مشاهد منها لتكون رمزا للوفاء في أجمل معانيه.. وتكون كذلك رمزا للطغيان في أبشع صوره.. فقد احتوت قصته كلا الصورتين، مثلما احتوت قصص جميع الأنبياء والصالحين قمة الطغيان مع قمة الإيمان.

وتبدأ القصة كما يحكيها الطبري من خلال مصادره الكثيرة بتلك الشريعة التي شرعها معاوية، وأضافها إلى الدين، وكلف بها كل الخطباء، واعتبرها علامة الإيمان والوثاقة، وهي سب الإمام علي ولعنه، وتربية الأجيال، لأنه رأى أن تحريف الدين لا يمكن أن يتم في حضور اسم الإمام علي، ولا اسم السابقين من إخوانه.. لذلك بدأت معركته من هذا الباب.

وقد ذكر الطبري أن معاوية بن أبي سفيان لما ولى المغيرة بن شعبة الكوفة في جمادى سنة إحدى وأربعين دعاه، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: (أما بعد فإن لذي الحلم قبل اليوم ما تقرع العصا، وقد قال المتلمس:

لذي الحلم قبل اليوم ما وما علم الإنسان إلا ليعلما تقرع العصا

وقد يجزي عنك الحكيم بغير التعليم، وقد أردت إيصاءك بأشياء كثيرة، فأنا تاركها اعتماداً على بصرك بما يرضيني ويسعد سلطاني، ويصلح به رعيتي، ولست تاركاً إيصاءك

بخصلة: لا تتحم عن شتم علي وذمه، والترحم على عثمان والاستغفار له، والعيب على أصحاب علي، والإقصاء لهم، وترك الاستماع منهم؛ وبإطراء شيعة عثمان رضوان الله عليه، والإدناء لهم، والاستماع منهم)، فقال المغيرة: (قد جربت وجربت، وعملت قبلك لغيرك، فلم يذمم بي دفع ولا رفع ولا وضع، فستبلو فتحمد أو تذم)، قال: (بل نحمد إن شاء الله) [1]

وهنا بدأ المغيرة ينفذ مثله مثل سائر الولاة في الأقاليم المختلفة هذه السياسة، والتي يمكن اعتبارها أخطر ثورة مضادة للإسلام.. يقول الطبري: (أقام المغيرة على الكوفة عاملاً لمعاوية سبع سنين وأشهراً، وهو من أحسن شيء سيرةً، وأشده حباً للعافية، غير أنه لا يدع ذم علي والوقوع فيه والعيب لقتلة عثمان، واللعن لهم، والدعاء لعثمان بالرحمة والاستغفار له، والتزكية لأصحابه) [2]

وهنا يبدأ اختبار الوفاء.. أما الساقطون في هذا الاختبار، فقد راحوا يستعملون كل ما عندهم من دهاء وخداع لإرضاء الوالي والخليفة.. فكتبوا الأشعار، وسطروا الأخبار، ووضعوا الأحاديث، وفعلوا كلما يقربهم من السلطان، حتى الإمام علي إلى نكرة لا قيمة له في الدين، ولا أثر له في الصحبة.. بل اعتبروه ثقلا ووبالا على الأمة، وليس سفينة لنجاتها.

لكن حجر بن عدي ذلك الوفي لم يكن من هؤلاء، بل كان إذا سمع ذلك قال: (بل إياكم فذمم الله ولعن! ثم يقول، ويقول: (إن الله عز وجل يقول: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ ﴾ [النساء: 135]، وأنا أشهد أن من تذمون وتعيرون لأحق بالفضل، وأن من تزكون وتطرون أولى بالذم)

وحينذاك يرد المغيرة بقوة قائلا: (يا حجر، لقد رمي بسهمك، إذ كنت أنا الوالي عليك، يا حجر ويحك! اتق السلطان، اتق غضبه وسطوته، فإن غضبة السلطان أحياناً مما يهلك أمثالك كثيراً)

وهكذا كان ينهاه كل مرة إلى آخر إمارته، حيث قام المغيرة فقال في علي وعثمان كما كان يقول، وكانت مقالته ـ

---

1 () تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري (5/ 253)

2 () المرجع السابق، (5/ 253)

كما يذكر الطبري ـ: (اللهم ارحم عثمان بن عفان وتجاوز عنه، وأجزه بأحسن عمله، فإنه عمل بكتابك، واتبع سنة نبيك ﷺ، وجمع كلمتنا، وحقن دماءنا، وقتل مظلوماً؛ اللهم فارحم أنصاره وأولياءه ومحبيه والطالبين بدمه)، ثم يدعو على قتلته.

فقام حجر بن عدي، وقال بصوت عال: (إنك لا تدري بمن تولع من هرمك! أيها الإنسان، مر لنا بأرزاقنا وأعطياتنا، فإنك قد حبستها عنا، وليس ذلك لك، ولم يكن يطمع في ذلك من كان قبلك، وقد أصبحت مولعاً بذم أمير المؤمنين، وتقريظ المجرمين)

وحينها معه أكثر من ثلثي الناس يرددون: (صدق والله حجر وبر، مر لنا بأرزاقنا وأعطياتنا، فإنا لا ننتفع بقولك هذا، ولا يجدي علينا شيئاً)

بعد تلك المقولة، واجتماع الناس عليها، دخل عليه أولئك المتاجرون بالدين المنعدمون للوفاء، وقالوا ـ يحرضون المغيرة ـ: (علام تترك هذا الرجل يقول هذه المقالة، ويجترئ عليك في سلطانك هذه الجرأة! إنك تجمع على نفسك بهذا خصلتين: أما أولهما فتهوين سلطانك، وأما الأخرى فإن ذلك إن بلغ معاوية كان أسخط له عليه)

فقال لهم المغيرة: (إني قد قتلته؛ إنه سيأتي أميرٌ بعدي فيحسبه مثل فيصنع به شبيهاً بما ترونه يصنع بي، فيأخذه عند أول وهلة فيقتله شر قتلة؛ إنه قد اقترب أجلي، وضعف عملي، ولا أحب أن أبتدئ أهل هذا المصر بقتل خيارهم، وسفك دمائهم، فيسعدوا بذلك وأشقى، ويعز في الدنيا معاوية، ويذل يوم القيامة المغيرة؛ ولكني قابلٌ من محسنهم، وعافٍ عن مسيئهم، وحامدٌ حليمهم، وواعظٌ سفيههم، حتى يفرق بيني وبينهم الموت، وسيذكرونني لو قد جربوا العمال بعدي)

بعده جاء زياد بن أبي سفيان، فأقبل حتى دخل القصر بالكوفة، ثم صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: (أما بعد، فإنا قد جربنا وجربنا، وسسنا وساسنا السائسون، فوجدنا هذا الأمر لا يصلح آخره إلا بما صلح أوله، بالطاعة اللينة المشبه سرها بعلانيتها، وغيب أهلها بشاهدهم، وقلوبهم بألسنتهم، ووجدنا الناس لا يصلحهم إلا لين في غير ضعف، وشدة في غير عنف، وإني والله لا أقوم فيكم بأمر إلا أمضيته على أذلاله، وليس من كذبة الشاهد عليها من الله والناس أكبر من كذبة

إمـام على المنـبر)، ثم ذكـر عثمـان وأصـحابه فقـرظهم، وذكـر قتلته ولعنهم.

فقام حجر ففعل مثل الذي كان يفعل بالمغيرة، وقـد كـان زيادٌ قد رجع إلى البصرة وولي الكوفة عمرو بن الحريث، ورجع إلى البصرة فبلغه أن حجراً يجتمع إليـه شـيعة علي، ويظهـرون لعن معاويـة والـبراءة منـه، وأنهم حصـبوا عمـرو بن الحـريث، فشخص إلى الكوفة حتى دخلها، فأتى القصـر فدخلـه، ثم خـرج فصعد المنبر وعليه قباء سندس ومطرف خز أخضـر، قـد فـرق شعره، وحجر جالسٌ في المسجد حوله أصحابه أكـثر مـا كـانوا، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: (أما بعد، فـإن غب البغي والغي وخيم، إن هـؤلاء جمـوا فأشـروا، وأمنـوني فـاجترأوا علي، وأيم الله لئن لم تستقيموا لأداوينكم بدوائكم)

وقال: (مـا أنـا بشـيء إن لم أمنـع باحـة الكوفـة من حجـر وأدعه نكالاً لمن بعده! ويل أمك يا حجر! سقط العشاء بك على سرحان)، ثم قال:

أبلغ نصيحة أن سقط العشاء به

ثم إنـه كتب إلى معاويـة في شـأنه يستشـيره في كيفيـة التعامل معه، فكتب إليه معاوية أن شده في الحديد، ثم احملـه إلي.

فلما جاء كتاب معاوية أراد قوم حجـر أن يمنعـوه، فخشـي عليهم من الأذى، وهـو يعلم سـطوة معاويـة وعمالـه، فشـد في الحديد، ثم حمل إلى معاوية.

فلما دخـل عليـه قـال لـه معاويـة: أمـا واللـه لا أقيلـك ولا أستقيلك، أخرجوه فاضربوا عنقه، فأخرج من عنده، فقال حجـر للذين يلون أمره: (دعوني حتى أصـلي ركعـتين)؛ فقـالوا: صـل؛ فصلى ركعتين خفف فيهما، ثم قال ـ مثلما قال خبـاب ــ: (لـولا أن تظنوا بي غـير الـذي أنـا عليـه لأحببت أن تكونـا أطـول ممـا كانتا، ولئن لم يكن فيما مضى من الصـلاة خـيرٌ فمـا في هـاتين خير)

ثم قال لمن حضره من أهله: (لا تطلقـوا عـني حديـداً، ولا تغسلوا عني دماً، فإني ألاقي معاوية غداً على الجادة)، ثم قـدم فضربت عنقه.

وقد ذكر ابن سعد أنهم لما حملوه إليها مع أصحابه ليقتلوه

فيها، قال حجر: ما هذه القرية؟ قالوا: عذراء. قال: (الحمد لله. أما والله إني لأول مسلم نبح كلابها في سبيل الله، ثم أتي بي اليوم إليها مصفودا)، ثم دفع كل رجل منهم إلى رجل من أهل الشام ليقتله. ودفع حجر إلى رجل من حمير فقدمه ليقتله فقال: يا هؤلاء دعوني أصلي ركعتين. فتركوه فتوضأ وصلى ركعتين فطول فيهما فقيل له: طولت. أجزعت؟ فانصرف فقال: (ما توضأت قط إلا صليت. وما صليت صلاة قط أخف من هذه. ولئن جزعت لقد رأيت سيفا مشهورا وكفنا منشورا وقبرا محفورا) (1)

وقد كانت علاقته بالإمام علي أكبر من أن توصف، فقد كانت كل أحاديثه عنه، وقد روى ابن سعد عن غلام لحجر بن عدي الكندي قال: قلت لحجر إني رأيت ابنك دخل الخلاء ولم يتوضأ. قال: ناولني الصحيفة من الكوة. فقرأ: (بسم الله الرحمن الرحيم. هذا ما سمعت علي بن أبي طالب يذكر أن الطهور نصف الإيمان)، ثم علق عليه ابن سعد بقوله: (وكان ثقة معروفا ولم يرو عن غير علي شيئا) (2)

وقد ذكر الطبري أن معاوية لقي عائشة بمكة، فقالت: (يا معاوية، أين كان حلمك عن حجر؟)، فقال لها: (يا أم المؤمنين، لم يحضرني رشيد!)، قال ابن سيرين: (فبلغنا أنه لما حضرته الوفاة جعل يغرغر بالصوت ويقول: يومي منك يا حجر يومٌ طويل!)

1() الطبقات الكبرى (6/ 244)

2() الطبقات الكبرى (6/ 244)

رسالة إلى الأصحاب الحكماء

سادتي يا أصحاب رسول اللـه ﷺ الحكمـاء العلمـاء الـذين ورثوا من علوم النبوة ما دلهم على السراط المستقيم وسـفينة النجاة، فلم يغرقهم طوفان الفتن، ولم تنهد عليهم جدرانها، بـل ظلوا صامدين واقفين في وجهها، متحـدين كـل ألـوان الطغيـان التي سببها الخذلان والخيانة.

مـاذا عسـاي أقـول لكم، وأنتم الـذين عـزلتم، وعـزلت أحاديثكم بعد أن وضع الجـبروت والطغيـان الكثـير من القواعـد الكاذبة التي تستأصلكم، وتجعلكم كآحـاد النـاس، لا فـرق بينكم وبينهم.

فمع أن النصوص المقدسـة الكثـيرة تشـير بـل تصـرح إلى الفروق الشديدة بين أهل العلم، وغيرهم، إلا أن النصوص الـتي وضعتها الفئة الباغية راحت ترد ذلك كله في حقكم، لتجعـل من جميع الصحابة علماء وعدولا وفقهاء.. وكل من يفتي بفتيا تعتـبر رأيـا من آراء الشـريعة، وكـل من روى منهم حـديثا، يرفـع إلى رسول الله ﷺ حتى ولو لم يسمعه، وحتى لـو لم يتـوفر فيـه أي شرط من شروط العدالة.

ولم يكتفـوا بـذلك التمـييع في حقكم، بـل راحـوا يضـعون الأحـاديث في اعتبـار كـل من رأى رسـول اللـه ﷺ نجمـا من النجوم، يمكن الاهتداء به، والسير على منهجه، وهم يعلمون أن رسول الله ﷺ أخبر أن فيكم المنافقون والناكثون والقاسـطون والمارقون وكل أصناف المنحرفين.. بل إن رسول الله ﷺ ذكـر تلك الأسماء، وحذر منها، وأعطى علومها لخاصة أصحابه.

لكن الأمـة عـزلتهم، واعتـبرت أمثـال تلـك الأحـاديث لغـوا وفتنـة مـع كـونهم يروونهـا عن محـدثيهم ورجـالهم الـذين يعتبرونهم، لكن الورع البارد جعلهم يقصـون كـل حـديث يتنـاول تلـك الأصـنام الـتي صـاروا يعبـدونها من دون اللـه، أو يؤولونـه لينسجم مع أهوائهم.

ولو أنهم عـادوا إلى اللـه ورسـوله لعرفـوا الأمـر، وفقهـوا حقيقة ما جرى.. فأول مـا يفعلـه الشـيطان إذا أراد عـزل أهـل العلم والحكمـة الـذين يعلم أنـه لا يسـتطيع عـزلهم، أن ينشـئ معهم وبجانبهم من علماء الضرار ما يعزلهم به.

هكــذا فعــل مــع الســامري حين ألقى وساوســه لبــني إسرائيل، باعتباره صاحب موسى عليه السـلام الخـاص، فاتبعـه الإسرائيليون، وتركوا هارون.

وهكذا فعـل معكم، حين وضـع بجـانبكم الكثـير من علمـاء السوء الذين باعوا ذممهم، واتبعوا أهواء الدنيا، وراحـوا يضـعون الأحاديث الكاذبة التي ملأت دين الله تحريفا وانحرافا.

ولو أن الصادقين اتبعوا ما أخبر به رسول الله ﷺ من تلـك الأحاديث تبين منابع الفتنة، لما وصل بهم الأمر إلى تلك الحال.

ولهـذا كـانت أحـاديثكم سـادتي تريـاق لمن أصـابته تلـك الأدواء.. وكـانت أحـاديثكم هدايـة لمن يريـد أن يـركب سـفينة النجـاة.. فائـذنوا لي في الحـديث إلى ثلاثـة منكم لـو أن الأمـة رجعت لهم، وسمعت مـواقفهم وأحـاديثهم الـتي ترويهـا لكـانت كافيـة في صـدهم عن الغي الـذي أوصـلتهم إليـه الفئـة الباغيـة ومن أنتجها وأسس لها.

1. حذيفة بن اليمان:

وأولهم أنت يا أبا عبد الله، يا حذيفة بن اليمان، يا من شهد لك الجميع بكونك صاحب علوم الفتن، وأسبابها، وأخبارها، وأنك المرجع في التعرف على النفاق وأهله..

وقد قال فيك أبو نعيم الأصفهاني الذي يقبلونـه، ويحـدثون عنه: (ومنهم العارف بالمحن وأحوال القلـوب، والمشـرف على الفتن والآفات والعيوب، سأل عن الشر فاتقـاه، وتحـرى الخـير فاقتنـاه، سـكن عنـد الفاقـة والعـدم، وركن إلى الإنابـة والنـدم، وسبق رتق الأيام والأزمان، أبو عبد الله حذيفة بن اليمان) [1]

وقال فيك الزركلي: (حذيفة بن اليمان صحابي، من الـولاة الشجعان الفاتحين، كان صاحب سر النبي ﷺ في المنافقين، لم يعلمهم أحد غيره، ولما ولي عمـر سـأله: أفي عمـالي أحـد من المنـافقين؟ فقـال: نعم، واحـد. قـال: من هـو؟ قـال: لا أذكـره، وحدث حذيفة بهذا الحديث بعد حين فقال: وقد عزله عمر كأنما دل عليه) [2]

وقال فيك قبلهم جميعا الإمام علي، وقد سئل عنـك: (ذاك امرؤ علم أسماء المنافقين، إن تسـألوه عن حـدود اللـه تجـدوه

---

1 () حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (1/ 270)

2 () الأعلام، ج 2، ص 171.

بها عالما)[1]

بل كان الصحابة جميعا يقرون لك بذلك، ويسألونك عن علومه، وقد روي أنك بينما كنت جالسا عند عمر إذ قال: أيكم يحفظ قول النبي ﷺ في الفتنة؟ فقلت: (فتنة الرجل في أهله وماله وولده وجاره تكفرها الصلاة والصدقة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)، فقال: ليس عن هذا أسألك، ولكن التي تموج كموج البحر، فقلت: (ليس عليك منها بأس، إن بينك وبينها بابا مغلقا)، فقال عمر: أيكسر الباب أم يفتح؟ فقلت: لا بل يكسر، فقال عمر: (إذا لا يغلق أبدا) [2]

بل كنت تذكر ذلك عن نفسك، وتدعوهم إلى الاستفادة منك حتى يجنبوا أنفسهم الوقوع في الفتن، وقد قلت تذكر لهم ذلك، ومصادر علمك به: (لقد خطبنا النبي ﷺ خطبة ما ترك فيها شيئا إلى قيام الساعة إلا ذكره علمه من علمه وجهله من جهله إن كنت لأرى الشيء قد نسيت فأعرفه كما يعرف الرجل الرجل إذا غاب عنه فرآه فعرفه) [3]

وكنت تقول لهم: (والله إني لأعلم الناس بكل فتنة هي كائنة فيما بيني وبين الساعة، وما بي إلا أن يكون رسول الله ﷺ أسر إلي في ذلك شيئا لم يحدثه غيري، ولكن رسول الله ﷺ قال وهو يحدث مجلسا أنا فيه عن الفتن: فقال رسول الله ﷺ وهو يعد الفتن: منهن ثلاث لا يكدن يذرن شيئا، ومنهن فتن كرياح الصيف منها صغار ومنها كبار)، ثم تقول لهم: (فذهب أولئك الرهط كلهم غيري) [4]

بل كنت ـ سيدي ـ تذكر لهم بعض الأحداث قبل وقوعها حتى يتيقنوا من صدق قولك، فقد روي عن بعضهم قال: جئت يوم الجرعة فإذا رجل جالس فقلت: ليهراقن اليوم ههنا دماء. فقال ذاك الرجل: كلا والله قلت: بلى والله. قال: كلا والله قلت: بلى والله قال: كلا والله إنه لحديث رسول الله ﷺ حدثنيه قلت: بئس الجليس لي أنت منذ اليوم تسمعني أخالفك، وقد

---

1 () الاحتجاج، 302.

2 () رواه البخاري (7096) ومسلم(144) وأحمد (5 / 401) وابن أبي شيبة (7 / 449) والطيالسي (1 / 55) والترمذي (2258) وابن ماجه (3955) والنسائي في الكبرى (1 / 144)وابن حبان (13 / 304) والأوسط للطبراني(2 / 215)

3 () رواه البخاري(6604) ومسلم (2891) وأبو داود(4240) والداني مختصرا في السنن الواردة في الفتن (181) وأحمد (5 / 385) والطيالسي (1 / 58) وابن حبان (15 / 5) والحاكم (4 / 533)

4 () رواه مسلم (2891) و الحاكم (4 / 518)

سمعته من رسول الله ﷺ فلا تنهاني؟ ثم قلت: ما هذا الغضب؟ فأقبلت عليه أسأله فإذا الرجل حذيفة[1].

وعندما كانوا يطالبونك بالحديث عن كل الفتن التي تعرفها، تبين لهم صعوبة ذلك على عقولهم، وأنهم لا يطيقونه، ومن أحاديثك في ذلك قول: (لو حدثتكم لافترقتم على ثلاث فرق فرقة تقاتلني، وفرقة لا تنصرني، وفرقة تكذبني، أما إني سأحدثكم ولا أقول قال ﷺ.. أرأيتكم لو حدثتكم أنكم تأخذون كتابكم فتحرقونه وتلقونه في الحشوش صدقتموني)

قالوا: سبحان الله ويكون هذا؟.. فقلت: أرأيتكم لو حدثتكم أنكم تكسرون قبلتكم صدقتموني..

قالوا: سبحان الله ويكون هذا؟.. فقلت: أرأيتكم لو حدثتكم أن أمكم تخرج في فرقة من المسلمين وتقاتلكم صدقتموني؟ قالوا: سبحان الله ويكون هذا[2].

وحدث الزبير بن عدي عنك أنك قلت لرجل: ما فعلت أمك؟.. فقال: قد ماتت، فقلت: أما إنك ستقاتلها، فعجب الرجل من ذلك حتى خرجت عائشة[3].

وكنت تقول لهم: (لو شئت لحدثتكم بألف كلمة تصدقوني عليها وتتابعوني وتنصرونني، ولو شئت لحدثتكم بألف كلمة تكذبونني عليها وتجانبونني وتسبونني، وهن صدق من الله ورسوله)[4]

لقد كانت كلماتك سيدي نورا يمكن لمن يريد أن يعيشها أن يكتشف كل تلك الأهواء التي وضعتها الفئة الباغية في الدين، فحولته من دين الله إلى دين البشر، ومن دين العدالة والرحمة إلى دين الجور والظلم.

لقد كنت تصرخ في ذلك العصر محذرا من الفتن، وأسبابها، على الرغم من أن العمر لم يمتد بك، لترى أوجها، ولكن مبادئها كانت تظهر أمامك.

وكنت تحذر من الاغترار بأولئك الانتهازيين الذين يظهرون الإيمان، ويبطنون الكفر، طلبا لتحقيق أهوائهم..

---

1 () رواه مسلم (2893) وأحمد (5 / 399) والحاكم (4 / 519)

2 () رواه ابن أبي شيبة (7 / 479)

3 () رواه ابن أبي شيبة(7 / 535)

4 () حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (1/ 275)

وكنت تخبرهم بـأن تحريـف الـدين لن يـأتي دفعـة واحـدة، وإنما يستعمل الشيطان كل كيده، ابتداء من أمـور بسـيطة قـد يستهين الناس بها، فقد روي أنك سئلت: قيـل يـا أبـا عبـد اللـه أكفـر بنـو إسـرائيل في يـوم واحـد؟.. فقلت: (لا ولكن عرضـت عليهم فتنة فأبوا أن يركبوهـا، فضـربوا عليهـا حـتى ركبوهـا، ثم عرضت عليهم أكـبر منهـا، فقـالوا: لا نـركب هـذه أبـدا فضـربوا عليها حتى ركبوها فانسـلخوا من دينهم كمـا ينسـلخ الرجـل من قميصه) (1)

لذلك كنت ترد بقـوة على أولئـك الـذين توهمـوا أن سـوق النفاق قـد كسـد منـذ تـوفي رسـول اللـه ﷺ، وأن النـاس كلهم صاروا بطرفة عين عدولا وصالحين، وكأن وفاة رسـول اللـه ﷺ هي السبب في صلاحهم، مع أن وفاة رسـول اللـه ﷺ هي الـتي أطلقت عقالهم، وحررتهم من ذلك الخوف الـذي كـان يعـتريهم من الفضيحة.

لقـد كنت تقـول لهم، ولنـا معهم: (المنـافقون اليـوم شـر منهم على عهد رسول الله ﷺ، كانوا يومئذ يكتمونـه وهم اليـوم يظهرونه) (2)

وكنت تحذر من تسلل المنافقين إلى الغزوات لتحويل الجهاد في سبيل الله إلى وسيلة للظلم والمغنم وتشويه الإسلام، فقال: (إنكم ستعانون في غزوكم بالمنافقين) (3)

ولذلك كنت مرجعا في التعرف على المنافقين، وقد حـدث زيد بن وهب قال: (مـات رجـل من المنـافقين فلم يصـل عليـه حذيفة.. فقال له عمر: أمن القوم هو؟ قال: نعم فقال له عمر: بالله منهم أنا قال: لا ولن أخبر به أحدا بعدك)(4)

وعن أبي البختري قال: (قال رجل: اللهم أهلك المنافقين فقال حذيفة: (لو هلكوا ما انتصفتم من عدوكم) (5)

بل كنت تعتبر ما آل إليه حال المسلمين ردة وكفرا، وليس مجرد نفاق، فقد روي عنك قولك: (ذهب النفاق فلا نفـاق، إنمـا

1() شعب الإيمان(5 / 442)

2() حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (1/ 280)

3() سنن البيهقي الكبرى(9 / 36)

4() رواه ابن أبي شيبة(7 / 481)

5() رواه ابن أبي شيبة(7 / 481)

هو الكفر بعد الإيمان)[1]

وحدث بعضهم عنك، فقال: كنا مع حذيفة فأخذ حصى فوضع بعضه فوق بعض ثم قال لنا: انظروا ما ترون من الضوء؟ قلنا نرى شيئا خفيا قال: والله لتركبن الباطل على الحق حتى لا ترون من الحق إلا ما ترون من هذا[2].

وحدث آخر عنك، فقال: ليوشكن أن يصب عليكم الشر من السماء حتى يبلغ الفيافي. قال: قيل: وما الفيافي يا أبا عبد الله؟ قال: الأرض القفر[3].

وكنت لا تستثني من ذلك أحدا.. لا العلماء.. ولا الأمراء.. لأنك تعلم أن كليهما تجار في سوق الفتن.. أما العلماء، فكنت تقول لهم بكل صراحة: (يا معشر القراء، اسلكوا الطريق، فلئن سلكتموه لقد سبقتم سبقا بعيدا، ولئن أخذتم يمينا وشمالا لقد ضللتم ضلالا بعيدا)[4]

وأما الأمراء، فكنت تقول عنهم: (ليكونن عليكم أمراء، أو أمير، لا يزن أحدهم عند الله يوم القيامة قشرة شعيرة)[5]

وهكذا كنت تتألم لمعاني الدين وقيمه وحقائقه، وهي تتساقط أمام عينيك، فقد كنت تقول واصفا ومحذرا: (أول ما تفقدون من دينكم الخشوع، وآخر ما تفقدون من دينكم الصلاة)[6]

وكنت تقول لهم: (أول ما تفقدون من دينكم الخشوع، وآخر ما تفقدون من دينكم الصلاة، ولتنقضن عرى الإسلام عروة عروة، وليصلين النساء وهن حيض، ولتسلكن طريق من كان قبلكم حذو القذة بالقذة وحذو النعل بالنعل لا تخطئون طريقهم) [7]

وعندما رآك بعضهم تكثر من الحديث عن النفاق والتحذير منه سألك عن المنافق، فقلت: (الذي يصف الإسلام ولا يعمل

---

1 () حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (1/ 280)

2 () رواه ابن أبي شيبة (7 / 482)

3 () ابن أبي شيبة (7 / 482)

4 () البخاري (7282) وابن أبي شيبة (7 / 139)

5 () حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (1/ 280)

6 () حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (1/ 281)

7 () رواه الحاكم (4 / 516) وقال هذا حديث صحيح الإسناد ووافقه الذهبي

به)[1]

وكنت تخبرهم عن مصدر علمك بعلوم الفتن والنفاق، وأنها حرصك الشديد على نقاء الإسلام وصفائه، ولذلك كنت تسأل رسول الله ﷺ عن الشر أكثر من سؤالك له عن الخير، لأن الشيطان قد يسرب من الشر ما يحبط كل عمل، ويفسد كل خير، مثلما يفعل السم القليل مع الطعام الكثير.

لقد كنت تصيح فيهم قائلا: (يا أيها الناس، ألا تسألوني؟ فإن الناس كانوا يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر، أفلا تسألون عن ميت الأحياء؟ فقال: إن الله تعالى بعث محمدا ﷺ فدعا الناس من الضلالة إلى الهدى، ومن الكفر إلى الإيمان، فاستجاب له من استجاب، فحيي بالحق من كان ميتا، ومات بالباطل من كان حيا، ثم ذهبت النبوة فكانت الخلافة على منهاج النبوة، ثم يكون ملكا عضوضا، فمن الناس من ينكر بقلبه ويده ولسانه والحق استكمل، ومنهم من ينكر بقلبه ولسانه كافا يده وشعبة من الحق ترك، ومنهم من ينكر بقلبه كافا يده ولسانه وشعبتين من الحق ترك، ومنهم من لا ينكر بقلبه ولسانه فذلك ميت الأحياء)[2]

وكنت تتعجب من الذين يسكتون من التحذير من أئمة الفتن مع علمهم بهم، فتقول: (والله ما أدري أنسي أصحابي أم تناسوا؟ والله ما ترك رسول الله ﷺ من قائد فتنة إلى أن تنقضي الدنيا يبلغ من معه ثلثمائة فصاعدا إلا قد سماه لنا باسمه واسم أبيه واسم قبيلته) [3]

وكنت تحدثهم عن دور قريش في الفتنة، فتقول: (والله لا تدع مضر عبدا لله مؤمنا إلا فتنوه أو قتلوه أو يضربهم الله والملائكة والمؤمنون حتى لا يمنعوا ذنب تلعة)، فقال لك بعضهم: أتقول هذا يا عبد الله وأنت رجل من مضر؟ فقلت: (لا أقول إلا ما قال رسول الله ﷺ)[4]

وتقول لهم: (لتضربن مضر عباد الله حتى لا يعبد لله اسم

---

1 () حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (1/ 282)

2 () رواه أحمد (5 / 404)

3 () رواه أبو داود (4243)

4 () رواه ابن أبي شيبة (7 / 482) وأحمد (5 / 395) والحاكم (4 / 517) والطبراني في الأوسط (6 / 345)

وليضربنهم المؤمنون حتى لا يمنعوا ذنب تلعة) [1]

وكنت تذكر لهم رؤوس الفتنة الذين لم يقتلوا مع ما ورد في الأمر بذلك، فقد حدث زيد بن وهب قال: كنا عند حذيفة فقال: (ما بقي من أصحاب هذه الآية: ﴿فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ﴾ [التوبة: 12] إلا ثلاثة، ولا من المنافقين إلا أربعة، فقال أعرابي: إنكم أصحاب محمد ﷺ تخبروننا فلا ندري، فما بال هؤلاء الذين يبقرون بيوتنا ويسرقون أعلاقنا؟ قال: (أولئك الفساق أجل لم يبق منهم إلا أربعة أحدهم شيخ كبير لو شرب الماء البارد لما وجد برده) [2]

وعندما سئلت عن قوله تعالى: ﴿فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ﴾ [التوبة: 12]، قلت: (لا عهد لهم.. ما قوتلوا بعد) [3]

وكنت تحذرهم من ذلك الموقف السلبي منهم، والذي كان سببا في حصول الفتنة القادمة، وهو ذلك الموقف الذي لا يقف مع الباطل، ولكنه يخذل الحق، ثم يستعمله الباطل بعد ذلك وسيلة لضرب الحق، ثم يضربه كما يضرب الحق، وكنت تحدثهم عن رسول الله ﷺ أنه قال: (والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابا منه ثم تدعونه فلا يستجاب لكم)[4]

وكنت تصف لهم التاريخ الإسلامي بدقة، وكأنك تراه رأي العين، وقد كان من أوصافك له ذلك الحديث الذي لا يمكن لأحد يريد أن يعرف القراءة النبوية لحركة التاريخ أن يتجاهله، فقد حدث بعضهم يذكر وصف حذيفة للفتن الأولى، فقال: قدمت الكوفة فدخلت المسجد فإذا فيه حلقة كأنما قطعت رؤوسهم يستمعون إلى حديث رجل، فقمت عليهم فقلت: من هذا؟ قيل: حذيفة بن اليمان، فدنوت منه فسمعته يقول: كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر، فعرفت أن الخير لم يسبقني، قلت: يا رسول الله: أبعد هذا

---

1 () رواه أحمد (3 / 86)

2 () رواه البخاري (4658)

3 () الحاكم (2 / 362) وصححه ووافقه الذهبي

4 () الترمذي (2169) وحسنه وأحمد (5 / 388) والطيالسي (1 / 59)

الخير شر؟ قال: (يا حذيفة، تعلم كتاب الله، واتبع ما فيه) قالها ثلاثا.. قلت: يا رسول الله، هل بعد هذا الخير شر؟ قال: (فتنة وشر.. وهدنة على دخن).. قلت: يا رسول الله، ما الهدنة على دخن؟ قال: (لا ترجع قلوب أقوام إلى ما كانت عليه)، ثم قال رسول الله ﷺ: (ثم تكون فتنة عمياء صماء، دعاته ضلالة)، أو قال: (دعاته النار، فلأن تعض على جذل شجرة خير لك من أن تتبع أحدا منهم) [1]

وفي حديث آخر رحت تذكر حركة التاريخ في مداها الأوسع، فقلت: (كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني، فقلت: يا رسول الله: إنا كنا في جاهلية وشر فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير شر؟ قال: (نعم)، فقلت: هل بعد ذلك الشر من خير؟ فقال: (نعم، وفيه دخن)، فقلت: وما دخنه؟ قال: (قوم يستنون بغير سنتي، ويهدون بغير هديي، تعرف منهم وتنكر)، فقلت: هل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: (نعم، دعاة على أبواب جهنم، من أجابهم إليها قذفوه فيها). فقلت: يا رسول الله: صفهم لنا، قال: (نعم، هم قوم من جلدتنا يتكلمون بألسنتنا). قلت: يا رسول الله فما تأمرني إن أدركني ذلك؟ قال: (تلزم جماعة المسلمين وإمامهم)، قلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: (اعتزل تلك الفرق كلها، ولو أن تعض على جذل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك)[2]

وكنت تذكر لهم أنواع الفتن، وتحذرهم من الوقوع فيها، وتقول لهم: (ثلاث فتن والرابعة تسوقهم إلى الدجال: التي ترمي بالرضف، والتي ترمي بالنشف، والسوداء المظلمة التي تموج كموج البحر، والرابعة تسوقهم إلى الدجال)[3]

وكنت تقول: (أتتكم الفتن ترمي بالنشف، ثم أتتكم ترمي بالرضف، ثم أتتكم سوداء مظلمة)[4]

وكنت تذكر لهم أن هناك فتنا كثيرة لا تقل عن الدجال في انتظارهم، فعن أبي عمرو الشيباني قال: كنت عند حذيفة

---

1 () رواه أبو داود (4246) وأحمد (5 / 386) وابن حبان (13 / 299)

2 () رواه البخاري (3606) ومسلم (1847) وابن ماجه (3979) والحاكم (4 / 197)

3 () حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (1/ 273)

4 () حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (1/ 273)

جالسا إذ جاء أعرابي حتى جثا بين يديه فقال: أخرج الدجال؟ فقال له حذيفة: (وما الدجال إن ما دون الدجال أخوف من الدجال إنما فتنته أربعون ليلة) [1]

وكنت تذكر لهم صفات المتعرضين للفتن، وسبب تعرضهم لها، فتقول: (إن الفتنة وكلت بثلاث: بالحاد النحرير الذي لا يرتفع له شيء إلا قمعه بالسيف، وبالخطيب الذي يدعو إليها، وبالسيد، فأما هذان فتبطحهما لوجوههما، وأما السيد فتبحثه حتى تبلو ما عنده)[2]

وكنت تحذرهم من الأمراء والانصياع لهم، فأبوابهم هي أبواب الفتن، وتقول: (إياكم ومواقف الفتن) قيل: وما مواقف الفتن يا أبا عبد الله؟ قال: (أبواب الأمراء، يدخل أحدكم على الأمير فيصدقه بالكذب ويقول ما ليس فيه)[3]

وكنت تقول لهم: (لا يمشين رجل منكم شبرا إلى ذي سلطان ليذله فلا والله لا يزال قوم أذلوا السلطان أذلاء إلى يوم القيامة) [4]

وكنت تقول لهم: (اتقوا أبواب الأمراء فإنها مواقف الفتن ألا أن الفتنة شبيهة مقبلة وتبين مدبرة)[5]

وكنت تعلم أن الإرهاب سيغزو هذه الأمة، وسيقتل الناس لأجل معتقداتهم، ولذلك كنت تحذر من استعمال السيف في الفتنة، وتقول: (إن مما أتخوف عليكم رجلا قرأ القرآن، حتى إذا رئيت عليه بهجته، وكان رداء للإسلام أعزه إلى ما شاء الله، انسلخ منه ونبذه وراء ظهره، وخرج على جاره بالسيف ورماه بالشرك)، قال: قلت: يا رسول الله أيهما أولى بالشرك؟ المرمي أم الرامي؟ قال: (لا بل الرامي)[6]

وكنت تقول ناصحا: (إياكم والفتن، لا يشخص إليها أحد، فوالله ما شخص فيها أحد إلا نسفته كما ينسف السيل الدمن، إنها مشبهة مقبلة حتى يقول الجاهل: هذه تشبه، وتبين مدبرة،

1() ابن أبي شيبة (7 / 493)

2() حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (1/ 274)

3() حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (1/ 277)

4() ابن أبي شيبة(7 / 487)

5() ابن أبي شيبة(7 / 528)

6() معرفة الصحابة لأبي نعيم (2/ 690)

فإذا رأيتموها فاجثموا في بيوتكم، وكسروا سيوفكم، وقطعوا أوتاركم)[1]

وتقول: (إن للفتنة وقفات وبغتات، فمن استطاع أن يموت في وقفاتها فليفعل)[2]

وتقول: (ليأتين على الناس زمان لا ينجو فيه إلا من دعا بدعاء كدعاء الغريق)[3]

وكنت تدعوهم إلى العودة إلى القرآن الكريم لتمييز الحق من الباطل عندما يشتبهان بسبب الفتن، فقد سألك بعضهم، فقال: إن الفتنة وقعت، فحدثني ما سمعته، قال: (أولم يأتكم اليقين، كتاب الله عز وجل؟)[4]

وأخبرتهم أنك سألت رسول الله ﷺ، فقلت: يا رسول الله هل بعد هذا الخير الذي نحن فيه من شر نحذره؟ قال لك: (يا حذيفة عليك بكتاب الله فتعلمه واتبع ما فيه خيرا لك)[5]

ولم تكن تكتفي ـ سيدي ــ بالفتن العامة، بل كنت تذكر الفتن الخاصة بكل إنسان، ذلك أنه لولا ذلك النوع من الفتن ما حلت الفتن العامة، فمما لا نزال نحفظه من حكمك قولك: (إن الفتنة تعرض على القلوب، فأي قلب أشربها نكتت فيه نكتة سوداء، فإن أنكرها نكتت فيه نكتة بيضاء، فمن أحب منكم أن يعلم أصابته الفتنة أم لا، فلينظر فإن كان يرى حراما ما كان يراه حلالا، أو يرى حلالا ما كان يراه حراما، فقد أصابته الفتنة)[6]

وكنت تقول: (إذا أذنب العبد نكت في قلبه نكتة سوداء، فإن أذنب نكت في قلبه نكتة سوداء، حتى يصير قلبه كالشاة الربداء)[7]

وكنت تقول: (القلب بمنزلة الكف فإذا أذنب ينقبض ثم يذنب فينقبض حتى يجتمع؛ فإذا اجتمع طبع عليه فإذا سمع خيرا

---

1 () حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (1/ 273)

2 () حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (1/ 274)

3 () حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (1/ 274)

4 () حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (1/ 274)

5 () رواه ابن حبان (1 / 323)

6 () حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (1/ 272)

7 () حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (1/ 273)

دخل في أذنيه حتى يأتي قلبه فلا يجد منه مدخلا فذلك قوله عز وجل: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ [المطففين: 14])[1]

وكنت تقول: (القلوب أربعة: قلب أغلف، فذلك قلب الكافر، وقلب مصفح، فذلك قلب المنافق، وقلب أجرد فيه سراج يزهر، فذاك قلب المؤمن، وقلب فيه نفاق وإيمان، فمثل الإيمان كمثل شجرة يمدها ماء طيب، ومثل النفاق مثل القرحة يمدها قيح ودم، فأيهما غلب عليه غلب)[2]

وكنت تقول: (والذي لا إله غيره، إن الرجل ليصبح يبصر ببصره، ويمسي ما ينظر بشفر)[3]

وكنت تذكر لهم بأن للفتن في المتعرضين لها سطوة كسطوة الخمر، تمنعهم من البحث والتحقيق، وتجعلهم كالسكارى يتصرفون من غير وعي، وقد قلت في ذلك: (ما الخمر صرفا بأذهب بعقول الرجال من الفتنة)[4]

وكنت تقول لهم: (إن أخوف ما أتخوف عليكم أن تؤثروا ما ترون على ما تعلمون وأن تضلوا وأنتم لا تشعرون) [5]

وقد سئلت حينها أي الفتنة أشد؟ فقلت: (أن يعرض عليك الخير والشر لا تدري أيهما تتبع)[6]

وكنت تذكر لهم اختلال الموازين أيام الفتن، حيث يقرب المنحرفون، ويطرد المتقون الصالحون، ومما نقلته عن النبي ﷺ في ذلك قولك: (حدثنا رسول الله ﷺ حديثين رأيت أحدهما وأنا أنتظر الآخر، حدثنا أن الأمانة نزلت في جذر قلوب الرجال ثم علموا من القرآن ثم علموا من السنة، وحدثنا عن رفعها قال: ينام الرجل النومة فتقبض الأمانة من قلبه فيظل أثرها مثل أثر الوكت ثم ينام النومة فتقبض فيبقى أثرها مثل المجل ؛ كجمر دحرجته على رجلك فنفط فتراه منتبرا ؛ وليس فيه شيء فيصبح الناس يتبايعون فلا يكاد أحدهم يؤدي الأمانة

1() شعب الإيمان(4 / 441)

2() حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (1/ 276)

3() حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (1/ 273)

4() حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (1/ 274)

5() ابن أبي شيبة(7 / 503)

6() ابن أبي شيبة(7 / 503)و الفتن للمروزي(37)

فيقال: إن في بني فلان رجلا أمينا، ويقال للرجل: ما أعقله وما أظرفه وما أجلده ؛ وما في قلبه مثقال حبة خـردل من إيمـان.. ولقد أتى علي زمان وما أبالي أيكم بايعت لئن كان مسـلما رده علي الإسلام، وإن كان نصرانيا رده علي ساعيه، فأما اليوم فما كنت أبايع إلا فلانا وفلانا.) (1)

وكنت تقول لهم: (لا تقوم الساعة حتى يكون أسعد الناس بالدنيا لكع بن لكع)(2)

وكنت تذكر لهم كيـف يسـتولي هـذا الصـنف على أراضـي المستضـعفين وأمـوالهم، فقلت: (لكـأني بـراكب قـد أنـاخ بكم، فقـال: الأرض أرضـنا، والمـال مالنـا، فحـال بين الأرامـل والمساكين، وبين المال الذي أفاء الله على آبائهم)(3)

هذه سيدي بعض أحاديثك في الفتن.. وهي كافية لمن يريد أن يتخلص من كـل تلـك الشـوائب الـتي علقت بالـدين، والـتي اعتـبرت مـا سـمته [عهـد السـلف] عهـدا معصـوما، ولـو أنهم استمعوا لأحاديثك، لعرفوا أن ذلك الشيطان استعمل ذلك العهد كل قواه لتحريف الـدين، وتحويلـه من دين إلهي مملـوء بـالقيم الرفيعة إلى دين بشري مملوء بالخرافات والدجل والأساطير.

لكنك مع كل تلك الأحـاديث ــ سـيدي ــ كنت تـذكر لهم أن الله تعالى لن يـترك الأمـة للمحـرفين فقـط، بـل إن الصـالحين المحافظين على العهود موجودون في كل الأزمنة، حتى يكونـوا ملاذا للنجاة، فقـد رويت عن رسـول اللـه ﷺ أنـه قـال لـك: (يـا حذيفـة إن في كـل طائفـة من أمـتي قومـا شـعثا غـبرا، إيـاي يريدون، وإياي يتبعـون، وكتـاب اللـه يقيمـون، أولئـك مـني وأنـا منهم، وإن لم يروني) (4)

أما عن حياتك سيدي.. فقد كنت كسائر الصحابة المنتجبين تمارس كل أدوارك التي تطلب منك، وتحضر كـل المشـاهد(5)، حتى أنك قمت بسرية لوحدك، وقد كانت أخطر سرية، حصـلت

1() رواه البخاري (6497) واللفظ له ومسلم (143) وأحمد (5 / 383) وعبد الرزاق (11 / 157) والطيالسي (1 / 57) والترمذي (2179) وابن ماجه (4053)و الحميدي في مسنده (1 / 211) وابن حبان (15 / 164)والبيهقي في الكبرى (10 / 122)

2() معرفة الصحابة لأبي نعيم (2/ 691)

3() حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (1/ 275)

4() حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (1/ 64)

5() قال في الطبقات الكبرى: لم يشهد حذيفـة بـدرا وشـهد أحـدا هـو وأبـوه وأخـوه صفوان بن اليمان، وقتل أبوه يومئذ. وشهد حذيفة الخندق وما بعد ذلك من المشـاهد مـع

في ذلك اليوم الذي وصفه الله تعالى بقوله: ﴿ إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا (10) هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴾ [الأحزاب: 10، 11]

وقد قصصت نبأ تلك السرية التي قمت بها لوحدك جوابا لمن قال لك: (يا أبا عبد الله رأيتم رسول الله ﷺ وصحبتموه؟)، فقلت: نعم يا بن أخي، فقال: فكيف كنتم تصنعون؟ فقلت: والله لقد كنا نجهد، فقال: والله لو أدركناه ما تركناه على الأرض ولجعلناه على أعناقنا..

حينها رحت تقص عليه ذلك الموقف الذي حصل لك، فقلت: يا ابن أخي والله لقد رأيتنا مع رسول الله ﷺ بالخندق وصلى رسول الله ﷺ من الليل هويا ثم التفت إلينا فقال: من رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم يشترط له رسول الله ﷺ إنه يرجع أدخله الله الجنة فما قام رجل، ثم صلى رسول الله ﷺ هويا من الليل ثم التفت إلينا فقال: من رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم ثم يرجع يشرط له رسول الله ﷺ الرجعة أسأل الله أن يكون رفيقي في الجنة؛ فما قام رجل من القوم مع شدة الخوف وشدة الجوع وشدة البرد، فلما لم يقم أحد دعاني رسول الله ﷺ فلم يكن لي بد من القيام حين دعاني. فقال: يا حذيفة فاذهب فادخل في القوم فانظر ما يفعلون ولا تحدثن شيئا حتى تأتينا.. فذهبت فدخلت في القوم والريح، وجنود الله تفعل ما تفعل لا تقر لهم قدر ولا نار ولا بناء، فقام أبو سفيان بن حرب فقال: يا معشر قريش لينظر امرؤ من جليسه، فأخذت بيد الرجل الذي إلى جنبي فقلت: من أنت قال: أنا فلان بن فلان، ثم قال أبو سفيان: يا معشر قريش إنكم والله ما أصبحتم بدار مقام لقد هلك الكراع وأخلفتنا بنو قريظة بلغنا منهم الذي نكره ولقينا من هذه الريح ما ترون، والله ما تطمئن

رسول الله ﷺ ، الطبقات الكبرى (7/ 230)، وقد ذكر حذيفة سبب عدم شهوده بدرا، فقال: (ما منعني أن أشهد بدرا إلا أني خرجت وأبي حسيل، فأخذنا كفار قريش، فقالوا إنكم تريدون محمدا ، فقلنا ما نريده، وما نريد إلا المدينة فأخذوا منا عهد الله وميثاقه، لننصرفن إلى المدينة، ولا نقاتل معه، فأتينا رسول الله(ص) فأخبرناه الخبر، فقال: انصرفا نفي لهم بعهدهم، ونستعين الله عليهم) المزي، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، ج 5، ص 497.

لنا قدر ولا تقوم لنا نار ولا يستمسك لنا بناء فارتحلوا فإني مرتحل، ثم قام إلى جمله وهو معقول فجلس عليه ثم ضربه فوثب على ثلاث فما أطلق عقاله إلا وهو قائم، ولولا عهد رسول الله ﷺ لا تحدث شيئا حتى تأتيني ثم شئت لقتلته بسهم.. ثم رجعت إلى رسول الله ﷺ وهو قائم يصلي؛ فلما رآني أدخلني إلى رحله وطرح علي طرف المرط ثم ركع وسجد، وإنه لفيه فلما سلم أخبرته الخبر(1).

وهكذا حصل لك في هذا الحديث، وباختيار رسول الله ﷺ لك، البشارة العظيمة، لا بالجنة، وإنما بمرافقته فيها.. ولا بالمجان، وإنما نتيجة لعمل عظيم قمت به، ثم استمررت في القيام به إلى آخر لحظات حياتك.

فقد كنت وفيا لعهودك جميعا، تسير سيرة المنتجبين من أصحاب محمد ﷺ في زهدك وتواضعك وإخلاصك، وبعدك عن التثاقل إلى الدنيا وأهوائها، وقد حدث محمد بن سيرين عن حالك عندما وليت ولاية المدائن، فقال: كان عمر إذا بعث عاملا كتب في عهده أن اسمعوا له وأطيعوا ما عدل عليكم، فلما استعمل حذيفة على المدائن كتب في عهده أن اسمعوا له وأطيعوا وأعطوه ما سألكم، فخرج حذيفة من عند عمر على حمار موكف وعلى الحمار زاده، فلما قدم المدائن استقبله أهل الأرض والدهاقين وبيده رغيف وعرق من لحم على حمار على إكاف، فقرأ عهده إليهم، فقالوا: سلنا ما شئت، قال: أسألكم طعاما آكله، وعلف حماري هذا ما دمت فيكم، فأقام فيهم ما شاء الله، ثم كتب إليه عمر أن أقدم، فلما بلغ عمر قدومه كمن له على الطريق في مكان لا يراه، فلما رآه عمر على الحال الذي خرج من عنده عليه أتاه فالتزمه وقال: أنت أخي وأنا أخوك(2).

وعن ساعدة بن سعد بن حذيفة أن حذيفة كان يقول: ما من يوم أقر لعيني ولا أحب لنفسي من يوم آتي أهلي فلا أجد عندهم طعاما، ويقولون ما نقدر على قليل ولا كثير وذلك أني سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إن الله أشد حمية للمؤمن من الدنيا من المريض أهله الطعام. والله تعالى أشد تعاهدا

1() رواه مسلم (1788) وابن حبان (16/67) ، وأحمد (5 / 392)

2() رواه ابن سعد، حياة الصحابة (3/ 349)

للمؤمن بالبلاء من الوالد لولده بالخير) [1]

وقد ظللت على ذلك إلى آخر أيام حياتك، وقد ذكر بعض من حضر احتضارك، أنك قلت في آخر لحظات حياتك: (لولا أني أرى أن هذا اليوم آخر يوم من الدنيا وأول يوم من الآخرة لم أتكلم به، اللهم إنك تعلم أني كنت أحب الفقر على الغنى، وأحب الذلة على العز، وأحب الموت على الحياة، حبيب جاء على فاقة، لا أفلح من ندم)، ثم مت بعدها[2].

وعن الحسن، قال: لما حضر حذيفة الموت قال: (حبيب جاء على فاقة، لا أفلح من ندم، الحمد لله الذي سبق بي الفتنة قادتها وعلوجها) [3]

وعن خالد بن الربيع العبسي قال: أتيناه وهو بالمدائن حتى دخلنا عليه جوف الليل، فقال لنا: (أي ساعة هذه؟) قلنا: جوف الليل، أو آخر الليل، فقال: (أعوذ بالله من صباح إلى النار)، ثم قال: (أجئتم معكم بأكفان؟) قلنا: نعم، قال: (فلا تغالوا بأكفاني، فإنه إن يكن لصاحبكم عند الله خير، فإنه يبدل بكسوته كسوة خيرا منها، وإلا يسلب سلبا) [4]

وعن أبي مسعود، قال: لما أتي حذيفة بكفنه، وكان جديدا، قال: (ما تصنعون بهذا؟ إن كان صاحبكم صالحا ليبدلن الله تعالى به، وإن كان غير ذلك ليترامن به رجواها إلى يوم القيامة) [5]، وقال: (ما هذا لي بكفن، إنما يكفيني ريطتان بيضاوان، ليس معهما قميص، فإني لا أترك إلا قليلا حتى أبدل خيرا منهما أو شرا منهما)[6]

هذه سيدي بعض رسائلك إلينا، ولا نزال نحفظها ونحتفظ بها، ونعرف من خلالها عظم تربية النبي ﷺ لأصحابه، وعظم العلوم التي بثها لهم، وندرك معها كذلك عظم الخدع التي استطاع البغاة وأصحاب الثروة المضادة تشويه التلمذة على رسول الله ﷺ، وتحويلها إلى معنى أسطوري لا علاقة له

---

1 () رواه الطبراني، حياة الصحابة (2/ 584)

2 () حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (1/ 282)

3 () حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (1/ 282)

4 () حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (1/ 282)

5 () حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (1/ 282)

6 () حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (1/ 283)

بالقيم، ولا بالعمل.

2. عبد الله بن مسعود:

وهكذا أنت يا سيدي.. يا عبد الله بن مسعود.. يا من شرفك الله بأن جعلك من الصحابة السابقين.. والتلاميذ الناجحين.. والرساليين المضحين.

لقد ذكرت قصة إسلامك، والكرامة الإلهية التي تحققت لرسول الله ﷺ لتعرفك به، فقلت: (كنت أرعى غنما لعقبة بن أبي معيط فمر بي رسول الله ﷺ، وأبو بكر فقال لي يا غلام هل من لبن؟ قال قلت: نعم ولكني مؤتمن. قال: فهل من شاة؟ فأتيته بشاة، فمسح ضرعها، فنزل لبن، فحلبه في إناء فشرب وسقى أبا بكر، قال: ثم قال للضرع اقلص فقلص، ثم أتيته بعد هذا، فقلت: يا رسول الله علمني من هذا القول، فمسح رأسي، وقال: (يرحمك الله فإنك غليم معلم)[1]

وهكذا شرفك الله بأن كنت من أوائل من جهر بالقرآن الكريم، وقد قال المؤرخون يذكرون ذلك: أول من جهر بالقرآن بعد رسول اللّه ﷺ بمكة عبد الله بن مسعود، اجتمع يوما أصحاب رسول اللّه ﷺ فقالوا: واللّه ما سمعت قريش هذا القرآن يجهر لها به قط، فمن رجل يسمعهموه؟ فقال عبد اللّه بن مسعود: أنا. قالوا: إنا نخشاهم عليك، إنما نريد رجلا له عشيرة يمنعونه من القوم إذا أرادوه. قال: دعوني فإن اللّه سيمنعني.. فغدا ابن مسعود حتى أتى المقام في الضحى وقريش في أنديتها حتى قام عند المقام ثم قال: ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم الرَّحْمَنُ (1) عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾ [الرحمن: 1، 2]، ثم استقبلها يقرؤها وتأمَّلوه يقولون: ماذا قال ابن أمَّ عبد؟ ثم قالوا: إنه ليتلو بعض ما جاء به محمد. فقاموا إليه فجعلوا يضربون في وجهه وجعل يقرأ حتى بلغ ما شاء اللّه أن يبلغ ثم انصرف إلى أصحابه وقد أثّروا بوجهه فقالوا: هذا الذي خشينا عليك. قال: ما كان أعداء اللّه تعالى أهون عليّ منهم الآن ولئن شئتم لأغادينهم بمثلها غدا. قالوا: لا حسبك، قد أسمعتهم ما يكرهون[2].

ومنذ ذلك الحين الذي أثبت فيه صدقك وإخلاصك

1() رواه أحمد: 1/ 379، والبيهقي في دلائل النبوة، 6/ 84.

2() سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد (2/ 351)

وتضحيتك، وأنت دائم الصحبة لرسول الله ﷺ حتى كان الناس يظنون قرابتك منه، وقد قال أبو موسى يحدث عنك: (قدمت أنا وأخي من اليمن فمكثنا حينا، وما نحسب ابن مسعود وأمه إلا من أهل بيت النبي ﷺ لكثرة دخولهم وخروجهم عليه) (1)، وقال: (والله لقد رأيت عبد الله وما أراه إلا عبد آل محمد ﷺ)

وقد قلت تحدث عن نفسك، وعلاقتك برسول الله ﷺ: لما نزلت: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [المائدة: 93]، قال رسول الله ﷺ: (قيل لي أنت منهم) (2)

ولم تكن تلك الصحبة مجرد مخالطة عادية، وإنما كنت تتلمذ فيها تلمذة حقيقية على رسول الله ﷺ وعلى القرآن الذي يتنزل عليه، فلم تكن تغيب عنك آية ولا حديث، وقد شهد لك بذلك إمامك علي، فعندما قالوا له: حدثنا عن أصحاب محمد رسول الله ﷺ، قال: عن أيهم؟ قالوا: أخبرنا عن عبد الله بن مسعود، قال: (علم القرآن والسنة، ثم انتهى، وكفى بذلك علما)(3)

وهكذا شهد لك بذلك المنتجبون من صحابة رسول الله ﷺ، فعن أبي وائل قال: كنت مع حذيفة، فجاء ابن مسعود فقال حذيفة: إن أشبه الناس هديا ودلا وقضاء وخطبة برسول الله ﷺ من حين يخرج من بيته إلى أن يرجع لا أدري ما يصنع في أهله لعبد الله بن مسعود، ولقد علم المجتهدون من أصحاب محمد ﷺ أن عبد الله من أقربهم عند الله وسيلة يوم القيامة) (4)

وعندما سأله بعضهم قائلا: أخبرنا برجل قريب السمت والدل برسول الله ﷺ حتى نلزمه، قال: (ما أعلم أحدا أقرب سمتا ولا هديا ولا دلا من رسول الله ﷺ حتى يواريه جدار بيته من ابن أم عبد، ولقد علم المحفوظون من أصحاب محمد أن ابن أم عبد من أقربهم إلى الله زلفة) (5)

1() رواه البخاري، 4384"، ومسلم "2460"

2() رواه مسلم "2459"، والترمذي "3053"

3() حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (1/ 129)

4() رواه البخاري، "6097"

5() رواه الترمذي "3708" ، والبخاري "3762"

وقد كان رسول الله ﷺ يبين لصحابته قدراتك حتى يستفيدوا منها في خدمة الإسلام، وتبليغ قيمه، حتى لا تتاح الفرص للطلقاء واليهود وغيرهم، فعن أبي الدرداء قال: خطب رسول الله ﷺ خطبة خفيفة فلما فرغ من خطبته قال: (يا أبا بكر! قم فاخطب) فقام أبو بكر فخطب فقصر دون النبي ﷺ ثم قال: (يا عمر قم فاخطب)، فقام عمر فقصر دون أبي بكر ثم قال: (يا فلان قم فاخطب) فشقق القول، فقال له رسول الله ﷺ: (اسكت أو اجلس، فإن التشقيق من الشيطان، وإن البيان من السحر)، وقال: (يا ابن أم عبد قم فاخطب)، فقام فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: (أيها الناس إن الله عز وجل ربنا، وإن الإسلام ديننا، وإن القرآن إمامنا، وإن البيت قبلتنا، وإن هذا نبينا)، وأومأ إلى النبي ﷺ رضينا ما رضي الله لنا ورسوله، وكرهنا ما كره الله لنا ورسوله، والسلام عليكم)، فقال رسول الله ﷺ: (أصاب ابن أم عبد، وصدق، رضيت بما رضي الله لأمتي وابن أم عبد وكرهت ما كره الله لأمتي وابن أم عبد)[1]

لكنهم للأسف قصروا في الكثير من ذلك، وقد تأثرت بذلك التقصير، عندما رحت تلومهم على جعلهم زيدا بن ثابت الأنصاري على رأس اللجنة التي شكلت لجمع القرآن الكريم، مع أنه كان يبلغ من العمر عند قدوم رسول الله ﷺ المدينة لا يتجاوز إحدى عشرة سنة، أي أنك أسلمت قبل مولده.

لذلك كنت تذكر لهم أنك عشت مع القرآن، وكنت تتبع نزول كل آياته في مكة والمدينة في الوقت الذي لم يولد فيه أولئك الذين عهد إليهم بتلك المهمة الخطيرة، وقد قلت في ذلك متأسفا: (لقد قرأت من في رسول الله ﷺ سبعين سورة، وزيد له ذؤابة يلعب مع الغلمان) [2]

وكنت تقول لهم: (والذي لا إله غيره ما نزلت آية من كتاب الله إلا أنا أعلم أين نزلت وأعلم فيما نزلت، ولو أعلم أن أحدا أعلم مني بكتاب الله تناله المطي لأتيته)

وكنت تقول لهم: (لقد قرأت على رسول الله ﷺ سبعين سورة، ولقد علم أصحاب محمد أني أعلمهم بكتاب الله، ولو أعلم أحدا أعلم بكتاب الله مني لرحلت إليه)، قال الراوي:

---

1 () تاريخ دمشق لابن عساكر (33/ 121)

2 () رواه أحمد 1 / 389، 405، 414، 442، وأبو نعيم في " الحلية " 1 / 125.

(فجلست في حلق من أصحاب محمد ﷺ، فما سمعت أحدا منهم يعيب عليه شيئا مما قال، ولا يرد عليه)[1]

وكنت تقول لهم: (عجبا للناس وتركهم قراءتي، وأخذهم قراءة زيد، وقد أخذت من في رسول الله ﷺ سبعين سورة، وزيد بن ثابت صاحب ذؤابة غلام يجيء ويذهب بالمدينة) [2]

بل إن رسول الله ﷺ هو الذي شهد لك بذلك، وأنت لم تكن تردد سوى شهادة رسول الله ﷺ فيك، ففي الحديث أن رسول الله ﷺ مر عليك، وأنت قائم تصلي، فافتتحت سورة النساء، فقال ﷺ: (من أحب أن يقرأ القرآن غضا كما أنزل، فليقرأ قراءة ابن أم عبد)، ثم أخذت في الدعاء، فجعل رسول الله ﷺ يقول: (سل تعط)، فكان فيما سألت قولك: (اللهم إني أسألك إيمانا لا يرتد، ونعيما لا ينفد، ومرافقة نبيك محمد ﷺ في أعلى جنان الخلد)[3]، وهذه إحدى بشارات رسول الله ﷺ لك بالجنة، ولو أنك لا تُذكر في المبشرين بها، بسبب عدم كونك من قريش.

ومما يروى في ذلك الحديث الذي يمثل قيمة من قيم الإيمان التي عبث بها التحريف، فقد روي أنك تسلقت شجرة تجتني بعض ثمارها، وكنت دقيق الساقين، فجعلت الريح تكفؤك، فضحك الحضور منك، ومن ساقيك، فقال رسول الله ﷺ: (مم تضحكون؟)، قالوا: يا نبي الله، من دقة ساقيه، فقال ﷺ: (والذي نفسي بيده، لهما أثقل في الميزان من أحد)[4]

ولهذا كان رسول الله ﷺ يستعمل كل الوسائل لتقريبك، وإزالة تلك النفرة عنك، والتي كان سببها تلك الأخلاق الجاهلية التي تفرق بين الناس على أساس أنسابهم وأجسامهم وغناهم وفقرهم.

ولهذا كان رسول الله ﷺ يخبر عن حبه لقراءتك، حتى يجتمع الناس إليك بسببها، منشغلين عن جسمك ونسبك، وقد ذكرت بعض مشاهد ذلك، فقلت: (قال لي رسول الله ﷺ: (اقرأ علي القرآن)، قلت: يا رسول الله! أقرأ عليك وعليك أنزل؟!

---

1 () رواه مسلم (2462)

2 () حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (1/ 125)

3 () رواه أحمد: 1 / 445، 454، والحاكم بنحوه 3 / 317 .

4 () الحاكم (3/358، رقم 5385) وقال: صحيح الإسناد. والطبرانى (19/28، رقم 59)

قال: (إني أشتهي أن أسمعه من غيري)، فقرأت عليه سورة النساء حتى بلغت: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ، وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلاَءِ شَهِيداً﴾ [النساء: 41]، فغمزني برجله، فإذا عيناه تذرفان)[1]

وبعد وفاة رسول الله ﷺ ظللت وفيا لعهده، لم تغير ولم تبدل، بل كنت تأمر بالمعروف، وتنهى عن المنكر، وتواجه النفاق، وتدعو إلى مواجهته، وتقول: (جاهدوا المنافقين بأيديكم فإن لم تستطيعوا فبألسنتكم فإن لم تستطيعوا إلا أن تكفهروا في وجوههم فافعلوا)

وكنت ـ بسبب ما تراه من تلاعب بالقيم القرآنية وتحريف لها وتقريب لليهود وغيرهم وإعطائهم الفرصة لتفسير القرآن بأساطيرهم وخرافاتهم ـ تدعو إلى العودة إلى القرآن الكريم، وتفعيله في جميع نواحي الحياة، وكنت تصف لهم قارئ القرآن الكريم، فتقول: (ينبغي لحامل القرآن أن يعرف بليله إذا الناس نائمون، وبنهاره إذا الناس يفطرون، وبحزنه إذا الناس يفرحون، وببكائه إذا الناس يضحكون، وبصمته إذا الناس يخلطون، وبخشوعه إذا الناس يختالون، وينبغي لحامل القرآن أن يكون باكيا محزونا حكيما حليما عليما سكيتا، ولا ينبغي لحامل القرآن أن يكون جافيا، ولا غافلا، ولا صخابا، ولا صياحا، ولا حديدا) [2]

وكنت تقول لهم: (إن هذا القرآن مأدبة الله، فمن استطاع أن يتعلم منه شيئا فليفعل، فإن أصفر البيوت من الخير الذي ليس فيه من كتاب الله شيء، وإن البيت الذي ليس فيه من كتاب الله شيء كخراب البيت الذي لا عامر له، وإن الشيطان يخرج من البيت الذي تسمع فيه سورة البقرة) [3]

وكنت تقول: (إنما هذه القلوب أوعية، فاشغلوها بالقرآن، ولا تشغلوها بغيره) [4]

وهكذا كنت تحذر من الكسل والفراغ الذي كان أعظم فرصة للشيطان لبث قيمه التي يواجه بها قيم الدين الأصيل، وقد كنت تقول هلم في ذلك ناصحا: (إني لأكره أن أرى الرجل

---

1 () رواه البخاري (4049)، ومسلم (800)

2 () حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (1/ 130)

3 () حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (1/ 131)

4 () حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (1/ 131)

فارغا، لا في عمل الـدنيا، ولا في عمـل الآخـرة)، وتقـول: (إني لأمقت الرجل أن أراه، فارغا، ليس في شيء من عمـل الـدنيا، ولا عمل الآخرة)، وتقول: (لا ألفين أحـدكم جيفـة ليـل، قطـرب نهار) [1]

وكنت تـدعو إلى التفاعـل مـع قيم الـدين، وعـدم الاكتفـاء بإعطاء الظواهر دون البواطن، وقـد كنت تقـول: (مـا دمت في صلاة فأنت تقرع باب الملك، ومن يقرع باب الملك يفتح له) [2]

وتقول: (إن استطعت أن تكون أنت المحدث، وإذا سمعت الله يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [البقرة: 104] فأرعها سمعك، فإنه خير يؤمر به، أو شر ينهى عنه) [3]

وكنت تحذر من تحويل الدين إلى مجموعة معارف وعلـوم لا علاقة لها بالحياة، وتقـول: (ليس العلم بكـثرة الروايـة، ولكن العلم الخشـية)، وتقـول: (تعلمـوا العلم، فـإذا علمتم فـاعملوا)، وتقول: (ويل لمن لا يعلم، ولو شاء الله لعلمه، وويـل لمن يعلم ثم لا يعمل) سبع مرات[4].

وكنت كأصحابك المنتجبين تدعو إلى عدم قصر الدين على الظواهر مع إهمال القلب والباطن، وقد روي أنه جـاء نـاس من الـدهاقين فتعجب النـاس من غلـظ رقـابهم وصـحتهم، فقلت: (إنكم تـرون الكـافر من أصـح النـاس جسـما، وأمرضـهم قلبـا، وتلقون المؤمن من أصح النـاس قلبـا، وأمرضـهم جسـما، وايم الله، لو مرضـت قلـوبكم وصـحت أجسـامكم لكنتم أهـون على الله من الجعلان) [5]

وكنت تقـول: (من اسـتطاع منكم أن يجعـل كـنزه حيث لا يأكله السوس، ولا تناله السراق فليفعل، فـإن قلب الرجـل مـع كنزه)

وعنــدما ســمعت بعضــهم يقــول: (هلــك من لم يــأمر بـالمعروف ولم ينـه عن المنكـر)، قلت لـه: (بـل هلـك من لم يعرف قلبه المعروف وينكر قلبه المنكر)

---

1 () حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (1/ 130)

2 () حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (1/ 130)

3 () حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (1/ 130)

4 () حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (1/ 131)

5 () حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (1/ 135)

وكنت تقول: (إذا أصبح أحدكم صائما فليترجل، وإذا تصدق بصدقة بيمينه فليخفها عن شماله، وإذا صلى صلاة أو صلى تطوعا فليصلها في داخله) [1]

وكانت لك المواعظ الكثيرة التي تدعو إلى عدم الاستغراق في الدنيا وشهواتها، والاهتمام بالتحضير للموت وما بعده، ومنها قولك: (ذهب صفو الدنيا وبقي كدرها، فالموت اليوم تحفة لكل مسلم)، وقولك: (إنما الدنيا كالثغب، ذهب صفوه وبقي كدره)، وقولك: (ألا حبذا المكروهان: الموت والفقر، وأيم الله، إن هو إلا الغنى أو الفقر، وما أبالي بأيهما ابتليت، إن كان الغنى إن فيه للعطف، وإن كان الفقر إن فيه للصبر)، وقولك: (والله الذي لا إله غيره، ما يضر عبدا يصبح على الإسلام ويمسي عليه ما أصابه في الدنيا)[2]

وكانت مواعظك ـ سيدي ـ مملوءة بالحكم، وكيف لا تكون كذلك وهي مشتقة من المعاني القرآنية والتربية النبوية، ومنها قولك: (إنكم في ممر الليل والنهار، في آجال منقوصة، وأعمال محفوظة، الموت يأتي بغتة، فمن يزرع خيرا يوشك أن يحصد بغتة، ومن يزرع شرا يوشك أن يحصد ندامة، ولكل زارع مثل ما زرع، لا يسبق بطئ بحظه، ولا يدرك حريص ما لم يقدر له، فمن أعطي خيرا فالله تعالى أعطاه، ومن وقي شرا فالله تعالى وقاه) [3]

ومنها قولك: (إن أصدق الحديث كتاب الله عز وجل، وأوثق العرى كلمة التقوى، وخير الملل ملة إبراهيم، وأحسن السنن سنة محمد ﷺ، وخير الهدى هدى الأنبياء، وأشرف الحديث ذكر الله، وخير القصص القرآن، وخير الأمور عواقبها، وشر الأمور محدثاتها، وما قل وكفى خير مما كثر وألهى، ونفس تنجيها خير من أمارة لا تحصيها، وشر العذيلة حين يحضر الموت، وشر الندامة ندامة القيامة، وشر الضلالة الضلالة بعد الهدى، وخير الغنى غنى النفس، وخير الزاد التقوى، وخير ما ألقي في القلب اليقين، والريب من الكفر، وشر العمى عمى القلب، والخمر جماع كل إثم، والنساء حبالة الشيطان،

---

1 () حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (1/ 136)

2 () حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (1/ 132)

3 () حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (1/ 133)

والشباب شعبة من الجنون، والنوح من عمل الجاهلية، ومن الناس من لا يأتي الجمعة إلا دبرا، ولا يذكر الله إلا هجرا، وأعظم الخطايا الكذب، وسباب المؤمن فسوق، وقتاله كفر، وحرمة ماله كحرمة دمه، ومن يعف يعف الله عنه، ومن يكظم الغيظ يأجره الله، ومن يغفر يغفر الله له، ومن يصبر على الرزية يعقبه الله، وشر المكاسب كسب الربا، وشر المأكل مال اليتيم، والسعيد من وعظ بغيره، والشقي من شقي في بطن أمه، وإنما يكفي أحدكم ما قنعت به نفسه، وإنما يصير إلى أربعة أذرع، والأمر إلى آخرة، وملاك العمل خواتمه، وشر الروايا روايا الكذب، وأشرف الموت قتل الشهداء، ومن يعرف البلاء يصبر عليه، ومن لا يعرف ينكر، ومن يستكبر يضعه، ومن يتولى الدنيا تعجز عنه، ومن يطع الشيطان يعص الله، ومن يعص الله يعذبه) [1]

ومنها قولك:(ما منكم إلا ضيف وماله عارية، والضيف مرتحل، والعارية مؤداة إلى أهلها) [2]

ومنها قولك لمن سألك أن تعلمه كلمات جوامع نوافع: (اعبد الله ولا تشرك به شيئا، وزل مع القرآن حيث زال، ومن جاءك بالحق فاقبل منه، وإن كان بعيدا بغيضا، ومن جاءك بالباطل فاردد عليه وإن كان حبيبا قريبا) [3]

ومنها قولك: (الحق ثقيل مري، والباطل خفيف وبي، ورب شهوة تورث حزنا طويلا)

ومنها قولك: (والله الذي لا إله إلا هو، ما على ظهر الأرض شيء أحوج إلى طول سجن من لسان)

ومنها قولك: (إن للقلوب شهوة وإقبالا، وإن للقلوب فترة وإدبارا، فاغتنموها عند شهوتها وإقبالها، ودعوها عند فترتها وإدبارها)

ومنها قولك: (إياكم وحزائز القلوب، وما حز في قلبك من شيء فدعه)

ومنها قولك: (يذهب الصالحون أسلافا، ويبقى أهل الريب من لا يعرفه معروفا ولا ينكر منكرا)

---

1 () حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (1/ 139)

2 () حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (1/ 133)

3 () حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (1/ 134)

ومنهـا قولـك لمن طلب وصـيتك: (ليسـعك بيتـك، واكفـف لسانك، وابك على ذكر خطيئتك)

ومنها قولك: (لا يقلـدن أحـدكم دينـه رجلا، فـإن آمن آمن، وإن كفر كفـر، فـإن كنتم لا بـد مقتـدين فاقتـدوا بـالميت؛ فـإن الحي لا يؤمن عليه الفتنة) [1]

ومنها قولك: (لا يكونن أحدكم إمعة)، قالوا: ومـا الإمعـة يـا أبا عبد الرحمن؟ قلت: (يقول: أنا مع الناس، إن اهتدوا اهتديت، وإن ضلوا ضللت، ألا ليوطنن أحدكم نفسه على إن كفر النـاس أن لا يكفر) [2]

ومنها قولك: (ثلاث أحلف عليهن، والرابعة لو حلفت عليهـا لبررت: (لا يجعل الله عز وجل من له سهم في الإسـلام كمن لا سهم له، ولا يتولى الله عبد في الدنيا فولاه غيره يـوم القيامـة، ولا يحب رجل قوما إلا جاء معهم، والرابعة التي لو حلفت عليهـا لـبررت، لا يسـتر اللـه على عبـد في الـدنيا إلا سـتر عليـه في الآخرة) [3]

ومنها قولك: (ما أحد من الناس يوم القيامة إلا يتمـنى أنـه كـان يأكـل في الـدنيا قوتـا، ومـا يضـر أحـدكم على مـا أصـبح وأمسـى من الـدنيا إلا أن تكـون في النفس حـزازة، ولأن يعض أحدكم على جمرة حتى تطفأ خير من أن يقول لأمر قضاه اللـه ليت هذا لم يكن) [4]

ومنها قولك: (من أراد الدنيا أضر بالآخرة، ومن أراد الآخرة أضر بالدنيا، يا قوم فأضروا بالفاني للباقي) [5]

ومنها قولك: (من راءى في الدنيا راء الله به يوم القيامـة، ومن يسمع في الدنيا يسمع الله به يـوم القيامـة، ومن يتطـاول تعظما يضعه الله، ومن يتواضع تخشعا يرفعه الله) [6]

وكنت تنتقـد ذلـك الواقـع الشـديد الـذي آل إليـه حـال المسـلمين بسـبب مظـاهر الـثراء الـتي دخلت عليهم، والـتي

---

1 () حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (1/ 138)

2 () حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (1/ 138)

3 () حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (1/ 138)

4 () حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (1/ 138)

5 () حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (1/ 138)

6 () حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (1/ 138)

جعلتهم ينسون تلك القيم التي دعاهم إليها دينهم، وكنت تقول في ذلك: (لا يبلغ عبد حقيقة الإيمان حتى يحل بذروته، ولا يحل بذروته حتى يكون الفقر أحب إليه من الغنى، والتواضع أحب إليه من الشرف، وحتى يكون حامده وذامه عنده سواء) [1]

ومنها قولك لمن قال: (أين الزاهدون في الدنيا، الراغبون في الآخرة؟): (أولئك أصحاب الجابية، اشترط خمسمائة من المسلمين أن لا يرجعوا حتى يقتلوا، فحلقوا رءوسهم ولقوا العدو فقتلوا إلا مخبر عنهم)، ثم قلت: أنتم أكثر صياما، وأكثر صلاة، وأكثر اجتهادا من أصحاب رسول الله ﷺ، وهم كانوا خيرا منكم، قالوا: لم يا أبا عبد الرحمن؟ قال: (هم كانوا أزهد في الدنيا، وأرغب في الآخرة)

وكنت تحدثهم عن قول رسول الله ﷺ: (كيف أنتم إذا التبستكم فتنة، فتتخذ سنة، يربو منها الصغير ويهرم فيها الكبير، وإذا ترك منها شيء قيل: تركت سنة؟(، قالوا: متى ذلك يا رسول الله؟ قال: (إذا كثر قراؤكم، وقلت علماؤكم، وكثرت أمراؤكم، وقلت أمناؤكم، والتمست الدنيا بعمل الآخرة، وتفقه لغير الله)

وكنت تحدث عن نفسك، وحفاظك على قيم الدين في هذه الجوانب، وتقول: (والذي لا إله غيره ما أصبح عند آل عبد الله ما يرجون أن يعطيهم الله به خيرا، أو يدفع عنهم به سوءا، إلا أن الله قد علم أن عبد الله لا يشرك به شيئا) [2]

وكنت مع ذلك كله ممتلئا بالعبودية والتواضع لله، ولذلك كنت تقول: (لو وقفت بين الجنة والنار، فقيل لي: اختر نخيرك من أيهما تكون أحب إليك، أو تكون رمادا؟ لأحببت أن أكون رمادا)،وعندما قال بعضهم أمامك: ما أحب أن أكون من أصحاب اليمين، أكون من المقربين أحب إلي، قلت له: (لكن هناك رجل ود لو أنه إذا مات لم يبعث)، ثم بينت سر ذلك، فقلت: (لو تعلمون علمي لحثوتم التراب على رأسي)[3]

وقد ظللت على هذا المنهاج تؤدي دورك في نصح المسلمين، ونشر قيم النبوة بينهم إلى أن توفاك الله على

---

1 () حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (1/ 132)

2 () حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (1/ 132)

3 () حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (1/ 132)

صدقك وإخلاصك، وقد قلت للخليفة الذي جاء يعودك، حين سألك: ما تشتكي؟ قلت: ذنوبي، قال: فما تشتهي؟ قلت: رحمة ربي، قال: ألا آمر لك بطبيب؟ قلت: الطبيب أمرضني، قال: ألا آمر لك بعطائك؟ وكنت قد تركه سنتين: لا حاجة لي فيه، قال: يكون لبناتك من بعدك، قلت: أتخشى على بناتي الفقر؟ إني أمرت بناتي أن يقرأن كل ليلة سورة الواقعة، وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: (من قرأ الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة أبدا) (1)

وقد شرفك الله قبل وفاتك بزيارة أخيك أبي ذر الغفاري في الربذة، وصلاتك عليه، وتأثرك لحاله، واقتدائك به فيه، ولم تلبث بعده إلا قليلا، ثم التحقت به.

وقد شاء الله أن يختم لك بقريب مما ختم له، فقد روى البلاذري عن أبي مخنف في إسناده قال: (لما قدم الوليد الكوفة ألفى ابن مسعود على بيت المال فاستقرضه مالا وقد كانت الولاة تفعل ذلك ثم ترد ما تأخذ، فأقرضه عبد الله ما سأله، ثم إنه اقتضاه إياه، فكتب الوليد في ذلك إلى عثمان فكتب عثمان إلى عبد الله بن مسعود: إنما أنت خازن لنا فلا تعرض للوليد فيما أخذ من المال، فطرح ابن مسعود المفاتيح وقال: كنت أظن أني خازن للمسلمين فأما إذ كنت خازنا لكم فلا حاجة لي في ذلك، وأقام بالكوفة بعد إلقائه مفاتيح بيت المال)(2)

وروى عن أبي مخنف وعوانة أن (عبد الله بن مسعود حين ألقى مفاتيح بيت المال إلى الوليد بن عقبة قال: من غير غير الله ما به ومن بدل أسخط الله عليه، وما أرى صاحبكم إلا وقد غير وبدل، أيعزل مثل سعد ابن أبي وقاص ويولى الوليد؟)، وكان يتكلم بكلام لا يدعه وهو: (إن أصدق القول كتاب الله وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها وكل محدث بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار)، فكتب الوليد إلى عثمان بذلك وقال: (إنه يعيبك ويطعن عليك)، فكتب إليه عثمان يأمره بإشخاصه، وشيعه أهل الكوفة، فأوصاهم بتقوى الله ولزوم القرآن، فقالوا له: (جزيت خيرا، فلقد علمت جاهلنا

1() البداية والنهاية (7/ 183)

2() أنساب الأشراف للبلاذري (5/ 518)

وثبت عالمنا وأقرأتنا القرآن وفقهتنا في الدين، فنعم أخو الإسلام أنت ونعم الخليل)، ثم ودعوه وانصرفوا وقدم ابن مسعود المدينة وعثمان يخطب على منبر رسول الله ﷺ فلما رآه قال: (ألا أنه قدمت عليكم دويبة سوء من تمش على طعامه يقيء ويسلح)، فقال ابن مسعود: (لست كذلك، ولكني صاحب رسول الله ﷺ يوم بدر ويوم بيعة الرضوان)، ونادت عائشة: (أي عثمان، أتقول هذا لصاحب رسول الله ﷺ، ثم أمر عثمان به فأخرج من المسجد إخراجا عنيفا، وضرب به عبد الله بن زمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى بن قصي الأرض، ويقال بل احتمله يحموم غلام عثمان ورجلاه تختلفان على عنقه حتى ضرب به الأرض فدق ضلعه، فقال علي: (يا عثمان أتفعل هذا بصاحب رسول الله ﷺ بقول الوليد بن عقبة؟)، فقال: (ما بقول الوليد فعلت هذا، ولكن وجهت زبيد بن الصلت الكندي إلى الكوفة فقال له ابن مسعود: إن دم عثمان حلال)، فقال علي: (أحلت من زبيد على غير ثقة).. وقام علي بأمر ابن مسعود حتى أتى به منزله، فأقام ابن مسعود بالمدينة لا يأذن له عثمان في الخروج منها إلى ناحية من النواحي، وأراد حين برئ الغزو فمنعه من ذلك، وقال له مروان: (إن ابن مسعود أفسد عليك العراق أفتريد أن يفسد عليك الشام؟)، فلم يبرح المدينة حتى توفي قبل مقتل عثمان بسنتين، وكان مقيما بالمدينة ثلاث سنين)[1]

وروى أنه (لما مرض ابن مسعود مرضه الذي مات فيه أتاه عثمان عائدا فقال: ما تشتكي؟ قال: ذنوبي قال: فما تشتهي؟ قال: رحمة ربي، قال: ألا أدعو لك طبيبا؟ قال: الطبيب أمرضني، قال: أفلا آمر لك بعطائك؟ قال: منعتنيه وأنا محتاج إليه وتعطينيه وأنا مستغن عنه؟ قال: يكون لولدك، قال: رزقهم على الله قال: استغفر لي يا أبا عبد الرحمن، قال: أسأل الله أن يأخذ لي منك بحقي. وأوصى أن لا يصلي عليه عثمان، فدفن بالبقيع وعثمان لا يعلم، فلما علم غضب وقال: سبقتموني به، فقال له عمار بن ياسر: (إنه أوصى أن لا تصلي عليه)[2]

---

1 () أنساب الأشراف للبلاذري (5/ 524)

2 () أنساب الأشراف للبلاذري (5/ 524)

3. عبد الله بن عباس:

وهكذا أنت يا سيدي.. يا عبد الله بن عباس[1].. يا من شرفت بتلك التربية الخاصة لرسول الله ﷺ لك، بسبب قربك النسبي منه، فنلت من العلوم والحكمة ما لم يظفر به الكثير.

وكيف لا تنال ذلك، وقد دعا لك رسول الله ﷺ لما رآه من حسن خلقك، واتقاد ذهنك على الرغم من صغر سنك، وقد ذكرت سر ذلك الدعاء الشريف، فقلت: (صليت خلف رسول اللّه ﷺ، فأخذ بيدي فجرّني حتى جعلني حذاءه، فلما أقبل على صلاته خنست، فلما انصرف قال لي: (ما شأنك؟) فقلت: يا رسول اللّه، أو ينبغي لأحد أن يصلّي حذاءك، وأنت رسول اللّه! فدعا لي أن يزيدني اللّه علما وفهما) [2]

وفي حديث آخر قلت: (دعاني رسول اللّه ﷺ فمسح على ناصيتي وقال: (اللّهمّ علّمه الحكمة، وتأويل الكتاب) [3]

ولم يكن رسول الله ﷺ يكتفي بالدعاء لك، وإنما كان يوجهك ويعلمك ويعظك، حتى مع صغر سنك، ومن تلك الوصايا التي أوصاك بها رسول الله ﷺ، والتي حفظتها مع صغرك الباكر، قولك: كنت رديف رسول الله ﷺ، فقال لي: (يا غلام، احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، فإن العباد لو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء لم يكتبه الله لك، لم يقدروا على ذلك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يكتبه الله عليك، لم يقدروا على ذلك، جفت الأقلام، وطويت الصحف، فإن استطعت أن تعمل لله بالرضى في اليقين فافعل، وإن لم تستطع فإن في الصبر على ما تكره خيرا كثيرا، واعلم أن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسرا، ولن يغلب عسر يسرين) [4]

وهكذا كان لك بحكم قرابتك من رسول الله ﷺ تواصل خاص به، جعلك تظفر بتربية خاصة، ومما رويته في ذلك قولك: (أمرني العباس قال: بت بآل رسول الله ﷺ ليلة، فانطلقت إلى

1() انظر ترجمته في: حلية الأولياء 1/ 314، 329، الرياض المستطابة 198، البداية والنهاية 8/ 295، معجم الثقات 299، التاريخ لابن معين 3/ 315، نكت الهميان 180، الصمت وآداب اللسان (فهرس) 66، تجريد أسماء الصحابة 1/ 320، تهذيب التهذيب 5/ 276.

2() رواه أحمد 1/ 266، 314. والطبراني في الكبير 10 10/ 320، والطبراني في الصغير 1/ 197. والبيهقي في دلائل النبوة 6/ 192، 193.

3() ابن ماجة في السنن 1/ 58 ، والطبراني في الكبير 10/ 293، 11/ 345- حلية الأولياء 1/ 315.

4() رواه أحمد (1/293) (2669) وفي (1/303) (2763) والترمذي (2516)

المسجد، فصلى رسول الله ﷺ العشاء الآخرة حتى لم يبق في المسجد أحد غيره، قال: ثم مر بي، فقال: «من هذا؟» فقلت: عبد الله، قال: «فمه» قلت: أمرني أبي أن أبيت بكم الليلة، قال: «فالحق» فلما دخل، قال: «افرشوا لعبد الله» قال: فأتيت بوسادة من مسوح، قال: وتقدم إلي العباس أن لا تنامن حتى تحفظ صلاته، قال: فقدم رسول الله ﷺ فنام حتى سمعت غطيطه، قال: ثم استوى على فراشه فرفع رأسه إلى السماء فقال: «سبحان الملك القدوس» ثلاث مرات، ثم تلا هذه الآية من آخر سورة آل عمران حتى ختمها ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [آل عمران: 190]، ثم استن بسواكه، ثم توضأ ثم دخل مصلاه فصلى ركعتين ليستا بقصيرتين ولا طويلتين، فصلى ثم أوتر فلما قضى صلاته سمعته يقول: «اللهم اجعل في بصري نورا، واجعل في سمعي نورا، واجعل في لساني نورا، واجعل في قلبي نورا، واجعل عن يميني نورا، واجعل عن شمالي نورا، واجعل أمامي نورا، واجعل من خلفي نورا، واجعل من فوقي نورا، واجعل من أسفل مني نورا، واجعل لي يوم لقائك نورا، وأعظم لي نورا) (1)

ومما رويته من كرامات قربك من رسول الله ﷺ ذلك الدعاء الطويل الجميل الذي حفظته رغم صغر سنك، وهو ما يدل على اهتمامك البالغ بكل ما يفعله رسول الله ﷺ، وهو أعظم دلائل الصدق والإخلاص.

فقد حدثت عن نفسك، تحكي بكل دقة تفاصيل ما حصل: (بعثني العباس إلى رسول الله ﷺ فأتيته ممسيا وهو في بيت خالتي ميمونة، فقام رسول الله ﷺ يصلي من الليل، فلما صلى الركعتين قبل الفجر قال: «اللهم إني أسألك رحمة من عندك تهدي بها قلبي، وتجمع بها شملي، وتلم بها شعثي، وترد بها ألفتي، وتصلح بها ديني، وتحفظ بها غائبي، وترفع بها شاهدي، وتزكي بها عملي، وتبيض بها وجهي، وتلهمني بها رشدي، وتعصمني بها من كل سوء، اللهم أعطني إيمانا صادقا ويقينا ليس بعده كفر، ورحمة أنال بها شرف كرامتك في الدنيا والآخرة، اللهم إني أسألك الفوز عند اللقاء، ونزل الشهداء

1 () المستدرك على الصحيحين للحاكم (3/ 617)، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه.

وعيش السعداء، ومرافقة الأنبيـاء، والنصـر على الأعـداء، اللهم أنزل بك حاجتي، وإن قصر رأيي، وضعف عملي، وافتقـرت إلى رحمتك فأسألك يا قاضي الأمور، ويا شافي الصـدور، كمـا تجـير بين البحور أن تجـيرني من عـذاب السـعير، ومن دعـوة الثبـور، ومن فتنة القبور، اللهم ما قصر عنـه رأيي وضـعف عنـه عملي، ولم تبلغه نيتي، أو أمنيـتي من خـير وعدتـه أحـدا من عبـادك أو خير أنت معطيه أحدا من خلقك، فإني أرغب إليك فيه، وأسألك يا رب العـالمين، اللهم اجعلنـا هـادين مهـديين، غـير ضـالين ولا مضـلين، حربـا لأعـدائك، وسـلما لأوليائـك، نحب بحبـك النـاس، ونعادي بعداوتك من خالفك من خلقك، اللهم هذا الدعاء وعليـك الاستجابة، اللهم وهذا الجهد وعليك التكلان، ولا حول ولا قوة إلا بالله، اللهم ذا الحبل الشديد، والأمـر الرشـيد أسـألك الأمن في يوم الوعيد، والجنة يوم الخلـود مـع المقـربين الشـهود، والركـع السجود والموفين بالعهود، إنك رحيم ودود، وأنت تفعل ما تريـد سـبحان الـذي تعطـف العـز، وقـال بـه وسـبحان الـذي لا ينبغي التسبيح إلا لـه سـبحان ذي العـزة والبهـاء، سـبحان ذي القـدرة والكرم، سبحان الذي أحصى كل شـيء بعلمـه اللهم اجعـل لي نورا في قلـبي، ونـورا في قـبري، ونـورا في سـمعي ونـورا في بصري، ونورا في شعري، ونـورا في بشـري، ونـورا في لحمي، ونورا في دمي، ونورا في عظـامي، ونـورا بين يـدي، ونـورا من خلفي، ونورا عن يميني، ونـورا عن شـمالي، ونـورا من فـوقي، ونـورا من تحـتي، اللهم زدني نـورا، وأعطـني نـورا، واجعـل لي نورا)[1]

وقد كانت لك بسبب هذا الفضل الإلهي أدوار علمية كبـيرة في الأمـة، فقـد كـانوا يرجعـون إليـك في الفتـوى والتفسـير والشورى في القضايا المختلفة.

ولو أن البغاة أساءوا إليك كثيرا بتلفيق الكثير من الأحاديث المكذوبة لك، مع أنك كنت من الذين لم يبدلوا ولم يغـيروا، ولم يهرعـوا إلى اليهـود ولا إلى غـيرهم ينهلـون منهم العلم، وكيـف تفعل ذلك، وأنت الذي كنت تقول مخاطبا المغيرين والمبـدلين: (أيتها الأمّة المتحيّرة في دينهـا، أمـا واللـه لـو قـدّمتم من قـدّم الله، وأخرّتم من آخر الله وجعلتم الوراثـة والولايـة حيث جعلهـا

1() سنن الترمذي (5/ 357)، والمعجم الأوسط (4/ 95)

اللـه، مـا عـال سـهم من فـرائض اللـه، ولا عـال وليّ اللـه، ولا اختلف اثنان في حكم الله، فـذوقوا وبـال مـا فـرّطتم فيـه، بمـا قدّمت أيديكم، وسيعلم الذين ظلموا أيّ منقلبٍ ينقلبون)[1]

وكنت تشـتد على الـذين يسـتبدلون سـنة رسـول اللـه ﷺ بسنة أبي بكر وعمر، ويجادلونك بأفعالهما، فقـد روي أن عـروة بن الزبـير أتـاك، فقـال: يـا ابن عبـاس، طالمـا أضـللت النـاس، فقلت: ومـا ذاك يـا عريـة؟ قـال: الرجـل يخـرج محرمـا بحج أو عمرة، فإذا طاف، زعمت أنه قد حل، فقد كان أبـو بكـر وعمـر ينهيان عن ذلـك؟، فقلت: (أهمـا، ويحـك، آثـر عنـدك أم مـا في كتاب الله، وما سن رسول الله ﷺ في أصحابه وفي أمتـه؟)[2]، ثم قلت له: (بهذا ضللتم؟ أحدثكم عن رسول الله ﷺ وتحدثوني عن أبي بكر وعمر؟)

بـل إنـك اعتـبرت ذلـك أعظم خطـر على الـدين، فقلت: (والله ما أراكم منتهين حتى يعذبكم الله، نحدثكم عن النـبيّ ﷺ وتحدثونا عن أبي بكر؟!)

وقد أقر ابن تيمية نفسه ـ مع مبالغاته الشديدة في حقهما ـ هذا الواقع الجديد الذي أسـس لـه البغـاة، فقـال: (كـان بعض الناس يناظر ابن عباس في المتعة فقال له: قال أبو بكر وعمر فقال ابن عباس: (يوشك أن تـنزل عليكم حجـارة من السـماء! أقول قال رسول الله ﷺ وتقولون قال أبو بكر وعمر؟)[3]

بل إنك كنت تنكر بأسف شديد عدم تطبيق وصـايا رسـول الله ﷺ، أو عدم ترك الفرصة له ليكتب وصيته، ومما يـروى في ذلك ما رواه سعيد بن جبير عنك، قال: قال لي ابن عباس: يوم الخميس، وما يوم الخميس؟ ثم بكى حتى خضب دمعه الحصـا، فقلت: يا أبا عباس وما يوم الخميس؟ قال: يوم اشـتد برسـول الله ﷺ وجعه قال: «ائتوني أكتب لكم كتابا لا تضلوا بعده أبـدا» قال: فتنازعوا، ولا ينبغي عند نبي تنازع فقالوا: ما شـأنه أهجـر؟ استفهموه، فقال: «دعوني، فالـذي أنـا فيـه خـير ممـا تـدعوني إليه» قال: وأوصى عند موته بثلاث، فقال: «أخرجوا المشركين من جزيرة العرب، وأجيزوا الوفد بنحو مـا كنت أجـيزهم» قـال:

---

1 () أمالي الشيخ المفيد / 27 و 152 ، بشارة المصطفى للطبري / 132

2 () رواه أحمد (3121)، ورواه الطبراني في الأوسط (21)

3 () مجموع الفتاوى، (20/ 215)

فإما أن يكون سعيد سكت عن الثالثة عمدا، وإما أن يكون قالها فنسيتها[1].

وقال متحدثا عنك: (عن ابن عباس، قال: يوم الخميس، وما يوم الخميس ثم نظرت إلى دموعه على خديه تحدر كأنها نظام اللؤلؤ، قال: قال رسول الله ﷺ: (ائتوني باللوح، والدواة - أو الكتف - أكتب لكم كتابا لا تضلوا بعده أبدا) فقالوا: رسول الله ﷺ يهجر!)[2]

وهكذا تنكر تلك التغييرات التي بدأت تطرأ على الدين مبتعدة عن الهدي القرآني الممتلئ بالعدالة، ومن الأمثلة على ذلك وقوفك بشدة ضد العول في الميراث، لمخالفته القرآن الكريم، وقد فعلت ذلك على الرغم من مخالفة ذلك لفتوى عمر

وقد حدث عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود قال: دخلت أنا وزفر بن أوس بن الحدثان على ابن عباس بعدما ذهب بصره، فتذاكرنا فرائض الميراث، فقال: (ترون الذي أحصى رمل عالج عددا، لم يحص في مال نصفا ونصفا وثلثا، إذا ذهب نصف ونصف، فأين موضع الثلث؟)، فقال له زفر: يا أبا عباس، من أول من أعال الفرائض؟ قال: (عمر بن الخطاب)، قال: ولم؟ قال: (لما تدافعت عليه، وركب بعضها بعضا، قال: والله ما أدري كيف أصنع بكم، والله ما أدري أيكم قدم الله، ولا أيكم أخر، قال: وما أجد في هذا المال شيئا أحسن من أن أقسمه عليكم بالحصص، ثم قال ابن عباس: (وايم الله، لو قدم من قدم الله، وأخر من أخر الله، ما عالت فريضة)، فقال له زفر: وأيهم قدم وأيهم أخر؟ فقال: (كل فريضة لا تزول إلا إلى فريضة فتلك التي قدم الله، وتلك فريضة: الزوج له النصف، فإن زال فإلى الربع لا ينقص منه، والمرأة لها الربع، فإن زالت عنه صارت إلى الثمن، لا تنقص منه، والأخوات لهن الثلثان، والواحدة لها النصف، فإن دخل عليهن البنات كان لهن ما بقي، فهؤلاء الذين أخر الله، فلو أعطى من قدم الله فريضة كاملة ثم قسم ما يبقى بين من أخر الله بالحصص ما عالت فريضة)، فقال له زفر: فما منعك أن تشير بهذا الرأي على عمر؟ فقال:

1() رواه عبد الرزاق (9992) ، والحميدي (526) ، وابن سعد 2/242، والبخاري (3053) و (3168) و (4431) ، ومسلم (1637)، (20) ، وأبو داود (3029) ، والنسائي في "الكبرى" (5854) ، وأبو يعلى (2409) ، والبيهقي في "السنن" 9/207، وفي "الدلائل" 7/181، والبغوي (2755)

2() رواه مسلم (1637) (21)

(هبته والله)، قال ابن إسحاق: فقال لي الزهري: وأيم الله، لولا أنه تقدمه إمام هدى كان أمره على الورع ما اختلف على ابن عباس اثنان من أهل العلم) [1]

وهكذا كنت تصرح برأيك في كل الأحوال على الرغم من المعارضة الشديدة التي كنت تلقاها من أولئك الذين عزلوا الكتاب والسنة إلى آراء الرجال.

وقد كانت مواقفك أكثر شدة مع أولئك الذين راحوا يسألون اليهود عن دينهم، وعن تفسير القرآن الكريم، وقد حدث بعضهم عن بعض مواقفك في ذلك، فقال: (بينما كان ابن عباس جالسا ذات يوم من الأيام إذ أتاه رجل فقال: يا بن عباس إنّي سمعت العجب من كعب الأحبار يذكر في الشمس والقمر ـ وكان متكئاً فاحتفز ــ ثمّ قال: قال كعب الأحبار إنّه يجاء بالشمس والقمر يوم القيامة كأنهما ثوران عقيران فيقذفان في النار.. فطارت من ابن عباس شظية ووقعت أخرى غضباً، ثمّ قال: كذب كعب الأحبار، كذب كعب، كذب كعب ـ قالها ثلاثاً ـ بل هذه يهودية يريد إدخالها في الإسلام، والله أكرم وأجلّ من أن يعذّب أهل طاعته، ألم تر إلى قوله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ [إبراهيم: 33]، يعني دؤوبهما في طاعته، فكيف يعذّب أهل طاعته، فكيف يعذّب عبدين أثنى عليهما أنّهما دائبان في طاعته، قاتل الله هذا الحبر وقبّح حديثه ما أجرأه على الله وأعظم فريته على هذين العبدين المطيعين لله تعالى.. ثمّ استرجع مراراً، ثمّ أخذ عوداً من الأرض فجعل ينكت به في الأرض، وظل كذلك ما شاء الله) [2]

وكنت تقول لهم: (يا معشر المسلمين كيف تسألون أهل الكتاب، وكتابكم الذي أنزل على نبيّه ﷺ أحدث الأخبار بالله تقرؤونه لم يشب، وقد حدّثكم الله أنّ أهل الكتاب بدّلوا ما كتب الله وغيّروا بأيديهم الكتاب، فقالوا: هو من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً، أفلا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن

---

1 () السنن الكبرى للبيهقي (6/ 414)

2 () العظمة لأبي الشيخ الأصبهاني (4/ 1163)

مساءلتهم، ولا والله ما رأينا منهم رجلاً قط يسألكم عن الذي أنزل عليكم) [1]

وهكذا كنت ترد على كل التحريفات التي حاول البغاة أو غيرهم إلصاقها بالدين، ولذلك انتدبك الإمام علي لمحاورة الخوارج، وقد حدثت عن ذلك، فقلت: لما اعتزلت الخوارج وأجمعوا أن يخرجوا على علي بن أبي طالب أتيته يوما قبل الظهر، فقلت له: يا أمير المؤمنين، أبرد بالصلاة لعلي أدخل على هؤلاء القوم فأكلمهم، فقال: إني أخاف عليك، فقلت: كلا، وكنت حسن الخلق، لا أوذي أحدا، فأذن لي، فدخلت عليهم، فلم أر قوما أشد منهم اجتهادا جباههم قرحة من السجود، وأيديهم كأنها نقر الإبل، وعليهم قمص مرحضة مشمرين، مشهمة وجوههم من السهر، فسلمت عليهم، فقالوا: مرحبا بابن عباس، ما جاء بك؟ فقال: أتيتكم من عند المهاجرين والأنصار، ومن عند صهر رسول الله ﷺ، وعليهم نزل القرآن وهم أعلم بتأويله منكم، فقالت طائفة منهم: لا تخاصموا قريشا، فإن الله تعالى يقول: ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ [الزخرف: 58]، فقال اثنان أو ثلاثة: لنكلمنه) [2]

وهنا رحت تدعوهم إلى ذلك ما نقموه على الإمام علي قائلا: (هاتوا ما نقمتم على صهر رسول الله ﷺ)، فقالوا: ثلاثا، أما إحداهن: فإنه حكم الرجال في أمر الله، وقد قال الله تعالى: ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ [الأنعام: 57]، فما شأن الرجال والحكم؟ فقلت: هذه واحدة، قالوا: وإنه قاتل ولم يسب ولم يغنم، فلئن كانوا مؤمنين ما حل لنا قتالهم وسبيهم، قالوا: ومحي نفسه من أمير المؤمنين، فإذا لم يكن أمير المؤمنين فإنه أمير الكافرين)

وبعد أن استمعت إليهم بكل هدوء، رحت ترد عليهم بكل حكمة، وقد بدأت بما بدأوا به، فرددت على شبهتهم الأولى بقولك: (أما قولكم: حكم الرجال في أمر الله، أنا أقرأ عليكم في كتاب الله ما ينقض قولكم، إن الله صير من حكمه إلى الرجال في ربع درهم ثمن أرنب، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ

---

1 () صحيح البخاري 3 / 181.

2 () المنتظم في تاريخ الملوك والأمم (5/ 124)

مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ [المائدة: 95]، وفي المرأة وزوجها، قال تعالى: ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا [النساء: 35]، فنشدتكم الله، هل تعلمون حكم الرجال في إصلاح ذات بينهم، وحقن دمائهم أفضل من حكمهم في أرنب وامرأة، فأيهما ترون أفضل؟) قالوا: بل هذه، قلت: خرجت من هذه؟ قالوا: نعم.

ثم رحت لشبهتهم الثانية تفندها قائلا: (وأما قولكم: قاتل ولم يسب ولم يغنم، فتسبون أمكم عائشة، فو الله إن قلتم ليست بأمنا لقد خرجتم من الإسلام، وإن قلتم لنسبينها ونستحل منها ما نستحل من غيرها خرجتم من الإسلام، أخرجت من هذه؟ قالوا: نعم.

ثم رحت لشبهتهم الثالثة تفندها قائلا: (وأما قولكم: محى نفسه من أمير المؤمنين، فإن النبي ﷺ يوم الحديبية كاتب أبا سفيان بن حرب وسهيل بن عمرو، فقال: يا علي اكتب: هذا ما صالح عليه محمد رسول الله، فقالوا: ما نعلم أنك رسول الله، ولو نعلم ما قاتلناك، فقال: امح يا علي واكتب: هذا ما كاتب عليه محمد بن عبد الله، فو الله لرسول الله ﷺ خير من علي وقد محى نفسه)

وهكذا رجع بحوارك الهادئ الحكيم لهم ألفان، وأقمت عليهم الحجة، وحين تمادوا في غيهم قام الإمام بقتالهم، بعد أن أصبحوا خطرا على المسلمين، وكنت شريكا له في ذلك القتال، كما كنت شريكا له في كل حروبه.

وكان ذلك كافيا للمترددين في اتباعك، وهم يعلمون أنك ترجمان القرآن، وأنك لا تقدم على أمر دون أن تعلم حكم الله فيه.. لكنهم عزلوك كما عزلوا عمارا، وكل من أخبر رسول الله ﷺ عن ثباتهم في الدين ووفائهم بعهودهم.

وهكذا كنت تمارس وظيفتك في الرد على كل التحريفات التي حصلت في الدين، فما إن تسمع بطائفة قالت مقولة إلا ورحت إليها تنبهها وتحاورها وتدعوها إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، وقد حدث وهب قال: (طاف ابن عباس بالبيت حين أصبح أسبوعاً، وكان قد رقّ بصره، فكان يتوكأ على العصا، فلمّا فرغ من طوافه انصرف إلى الحطيم، فصلى ركعتين، ثم نهض فنهضنا معه، ثم انطلق بنا إلى غربي الكعبة،

فوقفنا على قوم بلغ ابن عباس أنّهم يخوضون في حديث القدر وغيره ممّا يختلف الناس فيه، فلمّا وقف عليهم سلّم عليهم فأجابوه، فرحبّوا به وأوسعوا له، فكره أن يجلس إليهم.. ثم قال: (يا معشر المتكلمين فيما لا يعنيهم، ولا يُردّ عليهم، ألم تعلموا أنّ لله عز وجل عباداً قد أسكتتهم خشيته من غير عيّ ولا بكم، وإنّهم لهم الفصحاء النطقاء والنبلاء الأولياء والعالمون بالله عز وجل وبآياته، ولكنهم إذا ذكروا عظمة الله انقطعت ألسنتهم وكسرت قلوبهم وطاشت عقولهم إعظاماً لله عز وجل وإعزازاً وإجلالاً، فإذا استفاقوا من ذلك استبقوا إلى الله عز وجل بالأعمال الزكيّة، يعدّون أنفسهم مع الظالمين الخاطئين، وإنّهم لأنزاه أبرار، ومع المقصّرين والمفرّطين، وإنّهم لأكياس أقوياء، ولكنهم لا يرضون لله عز وجل بالقليل، ولا يستكثرون له الكثير، ولا يُدلّون عليه بالأعمال، متى ما لقيتهم فهم مهتمون مخوَّفون مروَّعون خائفون مشفقون وجلون، فأين أنتم منهم يا معشر المبتدعين. اعلموا أنّ أعلم الناس بالقدر أسكتهم عنه، وأنّ أجهل الناس بالقدر أنطقهم فيه)

وقد ذكر وهب تأثير موعظتك فيهم، فقال: (ثم انصرف عنهم وتركهم، فبلغ ابن عباس أنّهم تفرّقوا عن مجلسهم ذلك، ثم لم يعودوا إليه حتى هلك ابن عباس) (1)

وقد روي طاووس بعض حوارك لهم، فقال: (كنت عند ابن عباس ومعنا رجل من القدرية، فقلت: إنّ أناساً يقولون لا قدر، قال: أوفي القوم أحد منهم؟ قلت: لو كان ما كنت تصنع به؟ قال: لو كان فيهم أحد منهم لأخذت برأسه، ثم قرأت عليه آية كذا وكذا: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴾ [الإسراء: 4]) (2)

ولم تكن تكتفي بحوارك مع التحريفات الدينية، بل كنت تضم إليها ردودك على تلك التحريفات التي قام بها الانتهازيون في سبيل تحقيق مآربهم السلطوية، والتي حرفوا بسببها كل قيم العدالة التي جاء بها الإسلام.

ومن الأمثلة على ذلك حوارك مع عمرو بن العاص بعد أن سمعته يثني على معاوية وبني أمية، ويتناول بني هاشم، ويذكر

---

1 () المعرفة والتأريخ 1 / 524.

2 () رواه الحاكم 2 / 360.

مشاهده بصفين ويوم التحكيم، حينها قمت بكل جرأة، وقلت: (يا عمرو إنّك بعتَ دينك من معاوية فأعطيته ما في يدك، ومنّاك ما في يد غيره، فكان الذي أخذهُ منك فوق الذي أعطاك، وكان الذي أخذتَ منه دون ما أعطيته، وكلٌ راض بما أخذ وأعطى، فلمّا صارت مصر في يدك تتّبعك بالنقص عليك والتعقّب لأمرك، ثم بالعزل لك، حتى لو أنّ نفسك في يدك لأرسلتها، وذكرتَ يومك مع أبي موسى، فلا أراك فخرتَ إلا بالغدر، ولا منّيت إلاّ بالفجور والغش، وذكرت مشاهدك بصفين، فو الله ما ثقلتَ علينا يومئذ وطأتك، ولا نكأت فينا جرأتك، وإن كنت فيها لطويل اللسان وقصير السنان، آخر الحرب إذا أقبلت، وأوّلها إذا أدبرت، لك يدان، يد لا تقبضها عن شرّ، ويد لا تبسطها إلى خير، ووجهان، وجه مؤنس، ووجه موحش، ولعمري إنّ من باع دينه بدنيا غيره لحريٌ أن يطول حزنه على ما باع وأشترى. أما إنّ لك بياناً ولكن فيك خَطل، وإنّ لك رأياً ولكن فيك فشل، ولك قدر وفيك حسد.. وإنّ أصغر عيبك فيك لأعظم عيب في غيرك) (1)

وهكذا كنت في الوقت الذي أعلن فيه معاوية حربه للإمام علي، تبث ما تعرفه منها، وما سمعته من رسول الله ﷺ، ومن الأمثلة على ذلك قولك في بعض خطبك في ذلك الوقت: (لقد ساقنا قدر الله إلى ما قد ترون حتى كان فيما اضطرب من حبل هذه الأمّة، وانتشر من أمرها، أن ابن آكلة الأكباد قد وجد من طغام أهل الشام أعواناً على عليّ بن أبي طالب ابن عم رسول الله ﷺ وصهره، وأوّل ذكر صلّى معه، بدري قد شهد مع رسول الله ﷺ كلّ مشاهده التي فيها الفضل، ومعاوية مشرك كان يعبد الأصنام، والذي ملك الملك وحده، وبان به وكان أهله، لقد قاتل عليّ بن أبي طالب مع رسول الله ﷺ، وهو يقول: صدق الله ورسوله، ومعاوية وأبو سفيان يقولان: كذب الله ورسوله، فما معاوية في هذه بأبرّ ولا أتقى ولا أرشد ولا أصوب منه في تلكم.. **فعليكم بتقوى** الله والجدّ والحزم والصبر، والله إنّا لنعلم إنّكم لعلى الحق، وأن القوم لعلى الباطل، فلا يكونُنّ أولى بالجدّ في باطلهم منكم في حقكم، أما والله إنّا لنعلم إنّ الله سيعذبهم بأيديكم أو

1 () البيان والتبيان للجاحظ 2 / 239.

بأيدي غيركم) [1]

وقلت في خطبة أخرى في الكوفة بعد ما كثر خوض الناس في أمر الحكمين: (أيّها الناس إنّ للحق أهلاً أصابوه بالتوفيق، والناس بين راضٍ به وراغبٍ عنه، وإنّما بعث عبد الله بن قيس ـ حكم أهل العراق ـ لهدى إلى ضلالة، وبعث عمرو بن العاص ـ حكم أهل الشام ـ لضلالة إلى الهدى، فلمّا التقيا رجع عبد الله عن هداه، وثبت عمرو على ضلالته، والله لئِن حُكّما بالكتاب لقد حكما عليه، وإن حُكّما بما اجتمعا عليه معاً ما اجتمعا على شيء، وإن كان حُكّما على ما سارا إليه، لقد سار عبد الله وإمامه عليّ، وسار عمرو وإمامه معاوية، فما بعد هذا من غيب ينتظر، ولكن سئموا الحرب، وأحبوا البقاء، ودفعوا البلاء، ورجا كلّ قوم صاحبهم) [2]

وهكذا ظللت على عهدك تذكر محاسنه، حتى في تلك الأيام التي أعلن فيها معاوية حربه التشويهية للإمام علي، والتي قتل بسببها الكثير، في تلك الأوقات كنت تقول، وأمام معاوية نفسه: (كان أمير المؤمنين غزير الدمعة، طويل الفكرة، يعجبه من اللباس ما قصر، ومن الطعام ما خشن، يدنينا إذا أتيناه، ويجيبنا إذا دعوناه، وكان مع تقريبه إيانا وقربه منّا لا نبدأه بالكلام حتى يتبسم، فإذا هو تبسّم فعن مثل اللؤلؤ المنظوم، أما والله يا معاوية لقد رأيته في بعض مواقفه وقد أرخى الليل سدوله، وغارت نجومُه، وهو قابض على لحيته يبكي ويتململ تململ السليم، وهو يقول: يا دنيا إياي تغرّين؟ أمثلي تشوقين؟ لا حان حينك، بل زال زوالك، قد طلقتك ثلاثاً لا رجعة فيها. فعيشك حقير، وعمركِ قصير، وخطركِ يسير، آه آه من بُعد السفر ووحشة الطريق، وقلّة الزاد) [3]

وقلت في محل آخر تصفه: (صلوات الله على أبي الحسن عليّ، كان والله علم الهدى، وكهف التقى، ومحل الحجى، وبحر الندى، وطود النهى، وعلماً للورى، ونوراً في ظلم الدّجى، وداعياً إلى المحجة العظمى، ومستمسكاً بالعروة الوثقى، وسامياً إلى الغاية القصوى، وعالماً بما في الصحف الأولى،

---

1 () وقعة صفين ، ص 359.

2 () جمهرة خطب العرب 1 / 174.

3 () المحاسن والمساوي 1 / 28.

وعاملاً بطاعة الملك الأعلى، وعارفاً بالتأويل والذكرى، ومتعلقاً بأسباب الهدى، وحائداً عن طرقات الـردى، وسـامياً إلى المجـد والعلى، وقائماً بالدين والتقـوى، وسـيد من تقمص وارتـدى بعـد النبيّ المصطفى، وأفضـل من صـام وصـلى، وأجـل من ضـحك وبكى، صاحب القبلـتين، وهـل يسـاويه مخلـوق، كـان أو يكـون، كان والله للأسد قـاتلاً، وللبهم في الحـرب خـاتلاً، على مبغضـيه لعنة الله ولعنة العبَاد إلى يوم التناد) (1)

ومن أوصافك لـه ذلـك الوصـف الطويـل الـذي قلت فيـه: (عليّ سـيّد المسـلمين، وإمـام المتّقين، ووارث علم الأوّلين والآخرين.. كان والله للقـرآن تاليـاً، وبـه عالمـاً عـاملاً، وللسـهو قالياً، وعن الفحشاء نائياً، وللشرك آبياً، وللمعروف فـاعلاً، وعن المنكـر ناهيـاً، وبدِينـه عارفـاً، ومِنَ اللـه خائفـاً، وعنَ الموبقـات صادفاً، وبالليل قائماً، وبالنهار صائماً، ومن دنياه سـالماً، وبعـدل البريّة قائماً، وعن المهلكات زاجراً، وبنور الله نـاظراً، ولشـهوته قـاهراً ؛ فـاق العـالمين علمـاً، وزهـداً، وورعـاً وكفافـاً، وقناعـة، وبراعـة، وعفافـاً، وحلمـاً، وكرمـاً، وجهـاداً، وهجـرة، وشـجاعة، وقرابة، وعبادة، وإخلاصاً ؛ وأقدمهم إيماناً، وسادهم زهداً وأمانة وبرّاً وحياطة.. كان والله حليف القرآن، ومـأوى الأنـام، ومـولى الأيتـام، ومنتهى الإحسـان، وملاذ الفقـراء والضـعفاء، ومعقـل الخائف.. كـان واللـه للخلـق حصـناً، وللنـاس عونـاً قويّـاً، وعلى الحـقّ صـابراً، وفي ذات اللـه مجاهـداً وفيـه محتسـباً، حتّى عـزّ الدِّين في الديار، وعُبِدَ اللـه في الأقطـار والضـواحي في الليـل والنهار، وجميع النواحي والقلاع والتلاع، والقفار والبقاع) (2)

إلى آخر أوصافك الطويلة التي لا نزال نقرؤها، ونقرأ معها كل قيم الوفاء والإخلاص والصـدق، ونـوقن معهـا اسـتجابة اللـه تعالى لدعاء نبيه ﷺ في حقكم، وأنكم حقيقـة ترجمـان للقـرآن، سواء الصامت، أو الناطق.

---

1 () الدرجات الرفيعة / 123.

2 () الديلمي في غرر الأخبار ودرر الآثار، ص 324 .

رسالة إلى أبي ذر الغفاري

سيدي أبا ذر الغفاري..

أيها الصحابي الجليل.. يا من تشرفت عيناك برؤية رسول الله ﷺ، وتشرفت أذناك بسماع كلماته وحكمه ووصاياه، وتشرف لسانك بالحكمة والدعوة والنصيحة والجهاد والصدق، وتشرف قلبك بمحبة حبيبك ﷺ والفناء فيه، وتشرف عقلك بالحقائق التي ملأت عليك كيانك، فقضيت حياتك كلها في بثها ونشرها والتضحية في سبيلها، ثم ختمتها بالشهادة في تلك الصحراء القاحلة، وأنت ممتلئ ألما لما صار إليه حال الإسلام.

بأي شيء أبدأ رسالتي لك، وأنا الذي عشقتك من صغري الباكر، عندما كنت أقرأ عن مواقفك التي تريد أن تحمي بها الإسلام من أن يتحول إلى كسروية وقيصرية وقارونية.. وأقرأ في نفس الوقت عن زهدك وورعك وتقواك.. وأقرأ عن شغفك بالبحث عن الحقائق، حتى أنك اهتديت إلى الإيمان بالله قبل أن ترى رسول الله ﷺ.. وأقرأ عن شجاعتك وبطولتك ومواجهتك للمشركين والمحرفين والمبدلين.

حتى أني احترت كما احتار الكثير في تصنيفك.. فإن ذكر الزهاد والعباد ذكرت معهم، وكنت في أولهم.. وإن ذكر المجاهدون والمحتسبون والثوار، فأنت لا تزال رمزا للمستضعفين الثائرين.. وإن ذكرت الحقائق ورجالها وأولياؤها، فأنت أحدهم، وكلهم يقتبسون منك، ويستفيدون.. وإن ذكر الصدق مع أئمة الأمة وورثتهم، فأنت أسوتهم وقدوتهم، وكل الأئمة تحدثوا عنك، وحضوا على حبك.

وكيف لا يفعلون ذلك، ورسول الله ﷺ نفسه دعانا إلى حبك، فأنت أحد أركان الحب الأربعة التي ذكرها رسول الله ﷺ، فقال: (أمرني الله بحب أربعة من أصحابي، وأخبرني أنه يحبهم، علي منهم، وأبو ذر، وسلمان، والمقداد الكندي)

ما أعظم هذا الحديث.. وما أعظم هذه البشارة.. فأنت لم تبشر بالجنة فقط، ففي الجنة أهل اليمين، وغيرهم من عامة الناس.. لكنك بشرت بمحبة الله، وبشرت بأمر الله لرسولك ﷺ بحبك.. وبشرت فوق ذلك، لا بالجنة، وإنما بشوق الجنة لك، ففي الحديث قال رسول الله ﷺ: (إن الجنة تشتاق إلى ثلاثة:

علي وعمار وأبي ذر) [1]

ومع ذلك لا نراك تذكر في المبشرين بالجنة، لأن المبدلين والمغيرين أبوا أن يدخلوا في هؤلاء رجلا من غير قريش، وكأن القرشية هي تأشيرة الدخول إلى الجنة.

ولم يقتصر الأمر على ذلك الحديث، بل إن رسول الله ﷺ راح يعتبرك لسانا من ألسنة الحق، التي إن اختلفنا عدنا إليها[2].. لقد قال في حقك: (ما أقلت الغبراء، ولا أظلت الخضراء، من رجل أصدق لهجة من أبي ذر) [3]

وهكذا كان حبيبك الإمام علي يثني عليك كل حين، ويعتبرك من صحابة رسول الله ﷺ المنتجبين الصادقين، وقد سئل عنك، فقال: (وعى علما، شحيحا حريصا ؛ شحيحا على دينه، حريصا على العلم، وكان يكثر السؤال، فيعطى ويمنع، أما أن قد ملئ له في وعائه حتى امتلأ)[4]

وذكر نصرتك للحق، وتضحيتك في سبيله، وإيثارك للموت في الصحراء على الموت في المدينة، فقال: (لم يبق اليوم أحد لا يبالي في الله لومة لائم غير أبي ذر) ثم ضرب بيده إلى صدره[5].

ولما لك من هذه المنزلة الرفيعة في الدين، فقد شاء الله أن تبتلى كما ابتلي الأنبياء والأولياء والأمثل فالأمثل، وقد بشرك رسول الله ﷺ بذلك، وقد قلت تحدث عن نفسك: بينا أنا واقف مع رسول الله ﷺ، فقال لي: (يا أبا ذر أنت رجل صالح،

---

1 () الهيثمي في مجمع الزوائد 9 ـ 39

2 () يمكن اعتبار حديث صدق أبي ذر وزهده من أظهر مصاديق التواتر المعنوي ، إذ أخرجه جملة الحفاظ على اختلاف ألفاظه كابن سعد والترمذي وابن ماجة وأحمد وابن أبي شيبة وابن جرير وأبي عمر وأبي نعيم والبغوي والحاكم وابن عساكر والطبراني وابن الجوزي وغيرهم.. انظر : الطبقات 4 ـ 167 و 168 ، سنن ابن ماجة 1 ـ 68 ، مسند أحمد 2 ـ 163 و 175 و 223 ، و 5 ـ 197 ، و 6 ـ 442 ، مستدرك الحاكم 3 ـ 342 ، و 4 ـ 480 وقد صححه وأقره عليه الذهبي ، مصابيح السنة 2 ـ 228 ، صفة الصفوة 1 ـ 340 ، الاستيعاب 1 ـ 84 ، مجمع الزوائد 9 ـ 329 ، الإصابة لابن حجر 3 ـ 622 و 4 ـ 62 ، كنز العمال 6 ـ 169 و 8 ـ 15 ـ 17 ، وجملة كتب الحديث والرجال والتراجم..

3 () رواه الترمذي وابن ماجة (156)

4 () رواه الضياء في المختارة (2/ 123)

5 () رواه ابن سعد الطبقات الكبرى، (4/231)

وسيصيبك بلاء بعدي)، قلت: في اللـه؟ قـال: (في اللـه)، قلت: مرحبا بأمر الله[1].

بـل إنـه أخـبر عن هيئـة موتـك والجماعـة الـتي تتشـرف بالصلاة عليك، وأخـبر أنـك في حياتـك جميعـا، وبسـبب نصـرتك للحق، ستكون وحدك، فقال: (يـرحم اللـه أبـا ذر يمشـى وحـده ويموت وحده ويبعث وحده) [2]

1. معرفة الحق:

دعني ـ سيدي ـ قبل أن أذكر دورك في نصرة الحق، أذكـر معرفتك للحـق، وتربيـة اللـه وهدايتـه لـك إليـه، وأنت في تلـك الصـحراء القاحلـة، بين قـوم امتلأوا شـركا وضـلالا، لكنـك كنت المميز بينهم.. حيث رحت تبحث عن الله، وتصـلي لـه، قبـل أن تسمع برسول الله ﷺ.

لقـد حـدثوا عنـك أنـك كنت تقـول ــ لمن سـألك عن سـر اهتدائك للإسلام ـ: (يا ابن أخي قد صليت قبل أن ألقى، رسـول الله ﷺ ثلاث سنين)، فقال: لمن؟ قلت: (للـه عـز وجـل)، قـال: أين توجهت؟ قلت: (حيث وجهني الله عـز وجـل، أصـلي عشـاء حتى إذا كان من آخـر السـحر ألقيت كـأني خفـاء حـتى تعلـوني الشمس)[3]

وهذا هو معنى الاجتباء والهداية الخاصة التي خص الله بهـا من شرفهم بالاصطفاء من أصحاب رسـول اللـه ﷺ.. لـذلك مـا إن سمعت بالإسلام حـتى هـرعت إليـه، لم تـتردد، بـل كنت من السابقين على الرغم من بعد دارك، فقد كنت تقول: (كنت رابع الإسلام، أسلم قبلي ثلاثة وأنا الرابع) [4]

وحـدثت عن كيفيـة دخولـك للإسـلام، فقلت: (إن أول مـا دعاني إلى الإسلام أنا أصابتنا السـنة، فحملت أمي وأخي أنيسـا إلى أصهار لنا بأعلى نجد، فلما حللنا بهم أكرمونا، فمشى رجـل من الحي إلى خالي فقال: إن أنيسا يخالفك إلى أهلك فحـز في قلبه، فانصرفت من رعيـة إبلي فوجدتـه كئيبـا يبكي، فقلت: مـا بكاؤك يا خال؟ فأعلمني الخبر فقلت: حجـز اللـه من ذلـك، إنـا

1() حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (1/ 162)

2() الحاكم (3/52، رقم 4373) وقال: صحيح الإسناد. وابن عساكر (66/216)

3() حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (1/ 157)

4() المرجع السابق(1/ 157)

نعاف الفاحشة، وإن كان الزمان قد أخل بنا، فاحتملت بأخي وأمي حتى نزلنا بحضرة مكة، فأتيت مكة وقد بلغني أن بها صابئا، أو مجنونا أو ساحرا، فقلت: أين هذا الذي تزعمونه؟ قالوا: ها هو ذاك حيث ترى، فانقلبت إليه، فوالله ما جزت عنهم قيد حجر حتى أكبوا علي بكل عظيم وحجر ومدر فضرجوني بدمي، فأتيت البيت فدخلت بين الستور والبناء وصومت فيه ثلاثين يوما لا أكل ولا أشرب إلا من ماء زمزم) (1)

وبمجرد إسلامك، رحت تنهل المعارف الإيمانية من رسول الله ﷺ، ولم يكن ذلك شديدا عليك، ولا صعبا، فقلبك كان مثل ذلك المصباح الذي يكاد ﴿ يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ [النور: 35]

وقد كان لذلك النور النبوي الذي ملأ كيانك كله تأثيره المباشر فيك، حتى أنك لم تستطع كتمان ما غمر قلبك من الحقائق، فرحت تطلب من رسول الله ﷺ أن تنفس عن قلبك بالجهر بالحق في ذلك الواقع المملوء بالطغيان، لقد قلت تحدث عن نفسك: (أقمت مع رسول الله ﷺ بمكة فعلمني الإسلام، وقرأت من القرآن شيئا فقلت: يا رسول الله إني أريد أن أظهر ديني، فقال رسول الله ﷺ: (إني أخاف عليك أن تقتل)، قلت: لا بد منه وإن قتلت، فسكت عني، فجئت وقريش حلقا يتحدثون في المسجد فقلت: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، فانتفضت الخلق فقاموا فضربوني، حتى تركوني كأني نصب أحمر، وكانوا يرون أنهم قد قتلوني، فأفقت فجئت إلى رسول الله ﷺ فرأى ما بي من الحال، فقال لي: ألم أنهك؟ فقلت: يا رسول الله كانت حاجة في نفسي فقضيتها، فأقمت مع رسول الله ﷺ فقال: (الحق بقومك، فإذا بلغك ظهوري فأتني)(2)

وهكذا كنت أول رسول يكلف بهداية قومه، لقد ذكر ابن عباس موقفك هذا، وإعجاب رسول الله ﷺ، ودعوتك بسببه لهداية قومك، فقال: (دخل أبو ذر على رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله مرني بما شئت، فقال: (ارجع إلى أهلك حتى يأتيك خبري)، فقلت: والله ما كنت لأرجع حتى أصرخ بالإسلام، فخرج

---

1 () المرجع السابق(1/ 157)

2 () المرجع السابق(1/ 158)

إلى المسجد فصاح بأعلى صوته فقال: أشهد أن لا إله إلا اللــه، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، فقال المشركون: صبأ الرجل، صبأ الرجل، فقاموا إليه فضربوه حتى سـقط، فمـر بـه العبـاس فقال: يا معشر قريش أنتم تجار وطريقكم على غفار، أتريـدون أن يقطع الطريق؟ فأكب عليه العباس فتفرقوا، فلما كان الغــد عاد إلى مثل قوله فقاموا إليه فضربوه، فمر بـه العبـاس فقـال لهم مثل ما قال، ثم أكب عليه)[1]

وقد كان من فضل الله عليك، وأنت في صحبة رسول الله ﷺ أن تتشرف بـأول سـلام في الإسـلام، فقـد قلت تحـدث عن نفسك: (انتهيت إلى النبي ﷺ حين قضى صـلاته فقلت: السـلام عليــك، فقــال: (وعليــك الســلام)، فكنت أول من حيــاه بتحيــة الإسلام[2]

وأخبرت عن تربية رسول الله ﷺ لك، وما أخذه عليــك من المواثيق، فقلت: (بايعني رسول الله ﷺ خمسا، وواثقني سـبعا، وأشـهد علي تسـعا، أن لا أخـاف في اللـه لومـة لائم. قـال أبـو المثنى: قال أبو ذر: فدعاني رسول الله ﷺ فقال: (هل لــك إلى بيعة، ولك الجنة؟) قلت: نعم. وبسطت يدي، فقال رسـول اللـه ﷺ، وهــو يشــترط علي: (أن لا تسـأل النـاس شـيئا) قلت: نعم. قال: (ولا سوطك إن يسقط منك، حتى تنزل إليه فتأخذه) [3]

وذكــرت بعض عهــودك، فقلت: (أمــرني خليلي ﷺ بسـبع: (أمرني بحب المساكين، والدنو منهم، وأمرني أن أنظر إلى من هو دوني، ولا أنظر إلى من هو فوقي، وأمرني أن أصـل الـرحم وإن أدبرت، وأمرني أن لا أسأل أحـدا شـيئا، وأمـرني أن أقـول بالحق وإن كان مـرا، وأمـرني أن لا أخـاف في اللـه لومـة لائم، وأمرني أن أكثر من قول: لا حول ولا قـوة إلا باللـه، فـإنهن من كنز تحت العرش) [4]

وهكذا كنت كثير السـؤال لرسـول اللـه ﷺ لعلمـك بالـدور المناط بك بعد وفاته ﷺ، وقد قلت تحدث عن نفسك، وعلاقتــك برسول اللــه ﷺ: سـألت رسـول اللـه ﷺ عن كـل شـيء، حـتى

---

1 () المرجع السابق(1/ 158)

2 () المرجع السابق(1/ 159)

3 () رواه أحمد (21509)

4 () رواه أحمد (21415)

سألته عن مس الحصا، فقال: (مسه مرة أو دع) [1]

ومن أسئلتك المهمة التي لا تزال تمتلئ بها دواوين المحدثين ما حدثت به، فقلت: دخلت على رسول الله ﷺ في المسجد، فقال رسول الله ﷺ: (إن للمسجد تحية) قلت: وما تحيته، يا رسول الله؟ قال: (ركعتان تركعهما) [2]

وهكذا كنت تسأله عن كل ما يعتلج في صدرك من حب لمعرفة الحقائق المتعلقة بالكون والحياة وكل شيء من غير من أن تقع فيما وقع فيه بعضهم حين كان يترك رسول الله ﷺ ويذهب ليسأل أهل الكتاب..

ومن أسئلتك في هذا قولك: يا رسول الله، هل أنزل الله عليك شيئا مما كان في صحف إبراهيم وموسى؟.. فقال لك رسول الله ﷺ مباشرة بعد سؤالك له: يا أبا ذر، اقرأ ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى (14) وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى (15) بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (16) وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى (17) إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى (18) صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى (19)﴾ [الأعلى: 14 - 19]) [3]

وسألته عن صحف موسى عليه السلام، فقال لك: (كانت عبرا كلها: عجبت لمن أيقن بالموت، ثم يفرح، عجبت لمن أيقن بالنار ثم يضحك، عجبت لمن رأى الدنيا وتقلبها بأهلها ثم يطمئن، عجبت لمن أيقن بالقدر ثم ينصب، عجبت لمن أيقن بالحساب، ثم لا يعمل) [4]

وسألته عن الأنبياء، وأيهم كان أولا، فقال: (آدم)، فقلت: يا رسول الله، ونبي كان؟ قال: (نعم نبي مكلم).. فقلت: يا رسول الله، كم المرسلون؟ قال: (ثلاث مائة وبضعة عشر، جما غفيرا)، فقلت: يا رسول الله، أيما أنزل عليك أعظم؟ قال: (آية الكرسي الله لا إله إلا هو الحي القيوم) [5]

وسألته عن الصلاة، فقال: (خير موضوع، من شاء أقل، ومن شاء أكثر).. وسألته عن الصوم، فقال: (قرض مجزئ،

---

1 () حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (1/ 169)

2 () رواه أحمد، 21546، وابن حبان (361)، والحاكم: 4166.

3 () المرجع السابق.

4 () المرجع السابق.

5 () المرجع السابق.

وعنـد اللـه مزيـد).. وسـألته عن الصـدقة، فقـال: (أضـعاف مضاعفة).. وسألته عن أفضلها، فقال: (جهـد من مقـل، أو سـر إلى فقير) [1]

وهكذا سألته عن أي الأعمال أحب إلى الله، فقال: (إيمـان باللـه -عـز وجـل- وجهـاد في سـبيله).. فسـألته: أي المؤمـنين أكملهم إيمانا؟ فقال: (أحسـنهم خلقـا).. فسـألته: أي المؤمـنين أسلم؟ فقال: (من سلم الناس من لسانه ويده).. فسألته: فـأي الهجرة أفضل؟ فقال: (من هجر السيئات).. فسألته: فأي الليل أفضـل؟ فقـال: (جـوف الليـل الغـابر).. فسـألته: فـأي الصـلاة أفضل؟ فقال: (طول القنوت).. فسـألته: فمـا الصـيام؟ فقـال: (فرض مجزئ وعند الله أضعاف كثيرة).. فسـألته: فـأي الجهـاد أفضل؛ قـال: (من عقـر جـواده وأهريـق دمـه).. فسـألته: فـأي الرقـاب أفضـل؟ فقـال: (أغلاهـا ثمنـا وأنفسـها عنـد أهلهـا).. فسألته: فأي الصدقة أفضل؟ فقـال: (جهـد من مقـل تسـر إلى فقير) [2]

وهكذا كان كلما ذكر لك معنى من المعاني، أو مسـألة من المسائل، رحت تطلب بكل هـدوء وأدب معرفتهـا، فعنـدما قـال لك: (يا أبا ذر، تعوذ بالله من شـر شـياطين الإنس والجن) قلت له: يا رسول الله، وللإنس شياطين؟ قال: (نعم) [3]

وعندما قال لك: (اذكر اللـه ذكـرا خـاملا)، قلت يـا رسـول الله: وما الذكر الخامل؟ فقال: (الذكر الخفي) [4]

وعندما قال لك: (إن العبـد ليـذنب فيـدخل إلى اللـه بذنبـه ذلك الجنة)، قلت: وكيف ذلك، يا رسول الله؟ قال: (يكون ذلـك الذنب نصب عينه تائبا منه فارا إلى الله حتى يدخل الجنة) [5]

وعنـدما قـال لـك: (إذا دخـل النـور القلب انفتح القلب واستوسـع)، قلت: مـا علامـة ذلـك، بـأبي أنت وأمي يـا رسـول الله؟ قال: (الإنابـة إلى دار الخلـود، والتجـافي عن دار الغـرور،

---

1 () المرجع السابق.

2 () المرجع السابق.

3 () الأمالي للطوسي ص: 535.

4 () المرجع السابق.

5 () المرجع السابق.

والاستعداد للموت قبل نزوله) [1]

وعندما قال لك: (أ تحب أن تدخل الجنة؟)، قلت: نعم فداك أبي، فقال: (فاقصر من الأمل، واجعل الموت نصب عينك، واستح من الله حق الحياء)، فقلت: يا رسول الله، كلنا نستحي من الله.. قال: (ليس كذلك الحياء، ولكن الحياء من الله أن لا تنسى المقابر والبلى، والجوف وما وعى، والرأس وما حوى، فمن أراد كرامة الأجر فليدع زينة الدنيا، فإذا كنت كذلك أصبت ولاية الله) [2]

وعندما قال لك: (استغن بغنى الله)، قلت: وما هو يا رسول الله؟ قال: (غداء يوم، وعشاء ليلة، فمن قَنَع بما رزقه الله ـ يا أبا ذر ـ فهو أغنى الناس) [3]

وعندما قال لك: (من لم يأت يوم القيامة بثلاث، فقد خَسِر)، قلت: وما الثلاث فداك أبي وأمي يا رسول الله؟ قال ﷺ: (ورع يحجزه عمَّا حرم الله عليه، وحِلم يَردّ به جَهلَ السفيه، وخلق يداري به الناس) [4]

وعندما قال لك: (من أجاب داعي الله تعالى، وأحسَنَ عِمارة مساجد الله، كان ثوابه من الله الجنة)، قلت: بأبي أنت وأمي يا رسول الله. كيف نعمر مساجد الله؟ فقال ﷺ: (لا تُرفع فيها الأصوات ولا يُخاض فيها بالباطل، ولا يشترى فيها ولا يباع، واتركِ اللغو ما دمت فيها، فان لم تفعل فلا تلومنَّ يوم القيامة إلا نفسك)، ثم سألك: (أتعلم في أي شيء أنزلت هذه الآية: اصبروا وصَابِروا ورَبِطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون؟) قلت: لا، فداك أبي وأمي، فقال ﷺ: (في انتظار الصلاة خلف الصلاة) [5]

ثم قال لك: (يا أبا ذر: إسباغ الوضوء في المَكَارِه من الكفارات، وكثرة الاختلاف إلى المساجد، فذلكم الرباط.. يقول الله تبارك وتعالى: أن أحبَّ العباد إلي، المتحابون بجلال، المتعلقة قلوبهم بالمساجد، والمستغفرون بالأسحار، أولئك إذا أردتُ بأهل الأرض عقوبة، ذكرتُهم ! فصرفتُ العقوبة عنهم..

---

1 () المرجع السابق.

2 () المرجع السابق.

3 () المرجع السابق.

4 () المرجع السابق.

5 () المرجع السابق.

كُلّ جلوس في المسجد لَغو إلا ثلاثة، قراءة مُصلّ، أو ذكر اللـه، أو سائل عن علم) [1]

وعندما قال لك: (من ملك ما بين فخذيـه، ومـا بين لحييـه، دخل الجنـة) قلت: يـا رسـول اللـه فإنـا لنؤاخـذ بمـا ننطـق من ألسـنتنا؟ قـال: (وهـل يَكبّ النـاس على منـاخرهم في النـار إلا حصاد ألسنتهم، إنك لا تزال سالماً ما سكتَّ، فـاذا تكلمت يكتب لك أو عليك) [2]

وعنـدما قـال لـك: (مَن صَـمتَ نجـا. فعليـك بالصـدق، ولا تخـرجن من فمـك كذبـة أبـداً) قلت: يـا رسـول اللـه فمـا توبـة الرجل الذي يكذب متعمداً؟ قال: (الاستغفار، وصـلوات الخمس يغسل ذلك) [3]

وعندما قـال لـك: (سـباب المسـلم فُسـوق، وقِتالـه كفـر، وأكل لحمه من معاصي الله، وحرمة ماله كحرمة دمه) قلت: يا رسول الله. وما الغيبة؟ قال: ذِكـرك أخـاك بمـا يكـره. قلت: يـا رسول الله فمن كان فيه ذلك الذي ذكرته؟ قال: (اعلم انـك اذا ذكرته بما هو فيه، فقد اغتبته ! وإن ذكرتـه بمـا ليس فيـه، فقـد بهتَّه) [4]

وهكذا كانت أسئلتك كلهـا تبحث عن الحقـائق والقيم، ولم تكن من أولئـك المجـادلين الـذين يهتمـون بالتفاصـيل الـتي لا تغنيهم في دنيـاهم وأخـراهم، والـتي لجـأوا لطلب معرفتهـا من عــدوك اللــدود كعب الأحبــار، الــذي كــان ســببا في نفيــك واستشهادك في الصحراء.

ولم يكن رسـول اللـه ﷺ يكتفي بسـؤالك لـه، وإنمـا كـان يعلمك ويوصيك كل حين، لعلمه أنك ستبلغ تلك الوصـايا بقولـك وفعلك، وأنك ستضحي بكل شيء في سبيل تبليغها، وخاصة في تلك الفترة التي يبدأ فيهـا الشـيطان في إقامـة أسـواق التغيـير والتبديل.

ومن وصـايا رسـول اللـه ﷺ لـك.. والـتي تـدل على مـدى اهتمامه بك ـ وكيف لا يهتم بك، وقـد أمـره اللـه بحبـك؟ ــ تلـك

1() المرجع السابق.

2() المرجع السابق.

3() المرجع السابق.

4() المرجع السابق.

الوصية الجامعة التي طلبتها منه ﷺ عندما رأيته جالسا في المسجد، وبجنبه الإمام علي، فاغتنمت الفرصة، وقلت: يا رسول الله، بأبي أنت وأمي أوصني بوصية ينفعني الله بها.. فأجابك رسول الله ﷺ بقوله: (نعم وأكرم بك يا أبا ذر، إنك منا أهل البيت، وإني موصيك بوصية إذا حفظتها فإنها جامعة لطرق الخير وسبله، فإنك إن حفظتها كان لك بها كفلان)[1]

كانت تلك الكلمات نورا أضاء قلبك، فراح يستمع بكل ذرة فيه إلى كلمات خليله ﷺ، ويستوعبها حرفا حرفا، ليبلغها بعد ذلك للأمة، ويبلغ معها القيم الرفيعة، ودين الله الأصيل.

لقد قال لك رسول الله ﷺ، وهو يدلك على معراج الفوز الروحاني: (يا أبا ذر، اعبد الله كأنك تراه، فإن كنت لا تراه فإنه عز وجل يراك، واعلم أن أول عبادته المعرفة به بأنه الأول قبل كل شيء فلا شيء قبله، والفرد فلا ثاني معه، والباقي لا إلى غاية، فاطر السماوات والأرض وما فيهما وما بينهما من شيء، وهو الله اللطيف الخبير، وهو على كل شيء قدير، ثم الإيمان بي والإقرار بأن الله عز وجل أرسلني إلى كافة الناس بشيرا ونذيرا، وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا، ثم حب أهل بيتي الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا.. واعلم يا أبا ذر، أن الله تعالى جعل أهل بيتي كسفينة النجاة في قوم نوح، من ركبها نجا، ومن رغب عنها غرق، ومثل باب حطة في بني إسرائيل من دخلها كان آمنا) [2]

ثم قال لك: (يا أبا ذر، احفظ ما أوصيتك به تكن سعيدا في الدنيا والآخرة).. ثم راح يبث وصاياه إليك، لعلمه بأنك ستوصلها للأمة بعده.

ومن تلك الوصايا قوله لك، وهو يدعوك إلى الحرص على كل أنفاس العمر حتى لا تضيع هدرا: (يا أبا ذر، نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة، والفراغ.. يا أبا ذر، اغتنم خمسا قبل خمس شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك.. يا أبا ذر، إياك والتسويف بأملك، فإنك بيومك ولست بما بعده، فإن يكن غد لك تكن في الغد كما كنت في اليوم، وإن لم يكن غد لك لم

1() الأمالي للطوسي ص : 526.

2() الأمالي للطوسي ص : 526.

تندم على ما فرطت في اليوم.. يا أبا ذر، كم من مستقبل يوما لا يستكمله ومنتظر غدا لا يبلغه.. يا أبا ذر، لو نظرت إلى الأجل ومسيره لأبغضت الأمل وغروره.. يا أبا ذر، كن في الدنيا كأنك غريبا وكعابر سبيل، وعد نفسك في أهل القبور.. يا أبا ذر، إذا أصبحت فلا تحدث نفسك بالمساء، وإذا أمسيت فلا تحدث نفسك بالصباح، وخذ من صحتك قبل سقمك، ومن حياتك قبل موتك، فإنك لا تدري ما اسمك غدا.. يا أبا ذر، إياك أن تدركك الصرعة عند الغرة فلا تمكن من الرجعة، ولا يحمدك من خلفت بما تركت، ولا يعذرك من تقدم عليه بما به اشتغلت.. يا أبا ذر، ما رأيت كالنار نام هاربها، ولا مثل الجنة نام طالبها)[1]

ودعاك للشح بدينك لعلمه بالإغراءات التي ستتعرض لها، فقال: (يا أبا ذر، كن على عمرك أشح منك على درهمك ودينارك. يا أبا ذر، هل ينتظر أحدكم إلا غنى مطغيا، أو فقيرا منسيا، أو مرضا مضنيا، أو هرما مفندا، أو موتا محيرا أو الدجال فإنه شر غائب ينتظر، أو الساعة والساعة أدهى وأمر) [2]

ودعاك إلى حفظ علمك حتى لا يسرقه اللصوص والشياطين والأهواء، فقال: (يا أبا ذر، إن شر الناس عند الله تعالى يوم القيامة عالم لا ينتفع بعلمه، ومن طلب علما ليصرف به وجوه الناس إليه لم يجد ريح الجنة.. يا أبا ذر، إذا سئلت عن علم لا تعلمه فقل لا أعلمه. تنج من تبعته، ولا تفت الناس بما لا علم لك به تنج من عذاب يوم القيامة) [3]

ودعاك إلى أن تمثل الإسلام الأصيل بعملك قبل أن تمثله بقولك، فقال: (يا أبا ذر، يطلع قوم من أهل الجنة إلى قوم من أهل النار فيقولون ما أدخلكم النار، وإنما دخلنا الجنة بفضل تأديبكم وتعليمكم فيقولون إنا كنا نأمركم بالخير ولا نفعله) [4]

ودعاك إلى تجديد التوبة كل حين، فحق الله أعظم من أن يؤدى، فقال: (يا أبا ذر، إن حقوق الله أعظم من أن يقوم بها العباد، وإن نعم الله عز وجل أكثر من أن يحصيها العباد، ولكن أمسوا تائبين وأصبحوا تائبين. يا أبا ذر، إنكم في ممر الليل

---

1 () الأمالي للطوسي ص: 527

2 () المرجع السابق.

3 () المرجع السابق.

4 () المرجع السابق.

والنهار في آجال منقوصة وأعمال محفوظة، والموت يأتي بغتة، فمن يزرع خيرا يوشك أن يحصد رغبة، ومن يزرع شـرا يوشـك أن يحصد ندامة، ولكل زارع ما زرع) [1]

ودعـاك إلى تحقيـق العبوديـة للـه، والتسـليم لـه، وعـدم الحرص على ما لم يكتب لك، فقال: (يا أبا ذر، لا يسـبق بطي ء بحظه، ولا يدرك حريص ما لم يقدر له، ومن أعطى خـيرا فالله عز وجل أعطاه، ومن وقى شرا فإن الله وقاه) [2]

ودعاك إلى التمييز بين الصالحين وغـيرهم، فقـال: (يـا أبـا ذر، المتقون سادة، والفقهاء قادة، ومجالستهم زيادة) [3]

ودعاك إلى الحذر من الـذنوب، فهي المنفـذ الـذي ولج بـه الشيطان لهذه الأمة، حين دعاهـا إلى الإرجـاء، وغرهـا بالأمـاني الكاذبـة، فقـال: (يـا أبـا ذر، إن المـؤمن لـيرى ذنبـه كأنـه تحت صخرة يخاف أن تقع عليه، والكافر يرى ذنبه كأنه ذباب مر على أنفه. يا أبا ذر، إن الله إذا أراد بعبد خيرا جعل الذنوب بين عينيه ممثلة. يا أبا ذر، لا تنظر إلى صغر الخطيئة ولكن انظـر إلى من عصـيت. يـا أبـا ذر، إن نفس المـؤمن أشـد تقلبـا وخيفـة من العصفور حين يقذف بـه في شـرك. يـا أبـا ذر، من وافـق قولـه فعله فذاك الـذي أصـاب حظـه، ومن خـالف قولـه فعلـه فـذلك المرء إنما يوبخ نفسه. يا أبا ذر، إن الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه. يا أبا ذر، إنك إذا طلبت شـيئا من الآخـرة واتبعتـه تيسـر لك، وإذا رأيت شيئا من أمـر الـدنيا واتبعتـه عسـر عليـك، فإنـك على حال خشيته) [4]

ودعاك إلى حفظ اللسان وتجنب آفاته، فقال: (يا أبا ذر، لا تنطق فيما لا يعنيك فإنك لست منـه في شـيء، واحـرز لسـانك كما تحرز رزقك) [5]

ودعاك إلى رفـع همتـك لتنـال الـدرجات العليـا في الجنـة، فقال: (يا أبا ذر، إن الله جل ثناؤه ليدخل قومـا الجنـة فيعطيهم حـتى تنتهي أمـانيهم، وفـوقهم قـوم في الـدرجات العلى، فـإذا

---

1 () المرجع السابق.

2 () المرجع السابق.

3 () المرجع السابق.

4 () الأمالي للطوسي ص: 528.

5 () المرجع السابق.

نظروا إليهم عرفوهم فيقولون ربنا إخواننا كنا معهم في الـدنيا، فبم فضـلتهم علينـا؟ فيقـال هيهـات، إنهم كـانوا يجوعـون حين تشــبعون، ويظمئــون حين تــروون، ويقومــون حين تنــامون، ويشخصون حين تخفضون) (1)

ودعـاك إلى الاهتمـام بالصـلاة وتعظيمهـا ومحبتهـا، وعـدم الاكتفاء بالأداء الشـكلي لهـا، وضـرب لـك المثـل عن نفسـه ﷺ لترتفع همتك لما ارتفعت له همة حبيبـك، فقـال: (يـا أبـا ذر، إن الله تعالى جعل قرة عيني في الصلاة وحببها إلي كما حبب إلى الجائع الطعام، وإلى الظمآن الماء، فإن الجائع إذا أكـل الطعـام شبع، وإذا شرب الماء روي، وأنا لا أشبع من الصلاة) (2)

ودعاك إلى تعلم مقاصد الصـلاة حـتى تؤديهـا مراعيـا لهـا، فقـال: (يـا أبـا ذر، إنـك مـا دمت في الصـلاة فإنـك تقـرع بـاب الملك، ومن يكثر قرع باب الملك يفتح. يا أبا ذر، مـا من مـؤمن يقوم إلى الصلاة إلا تناثر عليه البر ما بينه وبين العـرش، ووكـل به ملك ينادي يا ابن آدم، لو تعلم ما لك في صلاتك ومن تنـاجي ما سـئمت ولا التفت.. يـا أبـا ذر، طـوبى لأصـحاب الألويـة يـوم القيامــة، يحملونهــا فيســبقون النــاس إلى الجنــة، ألا وهم السابقون إلى المسـاجد بالأسـحار وغيرهـا. يـا أبـا ذر، لا تجعـل بيتك قبرا، واجعل فيه من صلاتك يضئ ء بها قبرك) (3)

ودعــاك إلى الحــرص على كــل أعمــال الخــير، ومراعــاة مراتبها، فقال: (يا أبـا ذر، الصـلاة عمـود الـدين واللسـان أكـبر، والصدقة تمحو الخطيئة واللسان أكبر) (4)

ودعاك إلى رفع همتك لتنال الدرجات العليا، فقال: (يـا أبـا ذر، الدرجة في الجنـة فـوق الدرجـة كمـا بين السـماء والأرض، وإن العبد ليرفع بصره فيلمع له نور يكاد يخطف بصـره، فيفـرح فيقول ما هذا فيقال هذا نـور أخيـك المـؤمن. فيقـول هـذا أخي فلان، كنا نعمل جميعا في الدنيا، وقـد فضـل علي هكـذا فيقـال إنه كان أفضل منك عملا، ثم يجعل في قلبه الرضا حتى يرضى)

1() المرجع السابق.

2() المرجع السابق.

3() الأمالي للطوسي ص: 529.

4() المرجع السابق.

(1)

ودعـاك إلى الزهـد في الـدنيا، فلا ينـال الآخـرة ودرجاتهـا العليـا من حـرص على الـدنيا، فقـال: (يـا أبـا ذر، الـدنيا سـجن المؤمن وجنـة الكـافر، ومـا أصـبح فيهـا مـؤمن إلا وهـو حـزين، وكيف لا يحزن المؤمن وقد أوعده الله أنه وارد جهنم ولم يعـده أنه صادر عنها) (2)

ودعاك إلى البكـاء ليتطهـر قلبـك من كـل أدرانـه، ويصـبح صالحا للمعاني السامية، فقال: (يـا أبـا ذر، ومن أوتي من العلم ما لا يعمل به لحقيق أن يكون أوتي علما لا ينفعه الله عز وجـل به، لأن الله جل ثناؤه نعت العلماء فقال إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا (107) وَيَقُولُـونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُـولًا (108) وَيَخِـرُّونَ لِلْأَذْقَـانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا [الإسراء: 107 ـ 109] يا أبا ذر، من اسـتطاع أن يبكي قلبـه فليبـك، ومن لم يسـتطع فليشـعر قلبـه الحـزن، وليتبـاك.. يـا أبـا ذر، إن القلب القاسـي بعيـد من اللـه ولكن لا تشعرون) (3)

ودعـاك إلى الإخلاص والصـدق مـع اللـه، والبعـد عن كـل مظـاهر الشـرك الخفي، فقـال: (يـا أبـا ذر، مـا من خطيب إلا عرضت عليه خطبته يوم القيامة وما أراد بها. يا أبا ذر، إن صلاة النافلـة في السـر تفضـل على العلانيـة كفضـل الفريضـة على النافلة. يا أبا ذر، ما يتقـرب العبـد إلى اللـه بشـي ء أفضـل من السجود) (4)

ودعاك إلى الخوف والرجاء، حتى لا تيأس من رحمة اللـه، ولا تأمن من ذنوبك، فقال: (يـا أبـا ذر، يقـول اللـه عـز وجـل: لا أجمع على عبدي خوفين، ولا أجمع له أمنين، فإذا أمنـني أخفتـه يوم القيامة، وإذا خافني أمنتـه يـوم القيامـة.. يـا أبـا ذر، لـو أن رجلا كان له مثل عمل سبعين نبيا لاحتقـره وخشـي أن لا ينجـو من شر يوم القيامة.. يا أبا ذر، إن العبد لتعرض عليه ذنوبه يـوم القيامة فيقول: أما إني قد كنت منك مشفقا، فيغفر لـه.. يـا أبـا

1() المرجع السابق.

2() المرجع السابق.

3() الأمالي للطوسي ص: 530.

4() المرجع السابق.

ذر، إن الرجل ليعمل الحسنة فيتكل عليها، ويعمل المحقرات فيأتي الله عز وجل وهو من الأشقياء، وإن الرجل ليعمل السيئة فيفرق منها فيأتي الله عز وجل آمنا يوم القيامة) [1]

ودعاك إلى اليقظة والعزيمة والحرص على العمل الصالح، والتي تفتح لك جميع أبواب الإرادة، فقال لك: (يا أبا ذر، إن الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من اتبع نفسه وهواها، وتمنى على الله عز وجل الأماني. يا أبا ذر، إن أول شيء يرفع من هذه الأمة الأمانة والخشوع حتى لا تكاد ترى خاشعا) [2]

ثم حذرك من الدنيا، وفتنها، فقال: (يا أبا ذر، والذي نفس محمد بيده لو أن الدنيا كانت تعدل عند الله عز وجل جناح بعوضة ما سقى الكافر والفاجر منها شربة من ماء.. يا أبا ذر، إن الدنيا ملعونة، ملعون ما فيها إلا ما ابتغى به وجه الله عز وجل.. يا أبا ذر، ما من شيء أبغض إلى الله من الدنيا، خلقها ثم أعرض عنها فلم ينظر إليها، ولا ينظر إليها حتى تقوم الساعة، وما من شيء أحب إلى الله تعالى من الإيمان به وترك ما أمر أن يترك.. يا أبا ذر، إن الله تعالى أوحى إلى أخي عيسى عليه السلام: يا عيسى، لا تحب الدنيا فإني لست أحبها، وأحب الآخرة فإنها دار المعاد.. يا أبا ذر، إن جبريل عليه السلام أتاني بخزائن الدنيا، فقال: يا محمد إن هذه خزائن الأرض ولا تنقصك من حظك عند ربك تعالى، فقلت: حبيبي جبرئيل، لا حاجة لي فيها، إذا شبعت شكرت ربي، وإذا جعت سألته)[3]

ودعاك إلى الزهد، فقال: (يا أبا ذر، إذا أراد الله بعبد خيرا فقهه في الدين، وزهده في الدنيا، وبصره بعيوب نفسه.. يا أبا ذر، ما زهد عبد في الدنيا إلا أثبت الله الحكمة في قلبه، وأنطق بها لسانه، وبصره عيوب الدنيا وداءها ودواءها، وأخرجه منها سالما إلى دار السلام.. يا أبا ذر، إذا رأيت أخاك قد زهد في الدنيا فاستمع منه، فإنه يلقي إليك الحكمة) [4]

فقلت: يا رسول الله، من أزهد الناس، فقال: (من لم

1() المرجع السابق.

2() المرجع السابق.

3() الأمالي للطوسي ص: 531.

4() المرجع السابق.

ينس المقابر والبلى، وترك ما يفنى لما يبقى، ومن لم يعد غدا من أيامه، وعد نفسه في الموتى)

ثم قال لك رسول الله ﷺ يدعوك إلى التأسي به في زهده: (يا أبا ذر، إن الله تعالى لم يوح إلي أن أجمع المال، لكن أوحى إلي أن ﴿سَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ (98) وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحجر: 98ـ 99].. يا أبا ذر، إني ألبس الغليظ، وأجلس على الأرض، وأركب الحمار بغير سرج، وأردف خلفي، فمن رغب عن سنتي فليس مني)[1]

ودعاك إلى الحذر من كل الآفات التي تبعدك عن ربك، فقال: (يا أبا ذر، حب المال والشرف مذهب لدين الرجل)، فقلت: يا رسول الله، الخائفون الخاضعون المتواضعون الذاكرون الله كثيرا يستبقون الناس إلى الجنة، قال: (لا، ولكن فقراء المؤمنين، فإنهم يأتون يوم القيامة فيتخطون رقاب الناس، فيقول لهم خزنة الجنة كما أنتم حتى تحاسبوا. فيقولون بم نحاسب فو الله ما ملكنا حتى نجور ونعدل، ولا أفيض علينا فنقبض ونبسط، ولكنا عبدنا ربنا حتى أتانا اليقين.. يا أبا ذر، إن الدنيا مشغلة للقلب والبدن، فإن الله عز وجل يسأل أهل الدنيا عما نعموا في حلالها، فكيف بما نعموا في حرامها يا أبا ذر، إني قد سألت الله عز وجل أن يجعل رزق من أحبني الكفاف، ويعطي من أبغضني المال والبنين) [2]

ودعاك إلى التأسي بالزهاد والصالحين، لا بأهل الدنيا، فقال: (يا أبا ذر، طوبى للزاهدين في الدنيا، الراغبين في الآخرة، الذين اتخذوا أرض الله بساطا، وترابها فراشا، وماءها طيبا، واتخذوا الكتاب شعارا، والدعاء لله دثارا، وقرضوا الدنيا قرضا.. يا أبا ذر، إن حرث الآخرة العمل الصالح، وحرث الدنيا المال والبنون.. يا أبا ذر، إن رب يتبارك اسمه أخبرني، فقال: وعزتي وجلالي، ما أدرك العابدون درك البكاء عندي شيئا، وإني لأبني لهم في الرفيق الأعلى قصرا لا يشاركهم فيه أحد) [3]

وحذرك من أن يصرفك الدعاء عن العمل، فقال: (يا أبا ذر: يكفي من الدعاء مع البر، ما يكفي الطعام من الملح.. يا أبا

---

1 () الأمالي للطوسي ص: 532.

2 () المرجع السابق.

3 () المرجع السابق.

ذر: مثل الذي يدعو بغير عمل كمثل الذي يرمي بغير وتر) [1]

ثم بين لك دور العمل الصالح في حفظك وحفظ كل من يرتبط بك، فقال: (يا أبا ذر: إن الله تعالى يُصلح بصلاح العبد ولده وولد ولده، ويحفظه الله في دويرته والدور حوله ما دام فيهم) [2]

ودعاك إلى الالتزام بقيم الدين وشرائعه، من غير أن تنظر في موافقة الناس لك، قناعة بعلم الله ورؤيته، فقال: (يا أبا ذر: إن ربك عز وجل يباهي الملائكة بثلاثة نفر. رجل يصبح في أرض قفر فيؤذِّن ثم يقيم ثم يصلي، فيقول ربك عز وجل للملائكة: انظروا إلى عبدي يصلي ولا يراه أحد غيري، فينزل سبعون ألف ملك يُصلُّون وراءه ويستغفرون له إلى الغد من ذلك اليوم. ورجل قام من الليل فصلى وحده، فسجد ونام وهو ساجد. فيقول الله انظروا إلى عبدي روحه عندي وجسده ساجد. ورجل في زَحف، فيفرّ أصحابه ويثبت هو يقاتل حتى يقتل) [3]

ودعاك إلى احترام الكائنات من حولك، وأخبرك عن حياتها، وعن علاقتك بها، وعلاقتها بك، فقال: (يا أبا ذر: ما من رجل يجعل جبهته في بقعة من بقاع الأرض إلا شهدت له بها. وما من منزل ينزله قوم، إلا أصبح ذلك المنزل يصلي عليهم أو يلعنهم.. يا أبا ذر: ما من صباح ولا رواح إلا وبقاع الأرض تنادي بعضها بعضا: يا جارة، هل مرّ بك اليوم ذاكر لله تعالى، أو عبد وضع جبهته عليك ساجداً لله تعالى، فمن قائلة: لا. ومن قائلة نعم. فاذا قالت نعم: اهتزت وابتهجت وترى أن لها فضلا على جارتها) [4]

وأخبرك عن آثار الذنوب، ومحقها للبركات، فقال: (يا أبا ذر: إن الله لما خلق الأرض، وخلق ما فيها من الشجر لم يكن في الأرض شجرة يأتيها بنو آدم إلا أصابوا منها منفعة، فلم تزل الأرض والشجر كذلك. حتى تكلم فجرة بني آدم بالكلمة العظيمة قولهم: ﴿اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ ﴾ [البقرة: 116]، فلما

1() المرجع السابق.

2() المرجع السابق.

3() المرجع السابق.

4() المرجع السابق.

قالوا، اقشعرت الأرض، وذهبت منفعة الأشجار.. يا أبا ذر: إن الأرض لتبكي على المؤمن اذا مات أربعين صباحاً) [1]

وأخبرك عن علاقة الملائكة بك، وصحبتهم لك، فقال: (يا أبا ذر: اذا كان العبد في أرض قي ـ يعني قفر ـ فتوضأ، أو تيمم، ثم أذَّن وأقام وصلى، أمر الله عز وجل الملائكة فصفوا خلفه صفاً لا يرى طرفاه، يركعون بركوعه، ويسجدون بسجوده، ويؤمِّنون على دعائه.. يا أبا ذر: من أقام ولم يؤذِّن، لم يصل معه إلا ملكاه اللذان معه) [2]

وهكذا لقنك الكثير من درر الحكمة، فقال: (يا أبا ذر: ما عَمِلَ، من لم يحفظ لسانه.. يا أبا ذر: ما مِن شابّ يدَع لذة الدنيا ولهوها، وأهرَمَ شبابه في طاعة الله، إلا أعطاه الله أجر اثنين وسبعين صِدِّيقاً.. يا أبا ذر: الذاكر في الغافلين كالمقاتل في الفارّين) [3]

وعلمك آداب الصحبة وشروطها، فقال: (يا أبا ذر: الجليس الصالح، خير من الوحدة. والوحدة خير من جليس السوء. وإملاء الخير، خير من السكوت، والسكوت خير من إملاء الشر.. يا أبا ذر: لا تصاحب إلا مؤمناً، ولا يأكل طعامك إلا تقي، ولا تأكل طعام الفاسقين.. يا أبا ذر: أطعم طعامك من تحبه في الله، وكل طعام من يحبك في الله) [4]

وعلمك علوم اللسان وآفاته، فقال: (يا أبا ذر: إن الله عند لسان كل قائل، فليتق الله أمرؤ وليعلم ما يقول.. يا أبا ذر: اترك فضول الكلام، وحسبك من الكلام ما تبلغ به حاجتك.. يا أبا ذر: كفى بالمرء كذباً أن يتحدث بكل ما يسمع.. يا أبا ذر: ما من شيء أحق بطول السجن من اللسان) [5]

وعلمك علوم العلاقات الاجتماعية والعامة، فقال: (يا أبا ذر: إن من إجلال الله، إكرام ذي الشَيبَة المسلم، وإكرام حملة القرآن العاملين به، وإكرام السلطان المقسط.. يا أبا ذر: لا تكن عيَّاباً ولا مدّاحاً ولا طعَّاناً، ولا محاربا.. يا أبا ذر: لا يزال

---

1 () المرجع السابق.

2 () المرجع السابق.

3 () المرجع السابق.

4 () المرجع السابق.

5 () المرجع السابق.

العبد يزداد من الله بُعداً ما سِيئ خُلُقُهُ.. يا أبا ذر: الكلمة الطيبة صدقة. وكل خطوة يخطوها إلى الصلاة صدقة)[1]

وعلمك كيفية تقديس المساجد، وتعظيم شعائر الله، فقال: (يا أبا ذر: إن الله يعطيك ـ ما دمت جالساً في المسجد ـ بكل نَفَس تتنفس فيه درجة في الجنة، وتصلي عليك الملائكة. ويُكتب لك بكل نفس تتنفس فيه عشر حسنات، وتُمحى عنك عشر سيئات) [2]

وحدثك عن قيمة التقوى، وكونها من أرفع القيم الإيمانية، فقال: (كن بالعمل بالتقوى، أشدَّ منك اهتماما بالعمل لغيره، فانه لا يقلّ عمل بالتقوى، وكيف يقلّ ما يُتقبل، لقول الله عز وجل: إنما يتقبل الله مِنَ المتَّقين.. يا أبا ذر: لا يكون الرجل من المتقين، حتى يحاسِبَ نفسه أشد مِن محاسبة الشَّريك فيعلم من أين مطعمه، ومن أين مشربه، ومن أين ملبسه، أمِن حلّ أم من حرام؟.. يا أبا ذر: من لم يبالِ من أين إكتسب المال، لم يبالِ الله من أين أدخله النار.. يا أبا ذر: أحبُّكم إلى الله عز وجلَ، أكثركم ذكراً له، وأكرمكم عند الله أتقاكم، وأنجاكم من عذاب الله، أشدّكم خوفاً له.. يا أبا ذر: إن المتقين الذين يتقون الله من الشيء الذي لا يُتَّقى منه خوفاً من الدخول في الشبهة) [3]

وعلمك علوم الورع وأصوله وفروعه، فقال: (يا أبا ذر: من أطاع الله عز وجل فقد ذكر اللهَ، وان قلَّت صلاته وصِيامه، وتلاوة القرآن.. يا أبا ذر: أصل الدين الورع، ورأسُهُ الطَّاعة.. يا أبا ذر: كن ورِعاً تكن أعبد الناس، وخير دينكم الورَعُ.. يا أبا ذر: فضل العِلم خير من فضلِ العِبادةِ، واعلم أنكم لو صليتم حتى تكونوا كالحنايا، وصمتم حتى تكونوا كالأوتار، ما نفعكم ذلك إلا بِوَرَع.. يا أبا ذر: إن أهل الورع والزهد في الدنيا، هم أولياء الله حقاً) [4]

وعلمك علوم التوكل على الله والثقة فيه، فقال: (يا أبا ذر: إن سرَّك أن تكون أقوى الناس، فتوكل على الله، وان

1() المرجع السابق.

2() المرجع السابق.

3() المرجع السابق.

4() المرجع السابق.

سرّك أن تكون أكـرم النـاس فـاتق اللـه. وإن سـرّك أن تكـون أغنى الناس، فكن بما في يد الله عز وجـل أوثـق منـك بمـا في يدك.. يا أبـا ذر: لـو أن النـاس كلّهم أخـذوا بهـذه الآيـة لكفتهم: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَـلْ لَـهُ مَخْرَجًـا (2) وَيَرْزُقْـهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْـرِهِ قَـدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴾ [الطلاق: 2، 3]) (1)

ودعاك إلى إيثار الله في كـل شـؤونك، فقـال: (يـا أبـا ذر: يقول الله تعالى: لا يؤثر عبدي هواي على هـواه إلاّ جَعلتُ غِنـاه في نفســه وهمومــه في آخرتــه، وضــمِنَت الســموات والأرض رزقه، وكففت عليه ضيعته، وكنت له من وراء تجارة كل تـاجر.. يـا أبـا ذر: لـو أن ابن آدم فـرَّ من رزقـه كمـا يفـرّ من المـوت، لأدركه رزقه كما يدركه الموت) (2)

ودعاك إلى اللجوء إلى الله في كل حالاتك، فقـال: (يـا أبـا ذر: ألا أعلّمك كلمات ينفعك الله عز وجل بهنّ؟)، فقلت: بلى يا رسول الله.. فقـال ﷺ: (احفـظ اللـه تجـده أمامـك. تعـرَّف إلى الله تعالى في الرخاء، يَعرِفك في الشِّـدّة، واذا سـألت، فاسـأل الله، واذا استغنيت، فاستغنِ بالله، فقد جرى القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة، ولو أن الخَلق كلهم جهدوا أن ينفعـوك بشـيء لم يكتبه الله لك، ما قدِروا عليه، فـان اسـتطعت أن تعمـل للـهِ تعالى بالرضا واليقين، فافعل، فان لم تستطع فاصـبِر، فـإنَّ في الصبر على ما تكره خيراً كثيراً، وانّ النصر مـع الصـبر، والفـرج مع الكرب، وان مع العسر يسراً) (3)

وحـذرك من الكـذب وعواقبـه، فقـال: (إنّ الرجـل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله تعالى، فيكتب له بها رضـوانه إلى يـوم القيامة. وان الرجل ليتكلم بالكلمة في المجلس ليضحكهم بهـا، فيهوي في جهنم ما بين السماء والأرض.. يا أبـا ذر: ويـل للـذي يتحدث فيكذب ليضحِكَ به القوم، ويل له. ويل له. ويل له) (4)

وحــذرك من الغيبــة وعواقبهــا، وبين لــك مــا يقابلهــا من الأعمال، فقال: (يـا أبـا ذر: من ذَبَّ عن أخيـه المسـلم المـؤمنِ

1() المرجع السابق.

2() المرجع السابق.

3() المرجع السابق.

4() المرجع السابق.

الغيبة، كان حقّاً على اللهِ جل ثناؤه أن يعتقه من النار.. يا أبا ذر: من اغتيب عنده أخوه المسلم، وهو يستطيع نصره فَنَصره، نصره الله عز وجل في الدنيا والآخرة، وإن خذله وهو يستطيع نصره، خذله الله في الدنيا والآخرة) (1)

وحذرك من النميمة وعواقبها، وبين لك ما يقابلها من الأعمال، فقال: (يا أبا ذر: صاحب النميمة لا يستريح من عذاب الله عز وجل في الآخرة.. يا أبا ذر: من كان ذا وجهين ولسانيين في الدنيا، فهو ذو لسانيين في النار.. يا أبا ذر: المجلس بالأمانة، وإفشاؤك سرَّ أخيك خيانة، فاجتنب ذلك، واجتنب مجلس العشيرة) (2)

وحذرك من القطيعة وعواقبها، وبين لك ما يقابلها من الأعمال، فقال: (يا أبا ذر: تَعرض أعمال أهل الدنيا على الله عزَّ وجل من الجمعة إلى الجمعة، وفي كل يوم الاثنين والخميس، فيغفر لكل عبد مؤمن، إلا عبداً كانت بينه وبين أخيه شحناء، فيقول: اتركوا أعمال هذين حتى يصطلحا.. يا أبا ذر: إياك، وهجران أخيك، فان العمل لا يُتَقبَّل مع الهجران، فان كنت لا بد فاعلا فلا هجرة أكثر من ثلاثة أيام كملا. فمن مات فيها مهاجراً لأخيه، كانت النار أولى به) (3)

وحذرك من الكبر الذي هو السبب الأكبر في كل قطيعة، فقال: (يا أبا ذر: من أحبَّ أن يَمثلَ له الرجال قياماً، فليتبوأ مقعده من النار.. يا أبا ذر: من مات وفي قلبه مثقال ذرة من كبر، لم يجد رائحة الجنة إلا أن يتوب قبل ذلك) (4)

2. العمل بالحق:

لقد كانت كل تلك المعاني النبيلة التي تضمنتها وصايا رسول الله ﷺ لك نبراسا يضيء حياتك جميعا، حيث تمثلتها، فصرت أسوة للمؤمنين، وقدوة للصالحين، ممتلئا بكل معاني الإيمان والأخلاق الرفيعة، والشجاعة النادرة، والتضحية الفذة.

وفي الوقت الذي غرق فيه الكثير في طوفان الدنيا الذي فتح لهم، كنت في قمة الزهد والورع والتقوى، لأن تلك الوصايا

1() المرجع السابق.

2() المرجع السابق.

3() المرجع السابق.

4() المرجع السابق.

النبوية كانت هي البرهان والنور الذي ملأ عليك كيانك، فحجـزك من الغرق في ذلك الطوفان..

ولـذلك كنت تقـول بثقـة عظيمـة، وفـرح عظيم، للـذين اغتالتهم الدنيا، فبدلوا كثـيرا: (إني لأقـربكم مجلسـا من رسـول الله ﷺ يوم القيامة، وذلـك أني سـمعت رسـول اللـه ﷺ يقـول: (إن أقربكم مني مجلسا يوم القيامة من خـرج من الـدنيا كهيئـة مـا تركتـه فيهـا)، وإنـه واللـه مـا منكم من أحـد إلا وقـد تشـبث بشيء منها غيري) (1)

وأنت لا تقصد من ذلك ـ سيدي ــ الفخـر ولا الخيلاء، وإنمـا كنت تقصـد دلالتهم على الحـق، مخافـة أن يبـدلوه.. وقـد فعـل الكثير منهم ذلك عندما جاءتهم الدنيا ببهرجها وزخارفها، ولـذلك كنت تصرخ فيهم كل حين بالدعوة للحق والهدى وعدم تحريـف الدين.

لقد روى المؤرخون أن حبيب بن مسـلمة، بعث إليـك حين كان أميرا للشام، بثلاثمائـة دينـار، عنـدما رأى حاجتـك وفاقتـك، فرددتها إليه، وأنت تقول لرسوله: (ارجع بها إليه، أما وجد أحـدا أغر بالله منـا؟ مـا لنـا إلا ظـل نتـوارى بـه، وثلـة من غنم تـروح علينـا، ومـولاة لنـا تصـدقت علينـا بخـدمتها، ثم إني لأتخـوف الفضل) (2)

وبعث لك آخر بمثلها، فرددتها، وقلت: (مـا وجـد عبـدا للـه تعالى هو أهون عليه مني؟ سمعت رسـول اللـه ﷺ يقـول: (من سـأل ولـه أربعـون فقـد ألحـف)، ولآل أبي ذر أربعـون درهمـا، وأربعون شاة، وماهنان) (3)

لقد كنت تعلم أن كل التحريفات التي حصلت للدين سـببها أهـواء الـدنيا، والتكـالب على شـهواتها، ولـذلك كنت تـدعو إلى الزهد بلسانك وفعالك، وقد قلت لمن نصحك أن تتخذ الضـيعات التي اتخذها غيرك: (وما أصنع بـأن أكـون أمـيرا؟ وإنمـا يكفيـني كل يوم شربة ماء أو لبن، وفي الجمعة قفيز من قمح) (4)

وكنت تقـول لهم: (كـان قـوتي على عهـد رسـول اللـه ﷺ

1() حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (1/ 161)

2() المرجع السابق.

3() المرجع السابق.

4() المرجع السابق.

صاعا، فلا أزيد عليه حتى ألقى الله عز وجل) [1]

ورآك بعضهم في منفاك بصحراء الربذة في ظلة سوداء، ومعك زوجتك الوفية، وعندما رأى كبر سنها نصحك بأن تتزوج، فقلت له: (لأن أتزوج امرأة تضعني أحب إلي من امرأة ترفعني) [2]

وجاءك رجل، فعرض عليك نفقة، فقلت: (عندنا أعنز نحلبها، وحمر تنقل، ومحررة تخدمنا، وفضل عباءة عن كسوتنا، وإني أخاف أن أحاسب على الفضل) [3]

وهكذا قضيت حياتك على العهد الذي عاهدت به رسول الله ﷺ، لم تغير ولم تبدل، ولم تسلبك الدنيا، ولم تغرك الأهواء.

وكانت عبوديتك الأكبر ـ سيدي ـ ما عبر عنه الإمام الصادق بقوله: (كان أكثر عبادة أبي ذر (رحمه الله) خصلتين: التفكر والاعتبار) [4]

3. نصرة الحق:

وقد كان ذلك الحال الذي كنت عليه من الزهد والورع والتقوى أقوى لسان واعظ، عرفت به أجيال الأمة الصحبة الحقيقية لرسول الله ﷺ، والتي حاول الطلقاء والمبدلون تشويهها، ليشوهوا معها نور النبوة.

بل قد ورد في الحديث ما هو أكبر من ذلك، فقد شبه رسول الله ﷺ صيحاتك بالحق، وزهدك في الدنيا بعيسى عليه السلام، فقال: (ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء من ذي لهجة أصدق من أبي ذر، شبيه عيسى ابن مريم)، فقال عمر: يا رسول الله، أفنعرف ذلك له؟. قال: (نعم، فاعرفوه)[5]

وفي حديث آخر: (أبو ذر يمشي في الأرض بزهد عيسى ابن مريم)[6]

وهكذا مثلما صاح المسيح في أصحاب الثروة من

---

1 () المرجع السابق.

2 () المرجع السابق.

3 () المرجع السابق.

4 () الخصال: ١ / 42 ح 33.

5 () الترمذي 2 ـ 221..

6 () الاستيعاب 1 ـ 83 ، وأسد الغابة 5 ـ 188 ، والإصابة 4 ـ 164..

المتاجرين بالـدين، رحت تصـيح في المغـيرين والمبـدلين قـائلا: (أوصـاني خليلي ﷺ بسـت: حب المسـاكين، وأن أنظـر إلى من هو تحتي، ولا أنظر إلى من هو فوقي، وأن أقول الحق وإن كان مرا، وأن لا تأخذني في الله لومة لائم) (1)

وكنت تذكرهم بالإسلام الإلهي المحمدي الأصيل الذي يثور على الاستكبار والاستبداد وطغيان الثروة، وينصر المستضعفين.

وكنت تحذر بشدة من تسلل القارونيـة إلى الإسـلام.. تلـك التي أهلكت الأمم السابقة، وحولت دينهم إلى رأسمالية بشـعة، وإقطاعية ظالمة..

فـإن جـادلوك في ذلـك ذكـرت لهم أن هـذا الموقـف من القارونية ليس من عندك، وإنمـا هـو من وصـايا رسـول اللـه ﷺ لك.. لقد كنت تقول لهم: (إن خليلي ﷺ عهد إلي أنه أيمــا ذهب أو فضة أوكئ عليه فهو جمر على صاحبه حتى ينفقه في سـبيل الله عز وجل) (2)

لقد كـانت أحاديثـك في هـذا مفتاحـا يمـيز الإسـلام الإلهي المحمدي من كـل ذلـك الـران الـذي طغـا عليـه، والـذي جعلـه يتحـول إلى دين ملـوك وجبـابرة وأثريـاء، وليس دين البسـطاء والزهاد والمتواضعين.

وبما أنك كنت تتألم لذلك الواقع الجديد الذي آل إليه حــال المسلمين، فقد كنت تصيح في كـل مكـان، وأمـام كـل النـاس، تدعوهم إلى العودة إلى الإسلام الأصيل، وتستعمل في ذلك كل ما علمك رسول الله ﷺ من الحكمة والموعظة الحسنة.

لقد كنت تقول لهم: (والله لو تعلمون ما أعلم ما انبسطتم إلى نسائكم، ولا تقاررتم على فرشكم، والله لوددت أن الله عز وجل خلقني يوم خلقني شجرة تعضد ويؤكل ثمرها)(3)

وكنت تقول: (هل ترى الناس ما أكثرهم، مـا فيهم خـير إلا تقي أو تائب) (4)

وروى بعضهم أنك وقفت عند الكعبة، ورحت تقول: (يا أيها الناس أنـا جنـدب الغفـاري، هلمـوا إلى الأخ الناصـح الشـفيق)،

---

1 () حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (1/ 159)

2 () المرجع السابق(1/ 162)

3 () المرجع السابق(1/ 164)

4 () المرجع السابق.

وحين اجتمع الناس إليك قلت لهم: أرأيتم لو أن أحدكم أراد سفرا، أليس يتخذ من الزاد ما يصلحه ويبلغه؟.. قالوا: بلى، فقلت: فسفر طريق القيامة أبعد ما تريدون، فخذوا منه ما يصلحكم، قالوا: وما يصلحنا؟ فقلت: (حجوا حجة لعظام الأمور، صوموا يوما شديدا حره لطول النشور، صلوا ركعتين في سواد الليل لوحشة القبور، كلمة خير تقولها أو كلمة سوء تسكت عنها لوقوف يوم عظيم، تصدق بمالك لعلك تنجو من عسيرها، اجعل الدنيا مجلسين: مجلسا في طلب الآخرة، ومجلسا في طلب الحلال، والثالث يضرك ولا ينفعك، لا تريده. اجعل المال درهمين: درهما تنفقه على عيالك من حله، ودرهما تقدمه لآخرتك، والثالث يضرك ولا ينفعك، لا تريده)، ثم رحت تنادي بأعلى صوتك: (يا أيها الناس قد قتلكم حرص لا تدركونه أبدا) (1)

وكنت تحض كل حين أولئك الذين أغرقتهم الدنيا في مستنقعاتها قائلا: (يولدون للموت، ويعمرون للخراب، ويحرصون على ما يفنى، ويتركون ما يبقى، ألا حبذا المكروهان: الموت والفقر) (2)

وكنت تحذرهم من كنز الأموال، وتقول لهم: (في المال ثلاثة شركاء: القدر لا يستأمرك أن يذهب بخيرها أو شرها من هلاك أو موت، والوارث ينتظر أن تضع رأسك ثم يستاقها، وأنت ذميم. فإن استطعت أن لا تكون أعجز الثلاثة فلا تكونن، فإن الله عز وجل يقول: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: 92]، ألا وإن هذا الجمل مما كنت أحب من مالي، فأحببت أن أقدمه لنفسي) (3)

وكنت تقول لهم: (ليأتين عليكم زمان يغبط الرجل فيه بخفة الحاذ كما يغبط اليوم فيكم أبو عشرة) (4)

وتقول لهم: (ذو الدرهمين أشد حسابا من ذي الدرهم) (5)

وقد ذكر الإمام الباقر بعض خطبك في الناس، ومنها

1() المرجع السابق.

2() المرجع السابق(1/ 163)

3() المرجع السابق.

4() المرجع السابق.

5() المرجع السابق.

قولك: (يـا مبتغى العلم، لا يشـغلك أهـل ولا مـال عن نفسـك.. أنت يوم تفارقهم كضيف بتَّ فيهم ثم غدوت إلى غيرهم. الـدنيا والآخرة كمنزل تحولت منه إلى غيره. ومـا بين البعث والمـوت، إلا كنومة نمتها، ثم استيقظت منها.. يـا جاهـل العلم تعلَّم، فـانَّ قلباً ليس فيه شرف العلم، كالبيت الخـراب الـذي لا عـامرَ لـه) (1)

ومنها قولك: (يا باغي العلم، قـدّم لمقامـك بين يـدي اللـه، فانك مرتهن بعملك، كما تدين تُدان.. يا بـاغي العلم، صـلِّ قبـل أن لا تقـدر على ليـل ولا نهـار تصـلي فيـه ! إنمـا مَثـلُ الصـلاة لصاحبها، كمثل رجل دخـل على ذي سـلطان فأنصـتَ لـه حـتى فرغ من حاجته. وكذا المرء المسلم بإذن الله عزَّ وجلّ، مـا دام في الصلاة، لم يزل اللـه عـز وجـل ينظـر إليـه حـتى يفـرغ من صلاته.. يـا بـاغي العلم، تصـدّق من قبـلِ أن لا تُعطى شـيئا، ولا جميعه، إنما مَثل الصدقة لصاحبها، مَثلُ رجـل طلبـه قـوم بـدم، فقـال لهم. لا تقتلـوني، اضـربوا لي أجلا أسـعى في رجـالكم ! كذلك المرء المسلم بإذن اللـه، كلمـا تصـدق بصـدقة، حـلَّ بهـا عقدة من رقبته، حتى يتوفى اللـه عـز وجـل أقوامـاً وهـو عنهم راض، ومن رضي اللـه عـز وجـل عنـه، فقـد أمن من النـار.. يـا باغي العلم، إن هذا اللسـان مفتـاح خـير، ومفتـاح شـر، فـاختم على فمك كما تختم على ذَهبـك وعلى وَرِقِـك.. يـا بـاغي العلم، إن هذه الأمثـال ضـربها اللـه عـز وجـل لِلنـاس، ومـا يعقلهـا إلا العالمون) (2)

وقــد كــانت تلــك الصــيحات الــتي تــدعو فيهــا الفقــراء والمستضعفين إلى المطالبة بحقوقهم، والثورة على المتكـبرين الكانزين للأموال سببا في حقدهم عليك، حتى أنهم هددوك بكل ما يهدد به المتكبرون المستضـعفين، وقـد ذكـرت ذلـك، فقلت: (إن بني أميـة تهـددني بـالفقر والقتـل، ولبطن الأرض أحب إلي من ظهرها، وللفقر أحب إلي من الغـنى)، فسـألك بعضـهم عن سر تلك التهديدات، وقال لك: يا أبـا ذر مـا لـك إذا جلسـت إلى قوم قاموا وتركوك؟ فقلت له: (إني أنهاهم عن الكنوز) (3)

---

1 () تنبيه الخواطر 2 / 274.

2 () تنبيه الخواطر ـ 2 / 316.

3 () حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (1/ 163)

وقد ذكر المؤرخون الروايات الكثيرة التي تذكر أسباب تلك التهديدات التي تعرضت لها، ومنها أن رجلا أتاك فقال: إن مصدقي عثمان ازدادوا علينا، أنغيب عنهم بقدر ما ازدادوا علينا؟ فقال: (لا، قف مالك، وقل ما كان لكم من حق فخذوه، وما كان باطلا فذروه، فما تعدوا عليك جعل في ميزانك يوم القيامة) (1)

وحين قلت هذا، سمعك بعض القرشيين الذين أرادو تحول الإسلام إلى دين لقريش وليس دينا لله تعالى: (أما نهاك أمير المؤمنين عن الفتيا؟)، فقلت له بكل قوة: (أرقيب أنت علي؟ فوالذي نفسي بيده لو وضعتم الصمصامة ههنا، ثم ظننت أني منفذ كلمة سمعتها من رسول الله ﷺ قبل أن تحتزوا لأنفذتها) (2)

ورووا أنك دخلت مجلسا، فوجدتهم يقتسمون مالا لبعض الأثرياء، وكان في المجلس عدوك اليهودي اللدود كعب الأحبار، والعجب أنهم بدل أن يسألوك، وأنت صاحب رسول الله ﷺ، وتلميذه، راحوا يسألون كعبا، فقالوا: ما تقول فيمن جمع هذا المال فكان يتصدق منه ويعطي في السبل ويفعل ويفعل؟ فقال كعب: إني لأرجو له خيرا، حينها غضبت من ذلك التحريف والتلاعب، ورفعت العصا على كعب، وأنت تقول: (وما يدريك يا ابن اليهودية؟ ليودن صاحب هذا المال يوم القيامة لو كانت عقارب تلسع السويداء من قلبه)(3)

وروى الأحنف بن قيس بعض مواقفك في نصرة الحق، وشدتهم عليك، فقال: جلست إلى ملإ من قريش، فجاء رجل خشن الشعر والثياب والهيئة، حتى قام عليهم فسلم، ثم قال: بشر الكانزين برضف يحمى عليه في نار جهنم، ثم يوضع على حلمة ثدي أحدهم حتى يخرج من نغض كتفه، ويوضع على نغض كتفه حتى يخرج من حلمة ثديه، يتزلزل، ثم ولى، فجلس إلى سارية، وتبعته وجلست إليه وأنا لا أدري من هو؟ فقلت له: لا أرى القوم إلا قد كرهوا الذي قلت، قال: إنهم لا يعقلون شيئا، قال لي خليلي، قال: قلت: من خليلك؟ قال النبي ﷺ: (يا أبا ذر

---

1 () المرجع السابق(1/ 160)

2 () المرجع السابق.

3 () حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (1/ 160)

أتبصر أحدا؟) قال: فنظرت إلى الشمس ما بقي من النهار، وأنا أرى أن رسول الله ﷺ يرسلني في حاجة له، قلت: نعم، قال: (ما أحب أن لي مثل أحد ذهبا، أنفقه كله، إلا ثلاثة دنانير) وإن هؤلاء لا يعقلون، إنما يجمعون الدنيا، لا والله، لا أسألهم دنيا، ولا أستفتيهم عن دين، حتى ألقى الله)[1]

وعندما قال لك: (ما لك ولإخوتك من قريش، لا تعتريهم وتصيب منهم)، قلت له بكل قوة: (لا، وربك، لا أسألهم عن دنيا، ولا أستفتيهم عن دين، حتى ألحق بالله ورسوله) [2]

وعندما كانوا يسألونك عن مصدر تلك الأحاديث التي تتحدث بها، والتي راح المستكبرون والمستبدون يوهمون الناس أنها بدعة منك، كنت تقول لهم: (ما قلت إلا شيئا قد سمعته من نبيهم ﷺ)[3]

وهكذا كنت تستعمل معهم كل أساليب الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة، حتى وصل بك الحرص عليهم، والألم من تلك التحريفات التي وقعت في الدين بسبب التكالب على الدنيا، أن رحت تذكرهم بالجاهلية وأخلاقها، فقلت لهم في بعض خطبك: (أمّا بعد، فإنّا كنّا في جاهليّتنا، قبل أن ينزل علينا الكتاب، ويبعث فينا الرسول، ونحن نوفي بالعهد، ونصدق الحديث، ونحسن الجوار، ونقري الضيف، ونواسي الفقير. فلمّا بعث الله تعالى فينا رسول الله، وأنزل علينا كتابه، كانت تلك الأخلاق يرضاها الله ورسوله، وكان أحقّ بها أهل الإسلام، وأولى أن يحفظوها، فلبثوا بذلك ما شاء الله أن يلبثوا.. ثمّ إن الولاة، قد أحدثوا أعمالاً قِباحاً لا نعرفها. من سنَّة تطفى ! وبدعة تحيى ! وقائل بحق مكذَّب، وأثرة لغير تقى، وأمين ـ مُستأثر عليه ـ من الصالحين) [4]

4. موتة الحق:

وهكذا كانت ثورتك على المستكبرين، ونصرتك للمستضعفين، وخشيتك من تحول الإسلام إلى القارونية

---

1 () رواه البخاري، 1407 ، 1408.

2 () رواه مسلم: 34 - (992)

3 () رواه مسلم: 34 - (992)

4 () أعيان الشيعة: ١٦ / ٣٥٥ ـ ٣٥٦.

البشعة، والرأسمالية الوقحة سببا في ذلك البلاء الذي ابتليت به، والذي أخبرك رسول الله ﷺ عنه، بل عن تفاصيله.. وكنت موقنا بذلك، فرحا به.

لقد قال رسول الله ﷺ يشير إليك: (ليموتن رجل منكم بفلاة من الأرض يشهده عصابة من المؤمنين) [1]، وقد شاء الله أن تكون ذلك الرجل.

فبعد أن استعملوا كل وسائل الإغراء لكفك عن تلك الأحاديث التي تدعو إلى الثورة على تشويه الدين وتحريفه وتحويله إلى القارونية والفرعونية أمروا بنفيك إلى صحراء الربذة، فخرجت إليها راضيا مطمئنا، لعلمك أن رسالتك قد وصلته، وأنه إن لم يفهمها ذلك الجيل، فستفهمها الأجيال التالية.

لقد حدث بعضهم عنك يذكر سبب نفيك، فقال: (مررت بالرَّبَذَة، فإذا أنا بأبي ذَرّ فقلت له: ما أنزلك منزلك هذا؟ قال: كنت بالشام، فاختلفت أنا ومعاوية في ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلاَ يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [التوبة: 34]، قال معاوية: نزلت في أهل الكتاب. فقلت: نزلت فينا وفيهم. فكان بيني وبينه في ذاك، وكتب إلى عثمان يشكوني، فكتب إلي عثمان: أن اقدم المدينة، فقدمتها فكثر علي الناس، حتى كأنهم لم يروني قبل ذلك، فذكرت ذلك لعثمان، فقال لي: إن شئت تنحيت، فكنت قريبا، فذاك الذي أنزلني هذا المنزل[2] ولو أمروا علي حبشيا لسمعت وأطعت)[3]

وقال ابن كثير يذكر سبب نفيك، ويبرره: (وكان من مذهب أبي ذر رضي الله عنه، تحريم ادخار ما زاد على نفقة العيال، وكان يفتي بذلك ويحثهم عليه، ويأمرهم به، ويغلظ في خلافه، فنهاه معاوية فلم ينته، فخشي أن يضر بالناس في هذا، فكتب يشكوه إلى أمير المؤمنين عثمان وأن يأخذه إليه، فاستقدمه

1() رواه ابن حبان والضياء وأحمد وابن سعد (كنز العمال 668 / 11)

2() وهذه الرواية التي يتوهم البعض أنها تنفي نفيه إلى الربذة لا يصح أن يفهم منها ذلك، فالكثير من الروايات تفسر هذا المعنى، وتبين بصراحة كونه منفيا، وخرج مكرها، وربما يكون عبر بذلك في هذه الرواية لتسامحه وسلامه، أو ربما يكون الراوي رواها عنه بالمعنى، وإلا فكيف يترك ما كلف به من الدعوة ويفر بنفسه.

3() رواه البخاري (2/133)

عثمان إلى المدينة، وأنزله بالربذة وحده، وبها مات رضي الله عنه في خلافة عثمان)[1]

وهكذا قال ابن العربي الذي ناصر كل النواصب، وبرر كل جرائمهم، فقد راح ـ بنوع من اللباقة ــ يبين خطأك في نفس الوقت الذي ينتصر فيه للطلقاء وكعب الأحبار، لقد قال دفاعا عنهم: (وأما نفيُه أبا ذرّ إلى الرَّبذة فلم يفعل، كان أبو ذر زاهدا، وكان يقرّع عمال عثمان، ويتلو عليهم ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [التوبة: 34]، ويراهم يتسعون في المراكب والملابس حين وجدوا، فينكر ذلك عليهم، ويريد تفريق جميع ذلك من بين أيديهم، وهو غير لازم. قال ابن عمر وغيره من الصحابة: إن ما أديت زكاته فليس بكنز فوقع بين أبي ذر ومعاوية كلام بالشام فخرج إلى المدينة، فاجتمع إليه الناس، فجعل يسلك تلك الطرق، فقال له عثمان: لو اعتزلتَ. معناه: إنك على مذهب لا يصلح لمخالطة الناس، فإن للخلطة شروطاً وللعزلة مثلها ومن كان على طريقة أبي ذرّ فحاله يقتضي أن ينفرد بنفسه، أو يخالط ويسلّم لكل أحدٍ حاله مما ليس بحرام في الشريعة، فخرج إلى الرّبذة زاهداً فاضلا، وترك جلة فضلاء، وكل على خير وبركة وفضل، وحال أبي ذر أفضل، ولا تمكن لجميع الخلق، فلو كانوا عليها لهلكوا فسبحان مرتب المنازل) [2]

أما ابن تيمية ـ شيخ الإسلام الأموي ــ فقد راح يستعمل كل الحيل لتخطئتك، غافلا عن تلك البشارات النبوية التي تخبر بصدقك، وأنك أصدق من الجميع، لكنه راح يكذبك، ويصحح أقوال الجميع، ويصحح كل ذلك البذخ والترف الذي حول بلاد المسلمين إلى أرض للجباة، لا للهداة.

لقد قال عنك: (..وأما قوله: إنه نفى أبا ذر إلى الربذة وضربه ضربا وجيعا، مع أن النبي ﷺ قال في حقه: (ما أقلت الغبراء ولا أظلت الخضراء على ذي لهجة أصدق من أبي ذر)، وقال: (إن الله أوحى إلي أنه يحب أربعة من أصحابي وأمرني بحبهم. فقيل له: من هم يا رسول الله؟ قال: علي سيدهم، وسلمان، والمقداد، وأبو ذر)، فالجواب: أنّ أبا ذر سكن الرّبذة

1() البداية والنهاية: 4 / 157، 158.

2() العواصم من القواصم لابن العربي تقديم و تعليق: محب الدين الخطيب طبعة الأوقاف السعودية. ص 73.

ومات بها لسبب ما كان يقع بينه وبين الناس، فإن أبا ذر كان رجلا صالحا زاهداً، وكان من مذهبه أن الزّهد واجب، وأن ما أمسكه الإنسان فاضلا عن حاجته فهو كنز يكوى به في النار، واحتج على ذلك بما لا حجة فيه من الكتاب والسنة.. وجعل الكنز ما يفضل عن الحاجة.. ولما توفي عبد الرحمن بن عوف وخلف مالا، جعل أبو ذر ذلك من الكنز الذي يعاقب عليه، وعثمان يناظره في ذلك، حتى دخل كعب ووافق عثمان، فضربه أبو ذر، وكان قد وقع بينه وبين معاوية بالشام بهذا السبب.. وكان أبو ذر يريد أن يوجب على الناس ما لم يوجب الله عليهم، ويذمهم على ما لم يذمهم الله عليه، مع أنه مجتهد في ذلك، مثاب على طاعته كسائر المجتهدين من أمثاله.. وكان عمر يقوم رعيته تقويما تاما، فلا يعتدي لا الأغنياء ولا الفقراء. فلما كان في خلافة عثمان توسع الأغنياء في الدنيا، حتى زاد كثير منهم على قدر المباح في المقدار والنوع، وتوسع أبو ذر في الإنكار حتى نهاهم عن المباحات. وهذا من أسباب الفتن بين الطائفتين.. فكان اعتزال أبي ذر لهذا السبب، ولم يكن لعثمان مع أبي ذر غرض من الأغراض)[1]

وقد نسخت هذه الكلمات ــ سيدي ــ كل ما ورد في فضلك، وكل ما نطق به رسول الله ﷺ في حقك.. فصرت كلما ذكرت لهم اسمك، تجهمت وجوههم، واسودت قلوبهم، وراح صغيرهم وكبيرهم يخطئك، ويكذب رسول الله ﷺ في الشهادة لك بالصدق.

وهكذا أصبح هؤلاء هم الهداة والدعاة، والممثلون الرسميون للدين، يتحكمون في أمور الأمة، ويقربون اليهود وتلاميذ اليهود، والطلقاء وأبناء الطلقاء، ويخطئون الذين شهد لهم رسول الله ﷺ بالصدق والإخلاص والإيمان والثبات.

ولا تزال إلى الآن مظلوميتك سيدي.. فكلهم يدافع عن معاوية وكعب الأحبار، وكل من أخرجوك، ويعتبرون الحق معهم، ويعتبرونك الضال في تلك الدعوة، ولا عجب في أن يتحول الدين بعدك إلى قارونية وكسروية وقيصرية.

لقد كان من المشيعين لك عند خروجك حبيبك وخليلك الإمام علي الذي شهد لك بالصدق والوفاء للنبوة لآخر لحظة..

1() منهاج السنّة النبوية 6/271.

لقد قال لك مودعا: (يا أبا ذر إنك غضبت لله فارج من غضبت له، إن القوم خافوك على دنياهم وخفتهم على دينك، فاترك في أيديهم ما خافوك عليه، واهرب منهم بما خفتهم عليه، فما أحوجهم إلى ما منعتهم وما أغناك عما منعوك وستعلم من الرابح غدا والأكثر حسدا، ولو أن السماوات والأرضين كانتا على عبد رتقا ثم اتقى الله لجعل الله له منهما مخرجا، ولا يؤنسك إلا الحق ولا يوحشك إلا الباطل، فلو قبلت دنياهم لأحبوك ولو قرضت منها لأمنوك)[1]

ثم قال لمن كان معه في توديعك: ودعوا عمكم.. وقال لعقيل: ودع أخاك.. فقال عقيل يخاطبك: ما عسى أن نقول يا أبا ذر، وأنت تعلم أنا نحبك، وأنت تحبنا، فاتق الله، فإن التقوى نجاة، واصبر فإن الصبر كرم، وأعلم أن استثقالك الصبر من الجزع، واستبطاءك العافية من اليأس، فدع اليأس والجزع.

ثم قال لك الحسن: يا عماه، لولا أنه لا ينبغي للمودع أن يسكت، وللمشيع أن ينصرف، لقصر الكلام وإن طال الأسف، وقد أتى القوم إليك ما ترى، فضع عنك الدنيا بتذكر فراغها، وشدة ما اشتد منها برجاء ما بعدها، واصبر حتى تلقى نبيك ﷺ وهو عنك راض.

ثم قال لك الحسين: يا عماه، إن الله تعالى قادر أن يغير ما قد ترى، والله كل يوم هو في شأن، وقد منعك القوم دنياهم ومنعتهم دينك، فما أغناك عما منعوك، وأحوجهم إلى ما منعتهم، فأسال الله الصبر والنصر، واستعذ به من الجشع والجزع، فإن الصبر من الدين والكرم، وإن الجشع لا يقدم رزقاً، والجزع لا يؤخر أجلاً.

ثم قال عمار مغضباً: لا آنس الله من أوحشك، ولا آمن من أخافك. أما والله لو أردت دنياهم لأمنوك، ولو رضيت أعمالهم لأحبوك، وما منع الناس أن يقولوا بقولك إلا الرضا بالدنيا، والجزع من الموت، مالوا إلى ما سلطان جماعتهم عليه، والملك لمن غلب، فوهبوا لهم دينهم، ومنحهم القوم دنياهم، فخسروا الدنيا والآخرة، ألا ذلك هو الخسران المبين!

حينها لم تجد إلا أن تبكي، ثم تقول مخاطبا لهم: (رحمكم الله يا أهل بيت الرحمة! إذا رأيتكم ذكرت بكم رسول الله ﷺ،

1() كشف الغمة: ج 2، ص 346.

ما لي بالمدينة سكن ولا شجن غيركم، إني ثقلت على عثمان بالحجاز، كما ثقلت على معاوية بالشام، وكره أن أجاور أخاه وابن خاله بالمصرين، فأفسد الناس عليهما، فسيرني إلى بلد ليس لي به ناصر ولا دافع إلا الله.. والله ما أريد إلا الله صاحباً، وما أخشى مع الله وحشة) (1)

هكذا فعل إمامك علي والمحافظون على هدي النبوة، أما غيرهم، فبدل أن يصطفوا ليودعوك، ويطلبوا دعواتك، وأنت صاحب رسول الله ﷺ الوفي، راحوا يسخرون منك.. لقد قال لك بعضهم، وهو ينظر إليك شامتا: (لولا أنك رجل سوء ما أخرجت من المدينة)، فرددت عليه بكل هدوء: (بين يدي عقبة كؤود إن نجوت منها لا يضرني ما قلت، وأن أقع فيها فأنا شر مما تقول)(2)

وقد شاء الله أن تكون الربذة هي مقر جسدك، لتبقى شاهدا على الظلم الذي لحق بك، كما لحق بالصالحين قبلك وبعدك.. لقد حدثت زوجتك عن تلك الموتة الشريفة التي متها، والتي أخبر رسول الله ﷺ عنها، فقالت: لما حضرت أبا ذر الوفاة بكيت، فقال: ما يبكيك؟ قالت: أبكي أنه لا يدلي بتكفينك، وليس لي ثوب من ثيابي يسعك كفنا، وليس لك ثوب يسعك كفنا، قال: فلا تبكي؛ فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول لنفر، أنا فيهم: (ليموتن منكم رجل بفلاة من الأرض، فتشهده عصابة من المؤمنين)، وليس من أولئك النفر رجل إلا وقد مات في قرية وجماعة من المسلمين، وأنا الذي أموت بفلاة، والله ما كذبت ولا كذبت، فانظري الطريق، فقالت: أنّى وقد انقطع الحاج.. فكنت أشتد إلى كثيب أقوم عليه أنظر ثم أرجع إليه فأمرضه)

وبينما هي كذلك (إذا بنفر تخب بهم رواحلهم كأنهم الرخم على رحالهم، فألاحت بثوبها، فأقبلوا حتى وقفوا عليها قالوا: ما لك؟ قالت: أمرؤ من المسلمين تكفنونه يموت، قالوا: من هو؟ قالت: أبو ذر، فغدوه بإبلهم ووضعوا السياط في نحورها يستبقون إليه، حتى جاءوه)

وعندما جاءوك رحت تبشرهم قائلا: (أبشروا.. إني سمعت

1() بحار الأنوار ج22 ص441 ـ 413 و 435 ـ 437 وروضة الكافي ص206 و 208 ومنهاج البراعة ج8 ص249 وج16 ص302

2() الإمتاع والمؤانسة: 2/ 128.

رسول الله ﷺ يقول لنفـر أنـا فيهم: (ليمـوتن منكم رجـل بفلاة من الأرض، تشهده عصابة من المؤمـنين)، وليس منهم أحـد إلا وقـد هلـك في قريـة وجماعـة، وأنـا الـذي أمـوت بـالفلاة. أنتم تسمعون إنه لو كان عندي ثوب يسعني كفنـا لي أو لامـرأتي لم أكفن إلا في ثـوب لي أو لهـا، أنتم تسـمعون إني أنشـدكم اللـه والإسلام أن لا يكفنني رجل منكم كان أميرا أو عريفا أو نقيبا أو بريدا)

حينها احتار القـوم، فلم يكن أحـد منهم بتلـك الأوصـاف إلا فتى من الأنصار، فقد قال لك: (يا عم أنا أكفنك، لم أصـب ممـا ذكرت شيئا، أكفنك في ردائي هـذا الـذي علي، وفي ثـوبين في عيبتي من غزل أمي حاكتهما لي)[1]

مـا عسـاي أقـول لـك في آخـر هـذه الرسـالة سـوى أن أبشـرك، بـأن كلماتـك لم تضـع، ولن تضـيع، والـدين الـذي كنت تدعو إليه هو الآن ينتشر بين النـاس، ليقضـي على ذلـك الـدين الذي أسسه معاوية وكعب الأحبار وغيرهما ممن بدل وحرف..

أما تلك المنطقة التي شرفتها بمكوثك فيهـا حين كنت في الشام، منطقة (جبـل عامـل)، فهي الآن، ومنـذ وطئتهـا قـدماك تحتفظ بذكراك، وتنسب كل فضل حصل لهـا إليـك، وهي اليـوم في الواجهــة تــدافع عن الــدين ضــد الاســتكبار والاســتبداد والتحريف.. فأبشر، فما كان للـه دام واتصـل، ومـا كـان لغـيره انقطع وانفصل.

---

1 () حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (1/ 170)

رسالة إلى عمار بن ياسر

سيدي عمار بن ياسر..

أيها الصحابي الجليل الذي شرفه الله بجعلـه رمـزا للحـق، وراية للهدى، وعلما للصالحين، ومثابة للمتقين..

ذلك الذي من عرفه فقـد عـرف قيم الـدين الأصـيل، ومن جهله، وضل عنه وسلك سبيل أعدائـه، عـاش حياتـه مـع البغـاة والمحرفين.

أيها التقي النقي الذي ملئ بالإيمان من مفـرق رأسـه إلى أخمص قدميه.. يا من عاش في ظلال النبوة، وهام في جمالهـا، وبقي وفيا لها، ولورثتها إلى أن قدم دمه في سبيلها.

أيها الذي نـزلت فيـه من شـهادات التزكيـة بالإيمـان مـا لا نزال نقرؤه في القرآن، فقد قـال اللـه تعـالى فيـك: ﴿مَنْ كَفَـرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِـهِ إِلَّا مَنْ أُكْـرِهَ وَقَلْبُـهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَـانِ وَلَكِنْ مَنْ شَـرَحَ بِـالْكُفْرِ صَـدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَـبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَـذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النحل: 106]

وهي شـهادة لـك بطمأنينـة القلب بالإيمـان، وليس مجـرد الاكتفاء به.. فالطمأنينة أرقى مراتب الهداية.. وهي شـهادة لـك بأنك من المعذبين في الله، والسابقين للإيمان، والصادقين فيه.

أنت ـ سيدي ـ من وردت فيك شهادات التزكية من رسـول اللـه ﷺ.. والـتي اتفقت عليهـا جميـع دواوين المحـدثين، ومن الطوائف أجمعين، حتى تكون علما للهداية، من ضل عنـك ضـل عنها، ومن اهتدى إليك وعرف قدرك اهتدى إليها.

لقد أخبر رسول اللـه ﷺ أنـك صـرت جسـما للإيمـان، منـذ امتلأت به، فقد قال عنك: (ملئ عمـار إيمانـا إلى مشاشـه)[1]، أي أن الإيمان اختلط بلحمـك ودمـك وعظمـك، وامـتزج بسـائر أجزائك امتزاجا لا يقبل التفرقة [2].

ولذلك صرت محرما على النار، وهل يمكن للنار أن تحـرق الإيمان؟.. لقد قال رسول الله ﷺ مخبرا عنك: (دم عمار ولحمه ؛ حرام على النار أن تأكله أو تمسه)[3]

---

1 () رواه النسائي (5007)

2 () فيض القدير، (6/ 4)

3 () رواه البزار (3/ 51) ، وابن عساكر (12/ 314/ 1)

بل إن رسول الله ﷺ دعا لك بـألا تمسـك النـار في الـدنيا، لتصير في هذه الدنيا مثل الخليل عليه السلام، مثلما كان أخوك أبو ذر شبيها بالمسيح عليه السلام، ومثلما كـان أخـوك وإمامـك علي شبيها بهارون عليه السلام.. لقد حدث بعضهم عنك، فقال: (عذب المشركون عمارا بالنار، فكان النبي ﷺ يمر به فيمر يـده على رأسه ويقول: (يا نـار كـوني بـردا وسـلاما على عمـار كمـا كنت على إبراهيم، تقتلك الفئة الباغية)[1]

ولذلك شرفت بأن تبشر بالجنة، لا وحدك فقط، وإنمـا مـع أسرتك الطيبة التي مثلت الشهادة بأسـمى معانيهـا.. لقـد قـال جابر بن عبد الله محدثا عنك: (مر رسول اللـه ﷺ بعمـار وأهلـه وهم يعذبون، فقال: (أبشروا آل عمار، وآل ياسر، فإن موعدكم الجنة) [2]

بل إن رسول الله ﷺ أخبر بما هو أعظم من تلك البشـارة، حيث أخـبر أن الجنـة نفسـها تشـتاق إليـك، فقـال: (إن الجنـة تشـتاق إلى ثلاثـة: علي وعمـار وأبي ذر) [3]، وكيـف لا تشـتاق الجنة إليك، وأنت علم الإيمان، ونور الإيمان، وقبلة الإيمان.

وهكذا كان ﷺ يذكر كل حين أولئك الذين لا يعرفون قدرك بكونك من المبشـرين بالجنـة، مـع أن المحـرفين والمبـدلين لم يضعوك بينهم.. ففي الحديث أنه وقع بينك وبين خالد بن الوليـد كلام، فقلت: (لقد هممت ألا أكلمك أبدا)، فبلـغ ذلـك النـبي ﷺ، فقال: (يا خالد، مالك ولعمار؟ رجـل من أهـل الجنـة، قـد شـهد بدرا) [4]

وكـان ﷺ لا يكتفي بـذلك، وإنمـا يخـبر عن دورك في هـذه الأمة، فيقول: (إني لا أدري ما قدر بقائي فيكم.. فاهتدوا بهـدي عمار) [5]

وأخبر عن سـر ذلـك، وهـو كونـك من المخلَصـين الـذين لا يقربهم الشيطان، ولا يستطيع أن يدنو منهم، فعن علقمة، قال: (قدمت الشـام، فقلت: من هـا هنـا؟، قـالوا أبـو الـدرداء، قـال:

1() سير أعلام النبلاء (3/ 247)

2() رواه الحاكم (5666)، وقال: (صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه) ووافقه الذهبي.

3() الهيثمي في مجمع الزوائد 9 ـ 39

4() الاستيعاب في معرفة الأصحاب (2/ 430)

5() رواه الترمذي (3799)

أفيكم الذي أجاره الله من الشيطان على لسان نبيه ﷺ؟)[1]، وهو يعنيك بذلك.

ولهذا أخبر ﷺ أنك في الوقت الذي يقع فيه الخلاف، ويتناحر فيه الهدى مع الضلالة، وأصحاب الطريق المستقيم مع أصحاب الطرق المعوجة، ستكون أنت العلم والمنارة التي تميز أصحاب الدين الأصيل من الدين المحرف، ودعاة الهدى عن دعاة الضلالة، فقال: (ويح عمار تقتله الفئة الباغية، عمار يدعوهم إلى الله، ويدعونه إلى النار)[2]

وقد روي هذا الحديث بطرق متواترة كثيرة[3]، ومن جميع محدثي الأمة، فلا يجادل فيه إلا مشاغب يتلاعب بالدين ليرضي الأهواء التي سنتها الفئة الباغية.

ولذلك كان رسول الله ﷺ يرد كل من يخبره بموتك، بأن ذلك غير صحيح، لأن الله تعالى كتب لموتك أن يكون فاصلا بين الحق والباطل، وفي جميع الأزمنة إلى يوم القيامة.

بل كنت أنت كذلك موقنا بذلك، فقد كانت الأمراض

1() رواه البخاري (3287)

2() رواه أحمد [5/ 306]، والبخاري (2812)، ومسلم [9/ 226]، [70/ 71/ 2915]، والنسائي في الكبرى [5/ 156]، كتاب الخصائص: حديث [8548]، وابن سعد [3/ 191] وغيرهم

3() فقد رواه مسلم وابن عساكر وابن أبي شيبة عن أم سلمة، والإمام أحمد وابن عساكر والطبراني في الكبير، وأبو يعلى، والخطيب عن عثمان، والإمام أحمد وابن سعد وابن أبي شيبة وأبو يعلى والطبراني في الكبير والحاكم عن عمرو بن العاص، وابن عساكر وابن أبي شيبة وأبو يعلى وأبو عوانة والطبراني في الكبير عن أبي رافع، وأبو يعلى وابن سعد في كتاب الموالاة والطبراني في الكبير والدار قطني في الأفراد عن عمار بن ياسر وابن عساكر عن ابن عباس وعن حذيفة وعن أبي هريرة وعن جابر بن عبد الله وعن جابر بن سمرة وعن أنس عن أبي أمامة وعن عبد الله بن كعب بن مالك عن أبيه وعن عمرو بن العاص، وابن أبي شيبة، والإمام احمد وابن سعد والبغوي وأبو نعيم والطبراني في الكبير، والحاكم عن عمرو بن حرام، والإمام احمد وأبو يعلى والطبراني في الكبير وابن عساكر عن ابن عمرو وأبو يعلى والطبراني في الكبير عن معاوية بن عتبة، والطبراني عن أبي رافع والطبراني عن أبي أيوب، والطبراني في الكبير، والباوردي، وابن قانع، والدار قطني في الأفراد عن أبي البشير بن عمرو عن زياد بن الجرد، والبزار برجال الصحيح عن أبي سعيد الخدري، وأبو يعلى برجال الصحيح عن أبي هريرة والطبراني برجال ثقات عن عبد الله بن عمرو وأبيه عمرو ومعاوية والبزار عن أبي مسعود، وحذيفة والطبراني بإسناد حسن. انظر: معجزات حسية (ص: 240)

تعتريك، ويخاف أهلك والمقربون منك أن يختطفك الموت من بين أيديهم، وخاصة مع كبر سنك، فقد كنت تربا لرسول الله ﷺ، وعمرت بعده طويلا.. لكنك كنت تبشرهم بأنك لن تموت إلا على يدي الفئة الباغية.. فعن بعض أهلك قالت: اشتكى عمار بن ياسر شكوى ثقل منها، فغشي عليه، فأفاق، ونحن نبكي حوله قال: ما يبكيكم؟ أتحسبون أني أموت على فراشي، أخبرني حبيبي رسول الله ﷺ أنه تقتلني الفئة الباغية، وأن آخر زادي مذقة من لبن)[1]

وهكذا شهد لك الله ورسوله بالإيمان والتقوى وكل خصال الصلاح، ولذلك كان الإمام علي ــ كلما دخلت عليه ــ قال: (مرحبا بالطيب المطيب، سمعت رسول الله ﷺ يقول: عمار ملئ إيمانا إلى مشاشه) [2]

وهكذا لا يجرؤ أحد على المساس بفضلك، أو تكذيب ما ورد في حقك، حتى البغاة الذين يبغضونك، لم يستطيعوا أن يمسحوا تلك التعاليم التي وردت بشأنك، وإن كانوا يؤولونها بكل صنوف التأويل، ويفرون منها بكل أنواع الفرار.

لقد قال بعض المحدثين يلخص ما ورد فيك من الآثار: (عمار بن ياسر أبو اليقظان، الممتلئ من الإيمان، والمطمئن بالإيقان، والمتثبت حين المحنة والافتتان، والصابر على المذلة والهوان، من السابقين الأولين، سبق إلى قتال الطغاة زمن النبي ﷺ، وبقي إلى طعان البغاة مع الوصي، كان له من النبي ﷺ إذا استأذن البشاشة والترحيب، والبشارة بالتطييب، كان لزينة الدنيا واضعا، ولنخوة النفس قامعا، ولأنصار الدين رافعا، ولإمام الهدى تابعا، كان من أهل بدر، وبعثه عمر على الكوفة أميرا، وكتب إليهم أنه من النجباء من أصحاب محمد ﷺ، كان أحد الأربعة الذين تشتاق إليهم الجنة، لم يزل يدأب لها ويحن إليها إلى أن لقي الأحبة محمدا وصحبه) [3]

ائذن لي سيدي بعد هذا أن أذكر لقومي الأسرار التي بوأتك كل هذه المناصب الجليلة، والمفاخر المنيفة.. وقد رأيت أنها تكمن في سر واحد هو [الطمأنينة]

1() مسند أبى يعلى ج 3 ص 189 حديث 1614.

2() حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (1/ 139)

3() حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (1/ 139)

بـذلك وصـفك ربـك.. فـأنت مطمئن بالإيمـان، ومطمئن للحقيقة، لا تتردد في قبولهـا، ولا في الإذعـان لهـا، بـل تضـحي بكل شيء في سبيلها.

وقـد جعلـك ذلـك تتعـرض لأنـواع كثـيرة من البلاء، لا من المشركين وحدهم، أولئك الـذين عـذبوك، وعـذبوا أهلـك، وإنمـا ممن يزعمون أنهم مؤمنون، وأنهم من هذه الأمـة، فلـذلك كمـا ضربت في الجاهلية ضـربت في الإسـلام، بـل إن مـا عجـز عن فعله المشركون من قتلك قدر عليه من يدعون الإيمان.

ولذلك شرفك الله بالمواجهة مع الفريقين.. مع المشركين الذين حاربوا التنزيل.. أو مع المسلمين الذين مارسـوا التأويـل، كما عبرت عن ذلك بقولك ـ بعد أن رأيت راية عمرو بن العـاص ـ: (والله إن هذه الراية قاتلتها ثلاث عركات وما هذه بأشـدهن)، ثم قال:

نحن ضربناكم فاليوم نضربكم
ضربا يزيل الهام ويذهل الخليل عن
أو يرجع الحق إلى سبيله

وقـد أخـبر حذيفـة بن اليمـان عن دورك في تلـك الحـرب، حيث جاءه نفر يسألون عن الفتنة وكيفية التعامل معهـا، وقـالوا له: يا أبا عبد اللـه، إن رسـول اللـه ﷺ اسـتجار من أن تصـطلم أمته، فأجير من ذلك، واستجار من أن يذوق بعضـها بـأس بعض فمنع من ذلك، فقال حذيفة: إنى سمعت رسول اللـه ﷺ يقـول: (إن ابن سمية لم يخير بين أمرين قط إلا اختار أرشدهما ـ يعنى عمارا فالزموا ـ سمته)[1]

لقد قال ذلك، وهو لم يحضر تلك الفتنة، ولكن رسول اللـه ﷺ أخبره عنها كما أخبر الأمة جميعا، حتى تأخذ حـذرها من كيـد الشيطان.

1. المواجهة التنزيلية:

أمـا مواجهتـك التنزيليـة للمشـركين، فقـد بـدأت من أيـام إسـلامك الأولى.. أو بـدأت منـذ بـدأ الإسـلام، فقـد كنت من السـابقين الأولين، وكنت تقـول لأولئـك الـذين قربـوا الطلقـاء، وعزلوا السـابقين: (رأيت رسـول اللـه ﷺ ومـا معـه إلا خمسـة

1() وقعة صفين (ص: 342)

أعبد، وامرأتان) [1]

وعن عبد الله بن مسعود، قال: (كان أول من أظهر إسلامه سبعة: رسول الله ﷺ، وأبو بكر، وعمار، وأمه سمية، وصهيب، وبلال، والمقداد، فأما رسول الله ﷺ فمنعه الله بعمه أبي طالب، وأما أبو بكر فمنعه الله بقومه، وأما سائرهم فأخذهم المشركون، وألبسوهم أدراع الحديد، وصهروهم في الشمس)[2]

وهكذا كنت من الذين شُرفوا بأن يدخلوا الإسلام، لا وحدهم، وإنما مع أسرهم أيضا، فأبوك ياسر، وأمك سمية، من كبار أبطال الإسلام، وكلاهما أول شهدائه.. فأبوك أول الشهداء من الرجال، وأمك أول الشهداء من النساء.. وقد كنت أنت أيضا أول الشهداء الأحياء؛ فقد كانوا مزمعين على قتلك لولا أن الله شاء أن يؤخر ذلك، حتى تصبح شهادتك علما على الهداية، كما كانت شهادة والديك علامة على السبق للإيمان، والتضحية في سبيله.

لقد كان رسول الله ﷺ يمر عليك وأنت مع أبيك وأمك تعذبان في الله، فيقول: (صبرا آل ياسر فإن موعدكم الجنة)، ويقول: (اللهم اغفر لآل ياسر، وقد فعلت) [3]

لقد كنتم حينها أعظم النماذج عن الإيمان، وقد مثلتم حينها عمليا تلك الآيات الكريمة التي كانت تتنزل على رسول الله ﷺ، والتي يقول الله تعالى فيها: ﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ (4) النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ (5) إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ (6) وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ (7) وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ [البروج: 4 - 8]

فقد كان المشركون يستعملون النار لتعذيبكم.. حينها لم تترددوا في الإيمان، من غير أن تطلبوا تلك المعجزات التي طلبتها قريش حتى تؤمن.. ومع ذلك ظلت على إصرارها وعنادها حتى رأت رايات النصر قادمة لفتح مكة، حينها ادعى من يعذبوكم أن الإيمان قد خالط قلوبهم.. كما ذكرت ذلك، فقلت: (والله ما أسلم القوم ولكن استسلموا وأسروا الكفر

---

1 () رواه البخاري (3660)

2 () رواه ابن ماجة (150)

3 () سير أعلام النبلاء (3/ 247)

حتى وجدوا عليه أعوانا) [1]

حينها نسيتم، أو نسيكم أكثر الأمة منشغلين بأولئك المجرمين الذين كانوا يعذبونكم.. والذين تحولوا في طرفة عين من أعداء الله إلى أولياء الله من غير عمل عملوه، مع أن الله تعالى قال فيهم: ﴿لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (7) إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ (8) وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ (9) وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [يس: 7 - 10]

لكنك ــ سيدي الكريم ــ ولأمر أراده الله، وفي تلك اللحظات التي غشي عليك فيها بسبب العذاب الشديد، رحت تنطق بما يحبون، وتتألم لذلك.. وقد لقيك حينها رسول الله ﷺ وأنت تبكي؛ فجعل يمسح، عن عينيك ويقول: (أخذك الكفار فغطوك في النار، فقلت كذا وكذا، فإن عادوا فقل لهم ذلك)[2]

وقبلها جئت رسول الله ﷺ متألما حزينا، فقال: (ما وراءك؟)، فقلت: شر يا رسول الله! والله ما تركت حتى نلت منك وذكرت آلهتهم بخير، فقال ﷺ: (فكيف تجد قلبك؟)، فقلت: مطمئن بالإيمان، فقال: (فإن عادوا فعد)[3]

حينها تنزلت تلك الآيات الكريمة تشهد لك بالإيمان، وتعطي الرخصة لمن حصل لهم ما حصل لك بأن يتقوا لدينهم، لا حفظا لذواتهم، وإنما ليحفظوا الرسالة التي يحملونها. لقد قال الله تعالى: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النحل: 106]

وكانت تلك الآية الكريمة التي لا تُقرأ إلا وتُذكر معها أعظم شهادة لك بالدرجات الرفيعة من الإيمان.. فالطمأنينة هي التي طلبها إبراهيم عليه السلام حين طلب رؤية كيفية إحياء الموتى، كما قال تعالى: ﴿قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ [البقرة: 260]

وهكذا ظلت تلك الطمأنينة الإيمانية مصاحبة لك في جميع

1() وقعة صفين (ص 213)، تاريخ الطبري: 3/ 82)

2() سنن البيهقي الكبرى (8/ 209)

3() تفسير الطبري (14/ 122)

أحوالك، ولـذلك كنت تبـذل أضـعاف طاقتـك حـتى تسـتطيع أن تعطي تلــك الطمأنينــة حقهــا، وقــد روي في الحــديث عن أبي سعيد قال: (كنا ننقل لبن المسجد لبنة لبنـة، وكـان عمـار ينقـل لبنتين لبنتين، فمر به النبي ﷺ، ومسح عن رأسه الغبـار، وقـال: (ويح عمار تقتله الفئة الباغية، عمار يدعوهم إلى الله، ويدعونـه إلى النار) (1)

وكنت حينها، وأنت في ذلـك الموقـف فرحـا جـذلان تنشـد قائلا:

لا يستوي من يعمر المساجدا يظل فيها راكعاً وساجدا

ومن تراه عانداً عن الغبار لا يملأ الحاجدا

وهـذان البيتـان يلخصـان فهمـك للـدين الإلهي المحمـدي الأصــيل الــذي لا يســتوي فيــه الســابقون مــع المتــأخرين، والصادقون مع المبدلين، والموفون مع الناكثين.

ولذلك كنت ترى الدين في التسليم المطلق لله ورســوله، فبمجـرد أن جـاء الأمـر بـالهجرة إلى الحبشـة، رحت تنفـذ أمـر رسـول اللـه ﷺ.. وبـذلك كنت من أهـل قولـه تعـالى: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْـدِ مَـا ظُلِمُـوا لَنُبَـوِّئَنَّهُمْ فِي الـدُّنْيَا حَسَـنَةً وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ أَكْبَـرُ لَـوْ كَـانُوا يَعْلَمُـونَ (41) الَّذِينَ صَـبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [النحل: 41، 42] (2)

وكــانت تلــك الطمأنينــة هي الســبب في ثباتــك في كــل المعارك التي خضتها مع رسول الله ﷺ لتحمي الإيمان من تلـك الجيوش التي ألبتها قريش أو غيرها عليك، وقد قال عبد الله بن جعفــر عنــك: (شــهد عمــار بن ياســر بــدرا، وأحــدا، والخنــدق، والمشـاهد كلهـا مـع رسـول اللـه ﷺ)(3)، ولهـذا كنت تـذكر في حروبك على الباغين الناكثين جهادك لنفس الرايات في حروبـك مع المعتدين الظالمين.

1() رواه البخاري (2812)

2() فعن عن عمر بن الحكم، قال: كـان عمـار يعـذب حـتى لا يـدري مـا يقـول وكـذا صهيب، وفيهم نزلت {وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (41) الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ} [النحل: 41، 42]، سير أعلام النبلاء، (3/ 247)

3() المستدرك على الصحيحين للحاكم (3/ 434)

ولهـذا كـان الإمـام علي يرسـل المـترددين إليـك، حـتى تخبرهم بالحقيقة المرة التي سببت تلـك الحـروب، والـتي كـان ظاهرهـا للإمـام علي، ولكن باطنهـا كـان امتـدادا لبـدر وأحـد والأحزاب.. فالمحارَب في الجميع هو رسول اللـه ﷺ، والإسـلام النقي الخـالص الـذي أرادت قـريش أن تسـرقه، بعـد أن لم تستطع الوقوف في وجهه.

وقد روى المؤرخون عن أسماء بن حكيم الغزاوي قال: كنا بصفين مع علي تحت راية عمار بن ياسر ارتفـاع الضـحى، وقـد استظللنا برداءٍ أحمر. إذ أقبل رجل يستقري الصف حـتى انتهى إلينا فقال: أيكم عمار بن ياسر؟ فقال عمار: أنا عمار. قال: أبـو اليقظان؟ قال: نعم قال: إن لي إليك حاجة، أفأنطق بها سراً أو علانيةً؟ قال: اختر لنفسك أيهما شئت، قال لا، بل علانيـةً، قـال: فانطق) (1)

حينها راح يبث إليك شـكواه وشـبهته، فقـال: (إني خـرجت من أهلي مستبصراً في الحق الذي نحن فيه لا أشك في ضـلالة هؤلاء القوم وأنهم على الباطـل، فلم أزل على ذلـك مستبصـراً حتى ليلتي هذه، فإني رأيت في منامي منادياً تقدم فأذن وشـهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ونادى بالصـلاة، ونـادى مناديهم مثل ذلك، ثم أقيمت الصلاة فصلينا صلاةً واحدة، وتلونـا كتاباً واحداً، ودعونا دعوةً واحدة، فأدركني الشك في ليلتي هذه فبت بليلةٍ لا يعلمها إلا اللـه تعـالى، حـتى أصـبحت فـأتيت أمـير المؤمنين فـذكرت ذلـك لـه، فقـال هـل لقيت عمـار بن ياسـر؟ قلت: لا. قال: فألقه فانظر ماذا يقول لك عمار فاتبعـه، فجئتـك لذلك)

حينها خاطبته بتلك الطمأنينة التي وصفك اللـه بهـا، وبكـل ثقة، وقلت لـه: (تعـرف صـاحب الرايـة السـوداء المقابلـة لي؟ فإنها رايـة عمـرو بن العـاص، قاتلتهـا مـع رسـول اللـه ﷺ ثلاث مرات وهذه الرابعة، فما هي بخيرهن ولا أبرهن، بل هي شرهن وأفجرهن!)

ثم قلت له: (أشهدت بدراً وأحداً ويوم حنين، أو شهدها أبٌ لك فيخـبرك عنهـا؟)، فقـال: لا، فقلت لـه: فـإن مراكزنـا اليـوم

1() انظر: وقعة صفين (ص: 321)، لنصر بن مزاحم المنقـرى المتـوفى سـنة 212، وهو من المراجع المهمة في هذا لقربه الزمني من تاريخ صفين.

على مراكز رايات رسول الله ﷺ يوم بدرٍ ويوم أحد ويوم حنين، وأن مراكـز رايـات هـؤلاء على مراكـز رايـات المشـركين من الأحزاب، فهل تـرى هـذا العسـكر ومن فيـه؟ واللـه لـوددت أن جميع من فيه ممن أقبل مع معاوية يريد قتالنـا ــ مفارقـاً للـذي نحن عليه كانوا خلقاً واحداً فقطعته وذبحته)

ولكونك كنت واثقا من الخطـر الـذي تحملـه رايـة معاويـة، ودورها في تحريف الدين أجيالا طويلة لما انتهى إليك من إخبار رسول الله ﷺ لك ولصفوة أصـحابه، قلت لـه: (واللـه لـدماؤهم جميعاً أحلُّ من دم عصفور ؛ أفترى دم عصفور حراماً؟)

قال الرجل: لا، بل حلالٌ.. فقلت له: (فـإنهم حلال كـذلك)، ثم رحت تستوثق منه، وقلت: (أتراني بينت لك؟) قال: قد بينت لي، فقلت: (فاختر أي ذلك أحببت !؟)

وعنـدما انصـرف الرجـل، رحت تـدعوه، وتقـول لـه وللمجتمعين معك بكـل ثقـة وطمأنينـة: (أمـا إنهم سيضـربونكم بأسيافهم حتى يرتـاب المبطلـون منكم فيقولـوا: لـو لم يكونـوا على حق ما أظهروا علينا، والله ما هم من الحق على ما يقـذي عين ذباب، واللـه لـو ضـربونا بأسـيافهم حـتى يبلغونـا سـعفات هجرٍ، لعرفت أنا على حـق وهم على باطـل، وأيم اللـه لا يكـون سلماً سالماً أبداً حتى يبـوء أحـد الفـريقين على أنفسـهم بـأنهم كانوا كافرين، وحتى يشهدوا على الفريق الآخر بأنه على الحـق وأن قتلاهم في الجنـة وموتـاهم، ولا تنصـرم أيـام الـدنيا حـتى يشـهدوا بـأن موتـاهم وقتلاهم في الجنـة، وأن مـوتى أعـدائهم وقتلاهم في النار، وكان أحياؤهم على الباطل)[1]

وهكذا كنت في مواقفك رمزا للبطولة والشجاعة، لا تحيد، ولا تفر، ولا تتردد، ولا تصيبك أدران الشبهات، وكيف يحصل لـك ذلك، وقد أخبر رسول الله ﷺ أن الإيمان خالط لحمك وعظمك، فلم يعد للشيطان عليك سبيل.

لقـد حـدث ابن عمـر عنـك، وعن بعض بطولاتـك، فقـال: (رأيت عمـار بن ياسـر يـوم اليمامـة على صـخرة وقـد أشـرف يصيح: (يا معشر المسـلمين، أمن الجنـة تفـرون؟ أنـا عمـار بن ياسر، أمن الجنة تفرون؟ أنا عمار بن ياسر هلم إلي، وأنا أنظـر

1() وقعة صفين ، ص 322.

إلى أذنه قد قطعت فهي تذبذب، وهو يقاتل أشد القتال)[1]

هكذا كنت دائما لا تلتفت لما يصيبك من جراحات، لأنك تعلم المصير الذي ستصير إليه، وتعرف الإله الذي تعبده، والنبي الذي تتبعه، والصراط الذي نذرت نفسك لتسير فيه، وأنت تحمل راية الدلالة عليه.

ولذلك لم تكن تتردد أبدا في أي مواجهة، ومع أي عدو، حتى لو لم تكن تعرفه، ما دام يعادي الله ورسوله، وقد حدثت عن نفسك، فقلت: (قاتلت مع رسول الله ﷺ الجن والإنس)، فقالوا: كيف ذلك؟.. فقلت: كنا مع النبي ﷺ فنزلنا منزلا فأخذت قربتي ودلوي لأستقي، فقال رسول الله ﷺ: أما إنه سيأتيك على الماء آت يمنعك منه، فلما كنت على رأس البئر إذا برجل أسود كأنه مرس فقال: والله لا تستقي اليوم منها فأخذني وأخذته فصرعته ثم أخذت حجرا فكسرت وجهه وأنفه ثم ملأت قربتي وأتيت رسول الله ﷺ فقال: هل أتاك على الماء أحد؟ قلت: نعم فقصصت عليه القصة فقال: أتدري من هو؟ قلت: لا، قال: ذاك الشيطان)[2]

وقد كنت إلى جانب ذلك مملوءا بكل القيم التي جاء الإسلام للدعوة إليها.. فقد كنت عابدا زاهدا تقيا صاحب خلق رفيع، وصاحب روح مبادرة لكل عمل صالح، وقد حدث الحكم بن عتيبة قال: (قدم رسول الله ﷺ المدينة أول ما قدمها، فقال عمار بن ياسر: (ما لرسول الله ﷺ بد من أن نجعل له مكانا إذا استيقظ من قائلته، استظل فيه، وصلى فيه)، فجمع عمار حجارة، فسوى مسجد قباء، فهو أول مسجد بني، وعمار بناه)[3]

وعن القاسم بن عبد الرحمن قال: (أول من بنى مسجدا فصلى فيه عمار بن ياسر)[4]

وبذلك تكون من أهل قوله تعالى: ﴿لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ﴾ [التوبة: 108]، وبذلك تكون

---

1 () المستدرك على الصحيحين للحاكم (3/ 434)

2 () سير أعلام النبلاء (3/ 248)

3 () المستدرك على الصحيحين للحاكم (3/ 434)

4 () المستدرك على الصحيحين للحاكم (3/ 434)

من أهل كل هذه المكارم من التقوى والطهارة، وبشـهادة اللـه تعالى.

وهكذا تحقق فيك بعض قوله تعـالى: ﴿وَنُرِيـدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْـعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْـوَارِثِينَ﴾ [القصص: 5]، وذلـك حين ولّيت الكوفـة، ولفـترة قصـيرة، لكن أهلها المشاغبين منهم، لم يرتضوا سيرة الزهاد الأتقياء، فراحوا يشكونك إلى الخليفة، قائلين: إنه غير كاف ولا عالم بالسياسـة، ولا يدري على ما استعملته.

وكـــان الأولى بالخليفـــة ألا يلتفت لهم، لكنـــه اســـتجاب لطلبهم، ولمـا رأى الألم في وجهـك، سـألك: أسـاءك العـزل؟ فقلت: مـا سـرني حين اسـتعملت، ولقـد سـاءني حين عـزلت، فقال لك: (قد علمتِ ما أنت بصاحب عمل، ولكني تأولت قولـه تعـــالى: ﴿وَنُرِيـــدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْـــعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ [القصص: 5]) [1]

ولســـت أدري إن لم تكن أنت صـــاحب العمـــل، فمن صـاحبه؟.. وهـل صـاحبه إلا الصـادق المخلص الـذي يسـير في رعيته بمنهج الأنبياء؟

لكن للأسف استجاب الخليفة للمستبدين، وراح يولي بدلك من ســار فيهم بســيرة الفراعنــة.. وقــد روى المؤرخــون أن المغيرة بن شعبة عندما رأى مواقف أهل الكوفة قال للخليفـة: (أما الضعيف المسلم فإن إسلامه لنفسـه وضـعفه عليـك، وأمـا القوي المسدد فإن سداده لنفسه وقوته للمسـلمين)[2]، فـولاه عليهم، وكان من شأنه ما ذكره التاريخ من أن كان أول من دعا معاوية لتولية ابنه يزيد حتى يحافظ على منصبه.

2. المواجهة التأويلية:

لقد كان لـذلك الموقـف الـذي وقفـه الخلفـاء الأوائـل في الاستهانة بتعيين الولاة والعمـال آثارهـا السـلبية الخطـيرة على المجتمـع الإسـلامي، ذلـك أن أكـثرهم لم يكن من السـابقين الأولين الـذين تمثلـوا الإسـلام، وضـحوا في سـبيله، وطـالت صحبتهم لرسـول اللـه ﷺ، وتمثلت فيهم الصـحبة الحقيقيـة لـه، وإنما كان أكثرهم من جنس معاوية والمغيرة وغيرهما.

---

1 () الكامل في التاريخ (2/ 413)

2 () الكامل في التاريخ (2/ 413)

وقد استطاع هؤلاء أن يؤسسوا لانحرافات كثيرة طال أمدها، حولت من دين المستضعفين والبسطاء والعدالة الاجتماعية إلى دين أقرب إلى الكسروية والقيصرية والرأسمالية البشعة.

ولذلك نهضت تؤدي واجبك في المعركة التأويلية بعد أن أديت واجبك في المعركة التنزيلية.. وقد استعملت كل الوسائل المتاحة لذلك..

وكان الأصل في الأمة أن تسير خلفك، ذلك أن رسول الله ﷺ اعتبرك مفرقا بين المحقين والمبطلين، وبين الفئة الباغية والفئة الشرعية.. لكنهم لم يفعلوا، وتوهموا أن تلك المقولات مجرد مديح فارغ مثل مدائح الشعراء للملوك، ولم يعلموا أنها حقائق مطلقة، وأن رسول الله ﷺ لا ينطق عن الهوى، فكل ما يقوله عن الله.

لا يمكنني هنا ـ سيدي ـ أن أذكر كل ما فعلته في ذلك، فأنت تعلم الواقع الذي نعيشه، والحال التي وصلنا إليها، فقد اعتبروا الحديث في تصحيح الدين هدما له، ولم يعلموا أن الدين حقائق إلهية، وليس رجالا يُعبدون من دون الله.

ولذلك سأكتفي بتلك النصائح التي نصحت بها الخليفة الثالث، مثلما فعل أخوك أبو ذر والمقداد والكثير من الصحابة، وذلك بعد أن رأيت تسلط الأمويين في عهده على مقاليد الحكم، وتلاعبهم بأموال الأمة، وانتشار كل الظواهر المسيئة للدين.

في ذلك الحين اجتمع كبار الصحابة المنتجبين، ودرسوا الواقع الذي آل إليه حال المسلمين، وخشية على تحريف الدين، كتبوا رسالة، وأمروك بأخذها للخليفة، لعلمهم باحترامه لك، وسماعه ما ورد فيك من الأحاديث التي تبين كونك فارقا بين الحق والباطل، ولعلمهم بقوتك في قول الحق، وعدم تزحزحك عنه.

وقد ذكر المؤرخون ما ورد في تلك الرسالة التي طالبتم فيها بتصحيح الأوضاع، حتى لا تحدث الفتنة، ويضج الناس، ومن المنكرات التي أنكرتموها في تلك الرسالة (ما كان من هبة الخليفة خمس إفريقية لمروان وفيه حق الله ورسوله ومنهم ذوو القربى واليتامى والمساكين.. وما كان من تطاوله في البنيان حتى عدوا سبع دور بناها بالمدينة.. وبنيان مروان

القصور بذي خشب وعمارة الأموال بها من الخمس الواجب لله ولرسوله.. وما كان من إفشائه العمل والولايات في أهله وبني عمه من بني أمية أحداث وغلمة لا صحبة لهم من الرسول ﷺ ولا تجربة لهم بالأمور.. وما كان من الوليد بن عقبة بالكوفة إذ صلى بهم الصبح وهو أمير عليها سكران أربع ركعات ثم قال لهم إن شئتم أزيدكم صلاة زدتكم.. وتعطيله إقامة الحد عليه.. وتأخيره ذلك عنه.. وتركه المهاجرين والأنصار لا يستعملهم على شيء، ولا يستشيرهم، واستغنى برأيه عن رأيهم.. وما كان من الحمى الذي حمى حول المدينة.. وما كان من إدراره القطائع والأرزاق والأعطيات على أقوام بالمدينة ليست لهم صحبة من النبي ﷺ ثم لا يغزون ولا يذبون.. وما كان من مجاوزته الخيزران إلى السوط وأنه أول من ضرب بالسياط ظهور الناس، وإنما كان ضرب الخليفتين قبله بالدرة والخيزران) (1)

وعندما دخلت إلى الخليفة، وكان عنده مروان، ودفعت إليه الكتاب قرأه، ثم قال لك: أنت كتبت هذا الكتاب، فقلت: نعم، فقال: ومن كان معك، قلت: كان معي نفر تفرقوا فرقا منك، قال: من هم، فقلت: لا أخبرك بهم، قال: فلم اجترأت علي من بينهم؟

لم تجد ما تقول حينها، ذلك أن الخليفة كان يعلم بأحاديث رسول الله ﷺ في حقك، وكان يعلم قبل ذلك بوجوب النصيحة لأولياء الأمور.. حينها تكلم مروان، فقال: يا أمير المؤمنين إن هذا العبد الأسود ـ يعنيك ـ قد جرأ عليك الناس، وإنك إن قتلته نكلت به من وراءه(2).

كان الخليفة في ذلك الحين مطواعا لمروان، لكنه خالفه في قتلك، بل اكتفى بقوله: اضربوه.. فضربوك حتى فتقوا بطنك، وغشي عليك، ثم جروك وطرحوك على باب الدار فأمرت أم سلمة زوج النبي ﷺ لما حصل لك، وتذكرت هجرتك معها ومع زوجها أبي سلمة إلى الحبشة، وما حصل لك قبلها من الضرب من طرف المشركين، وتألمت كما تألم الصادقون من تحول الإسلام إلى أيدي من لا يراعي حرماته.

1() الإمامة والسياسة (1/ 31)

2() الإمامة والسياسة (1/ 31)

حينها قام حبيبك الإمام علي، وراح يدافع عنك، لكنهم قابلوه بمثل ما قابلوك به، غير مراعين حرمته، ولا قرابته من رسول الله ﷺ.. لقد قال له حينها الخليفة: (والله يا أبا الحسن ما أدري أشتهي موتك أم أشتهي حياتك، فوالله لئن مت ما أحب أن أبقى بعدك لغيرك لأني لا أجد منك خلفا، ولئن بقيت لا أعدم طاغيا يتخذك سلما وعضدا ويعدك كهفا وملجأ لا يمنعني منه إلا مكانه منك ومكانك منه، فأنا منك كالابن العاق من أبيه، إن مات فجعه، وإن عاش عقه، فإما سلم فنسالم، وإما حرب فنحارب، فلا تجعلني بين السماء والأرض، فإنك والله إن قتلتني لا تجد مني خلفا، ولئن قتلتك لا أجد منك خلفا، ولن يلي أمر هذه الأمة بادئ فتنة) (3)

لم يجد الإمام علي أمام هذا الوضع الخطير الذي آلت إليه الأمة إلا أن يقول: (إن فيما تكلمت به لجوابا، ولكني عن جوابك مشغول بوجعي، فأنا أقول كما قال العبد الصالح ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف: 18])

حينها قال مروان ـ عدوك اللدود ـ: (إنا والله إذا لنكسرن رماحنا، ولنقطعن سيوفنا، ولا يكون في هذا الأمر خير لمن بعدنا)

وقد حصل الوعيد الذي توعد به مروان، الذي كان في ذلك الحين يمارس أدوار الخليفة، وهبت رياح الفتنة الكبرى، وحصل ما نزل بالأمم السابقة، والتي ذكرها الله تعالى فقال: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة: 213]، وقال: ﴿وَآتَيْنَاهُمْ بَيِّنَاتٍ مِنَ الْأَمْرِ فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [الجاثية: 17]

فبعد مقتل الخليفة، وبيعتك وأكثر الصحابة السابقين للإمام علي، راح أولئك الأمويون وغيرهم من الانتهازيين الذين انتفعوا بالوضع السابق، يقومون بالثورة المسلحة، وحينها بدأت

3() الإمامة والسياسة (1/ 31)

الفتنة بظهور الفئة الباغيـة، والـتي كـانت تنتظـرك لتميزهـا عن الفئة المحقة.

لقد اختلف الناس حينهـا ثلاث فـرق.. فرقـة انغمسـت في أهواء الدنيا التي وفرها طغاة بـني أميـة.. وفرقـة جعلهـا الـورع البـارد تقعـد عن أداء واجبهـا في نصـرة الحـق بحجـة العزلـة والحيـاد.. وفرقـة تـذكرت كـل وصـايا رسـول اللـه ﷺ، ودعوتـه للوقوف مع الحق، فلذلك راحت تنصـره بكـل قـوة.. وكنت أنت على رأس تلك الفرقة.

لقد ذكر المحدثون والمؤرخون أدوارك الكبيرة في التحذير من أئمة الفئة الباغية، فقد كنت تقـول مخاطبـا الجمـاهير ممن عـاش في زمانـك، أو جـاء بعـدك، حـتى لا يستسـلموا لتلـك التحريفات التي حرفوا بها الدين: (يا أهـل الإسـلام أتريـدون أن تنظروا إلى من عادى الله ورسوله وجاهدهما، فلما أراد الله أن ينصر دينه وينصر رسوله أتى النبي ﷺ فأسلم، وهـو واللـه فيمـا يُرى راهب غير راغب، وقبض رسول الله ﷺ وإنـا واللـه لنعرفـه بعداوة المسلم ومودة المجـرم! ألا وإنـه معاويـة فـالعنوه لعنـه الله، وقاتلوه فإنه ممن يطفئ نور الله ويظاهر أعداء الله)[1]

وكنت تقول لهم: (اللهم إنـك تعلم أني لـو أعلم أن رضـاك في أن أقذف بنفسي في هذا البحر لفعلته، اللهم إنك تعلم أني لو أعلم أن رضاك في أن أضع ظبة سيفي في صدري ثم أنحني عليها حتى تخـرج من ظهـري لفعلت، وإني لا أعلم اليـوم عملاً هو أرضى لك من جهاد هؤلاء الفاسـقين، ولـو أعلم أن عملاً من الأعمال هو أرض لك منه لفعلته)[2]

وقد حدث عبد الله بن سـلمة عنـك، قـال: كنـا عنـد عمـار بصفين وعنده شاعر ينشـده هجـاء في معاويـة وعمـرو؛ وعمـار يقول له: الصق بالعجوزين، فقال له رجل: أيقال الشعر عنـدكم ويسب أصحاب رسول الله ﷺ ويسب أصحاب بدر؟! فقال: (إن شـئت فاسـمع، وإن شـئت فـاذهب، فـإن معاويـة وعمـراً قعـدا بسبيل الله يصدان عنـه، فاللـه سـابهما وكـل مسـلم، وإنـه لمـا هجانا المشركون شكونا ذلك إلى رسول الله ﷺ فقـال: (قولـوا

1() وقعة صفين (ص 213)، تاريخ الطبري: 3/ 82.

2() تاريخ الطبري: ج 3 / ص 96.

لهم كما يقولون لكم فإن كنا لنعلمه الإماء بالمدينة)[1]

ولم تكن تكتفي بالكلمات، بل كنت تحمل سيفك الذي قاتلت به في معركة التنزيل، لتقاتل به من جديد في معركة التأويل، ذلك أنك كنت تعلم أن معركة التأويل أخطر من معركة التنزيل.

لقد حدث عبد الله بن سلمة عنك قال: رأيت عماراً يوم صفين شيخاً كبيراً آدم طوالاً أخذ الحربة بيده ويده ترعد فقال: (والذي نفسي بيده لقد قاتلت صاحب هذه الراية مع رسول الله ﷺ ثلاث مرات وهذه الرابعة، والذي نفسي بيده لو ضربونا حتى يبلغونا سعفات هجر لعرفت أن مصلحينا على الحق وأنهم على الضلالة)[2]

وقد كان دورك في المعركة مع المؤولة قويا وواضحا، فأنت المطمئن بالإيمان الذي لا يتردد، ولا يتلكأ عن كل واجب ينهض إليه.

لقد وصف المؤرخون بكل دقة بعض ما حصل في ذلك الوقت.. وكيفية وقوفك مع الحق، والفئة الممثلة له، وذكروا أن الإمام علي لما أراد المسير إلى أهل الشام، حيث يقع مركز الفئة الباغية، دعا من كان معه من المهاجرين والأنصار يحيي سنة الشورى فيهم، فحمد الله وأثنى عليه وقال: (أما بعد فإنكم ميامين الرأي، مراجيح الحلم، مقاويل بالحق، مباركو الفعل والأمر، وقد أردنا المسير إلى عدونا، وعدوكم فأشيروا علينا برأيكم) [3]

حينها قام هاشم بن عتبة بن أبى وقاص، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله، ثم قال: (أما بعد يا أمير المؤمنين فأنا بالقوم جد خبير، هم لك ولأشياعك أعداء، وهم لمن يطلب حرث الدنيا أولياء، وهم مقاتلوك ومجاهدوك لا يبقون جهدا، مشاحة على الدنيا، وضنا بما في أيديهم منها، وليس لهم إربة غيرها إلا ما

1() أنساب الأشراف: 1/ 328.

2() قال الهيثمي في مجمع الزوائد (ج 7 / ص 175): رواه أحمد والطبراني ورجال أحمد رجال الصحيح غير عبد الله بن سلمة وهو ثقة، وقال البوصيري في كتابه: (إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة) (ج 8 / ص 5): رواه أبوداود الطيالسي وأبو يعلى وأحمد بن حنبل بسند صحيح.

3() وقعة صفين (ص: 92)

يخـدعون بـه الجهـال من الطلب بـدم عثمـان بن عفـان، كـذبوا ليسوا بدمه يثأرون، ولكن الدنيا يطلبون.. فسـر بنـا إليهم، فـإن أجـابوا إلى الحــق فليس بعــد الحــق إلا الضــلال، وإن أبــو إلا الشقاق فذلك الظن بهم.. واللـه مـا أراهم يبـايعون وفيهم أحـد ممن يطاع إذا نهى، ولا يسمع إذا أمر) (1)

بعدها قمت أنت بطولك الفارع، وصوتك المجلجل، فذكرت اللـه بمـا هـو أهلـه، وحمدتـه، ثم قلت: (يـا أمـير المؤمـنين، إن استطعت ألا تقيم يوما واحدا فافعل، اشخص بنا قبل استعار نار الفجــرة، واجتمــاع رأيهم على الصــدود والفرقــة، وادعهم إلى رشدهم وحظهم. فإن قبلوا سعدوا، وإن أبوا إلا حربنا فوالله إن سفك دمائهم، والجد في جهادهم، لقربة عند اللـه، وهـو كرامـة منه) (2)

ثم قام قيس بن سعد بن عبادة، فحمد الله وأثنى عليـه ثم قال: (يا أمير المؤمنين، انكمش بنا إلى عدونا ولا تعـرد، فواللـه لجهادهم أحب إلى من جهـاد الـترك والـروم، لإدهـانهم في دين اللــه، واســتذلاهم أوليــاء اللــه من أصــحاب محمــد ﷺ، من المهاجرين والأنصار والتـابعين بإحسـان.. إذا غضـبوا على رجـل حبسوه أو ضربوه أو حرموه أو سيروه، وفيئنا لهم في أنفسـهم حلال، ونحن لهم ـ فيما يزعمون رقيق) (3)

ثم قام سهل بن حنيف، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: (يـا أمير المؤمـنين، نحن سـلم لمن سـالمت، وحـرب لمن حـاربت، ورأينا رأيك ونحن كف يمينك، وقد رأينا أن تقوم بهـذا الأمـر في أهل الكوفة، فتأمرهم بالشخوص، وتخـبرهم بمـا صـنع اللـه لهم في ذلك من الفضل، فإن أهل البلد هم النـاس، فـإن اسـتقاموا لك استقام لك الذى تريـد وتطلب، وأمـا نحن فليس عليـك منـا خلاف، متى دعوتنا أجبناك، ومتى أمرتنا أطعناك) (4)

بعد تلك المشورة التي أحيـا بهـا الإمـام علي السـنة الـتي أميتت، قام خطيبا على المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قـال: (سـيروا إلى أعـداء اللـه.. سـيروا إلى أعـداء السـنن والقـرآن،

---

1 () وقعة صفين (ص: 92)

2 () وقعة صفين (ص: 93)

3 () وقعة صفين (ص: 93)

4 () وقعة صفين (ص: 94)

سيروا إلى بقية الأحزاب، قتلة المهاجرين والأنصار) [1]

في ذلك الحين قدم بعض المتشككين إلى الإمام علي، وهو أبو زبيب بن عوف، فقال: (يا أمير المؤمنين، لئن كنا على الحق لأنت أهدانا سبيلا، وأعظمنا في الخير نصيبا، ولئن كنا في ضلالة إنك لأثقلنا ظهرا وأعظمنا وزرا: أمرتنا بالمسير إلى هذا العدو وقد قطعنا ما بيننا وبينهم من الولاية، وأظهرنا لهم العداوة، نريد بذلك ما يعلم الله من طاعتك، وفي أنفسنا من ذلك ما فيها.. أليس الذى نحن عليه الحق المبين، والذى عليه عدونا الغى والحوب الكبير؟)[2]

فقال الإمام على: (بلى، شهدت أنك إن مضيت معنا ناصرا لدعوتنا، صحيح النية في نصرتنا، قد قطعت منهم الولاية، وأظهرت لهم العداوة كما زعمت، فإنك ولى الله تسيح في رضوانه، وتركض في طاعته: فأبشر أبا زبيب) [3]

وقلت أنت: (اثبت أبا زبيب ولا تشك في الأحزاب عدو الله ورسوله)

وحين سمعكما الرجل، قال: (ما أحب أن لي شاهدين من هذه الأمة فيشهدا لي على ما سألت عنه من هذا الأمر الذى أهمني مكانكما)

لبست حينها لباس الحرب، ورحت تسير جذلان كعادتك في حروبك مع المشركين، مطمئنا بالحق الذي تحمله، وبالبشارات التي بشرت بها..

كنت في طريقك إلى حرب أعداء الدين، تصيح مرتجزا:

سيروا إلى الأحزاب سيروا فخير الناس

أعداء الـ أتباع عا

هذا أوان طاب سل وقودنا الخيل وهز

الـ في الـ

وكان أصحاب رسول الله ﷺ وغيرهم من التابعين يسيرون خلفك، وينظرون إليك كل حين ليطمئنوا أنهم مع ممثل الفئة المحقة، وقد حدث أبو عبد الرحمن السُّلَمي عنك، فقال: (رأيت عمَّاراً وهاشم بن عتبة وهما يسعيان بين الصفَّين، فقال عمار: يا هاشم، هذا والله ليخلفنّ أمره وليخذلنّ جنده.. ثم قال: يا

1() وقعة صفين (ص: 94)

2() وقعة صفين (ص: 100)

3() وقعة صفين (ص: 101)

هاشم الجنة تحت الأبارقة، اليـوم ألقى الأحبَّة: محمـداً وحزبـه.. ثم أخـذ في وادٍ من أوديـة صِـفِّين.. ورأيت أصـحاب محمـد ﷺ يتبعون عماراً كأنه لهم عَلَمٌ) (1)

ورووا عنك أنك كنت حينها تردد مخاطبـا رفيقك هاشـم بن عتبة ـ صاحب رايـة الإمـام علي: (يـا هاشـم تقـدَّم، الجنـة تحت ظلال السيوف، والموت في أطراف الأسنّة، وقـد فتحت أبـواب الجنة، وتزيّنت الحور العين، اليوم ألقى الأحبّة، محمـداً وحزبـه) (2)

ورووا بعض مواقف المتشككين التي كنت أنت سبب زوال الشك عن أصحابها، ومنها أن بعضهم، وكان اسمه أبا نوح، قال: كنت في الخيـل يـوم صـفين في خيـل على، وهـو واقـف بين جماعة من همدان وحمـير وغـيرهم من أفنـاء قحطـان، وإذا أنـا برجل من أهل الشـام يقـول: من دل على الحميري أبى نـوح؟ فقلنا: هذا الحميرى فـأيهم تريـد؟ قـال: أريـد الكلاعى أبـا نـوح، قلت: قد وجدته فمن أنت؟ قال: أنـا ذو الكلاع، سـر إلى، فقـال ذو الكلاع: إنما دعوتـك أحـدثك حـديثا حـدثناه عمـرو بن العـاص قديما في إمارة عمر.

فسأله أبو نوح عن الحديث، فقال ذو الكلاع: حـدثنا عمـرو بن العـاص أن رسـول اللـه ﷺ قـال: (يلتقى أهـل الشـام وأهـل العراق وفي إحدى الكتيبتين الحق وإمام الهدى ومعـه عمـار بن ياسر)، فقال أبو نوح: لعمر الله إنه لفينا، فقال ذو الكلاع: أجـاد هو في قتالنا؟ قال أبو نـوح: (نعم ورب الكعبـة، لهـو أشـد على قتالكم منى، ولوددت أنكم خلق واحد فذبحته وبـدأت بـك قبلهم وأنت ابن عمى)، قال ذو الكلاع: ويلـك، علام تتمـنى ذلـك منـا؟ واللـه مـا قطعتـك فيمـا بيـني وبينـك، وإن رحمـك لقريبـة، ومـا يسرني أن أقتلك، فقال أبو نوح: (إن الله قطع بالإسلام أرحامـا قريبة، ووصل به أرحاما متباعـدة، وإنى لقاتلـك أنت وأصـحابك، ونحن على الحـق وأنتم على الباطـل مقيمـون مـع أئمـة الكفـر ورؤوس الأحزاب) (3)

حينها تصور ذو الكلاع أنه يمكن أن ينشر ذلك الحـديث بين

---

1 () تاريخ الطبري (5/ 40)

2 () تاريخ الطبري (5/ 40)

3 () وقعة صفين (ص: 334)

أصحاب الفئة الباغية ليردعها عن بغيها، فطلب من أبي نـوح أن يسير معه إليها، وقال: هل تستطيع أن تأتى معى في صف أهل الشام، فأنا جار لك من ذلك ألا تقتـل ولا تسـلب ولا تكـره على بيعـه، ولا تحبس عن جنـدك، وإنمـا هي كلمـة تبلغهـا عمـرو بن العـاص، لعـل اللـه أن يصـلح بـذلك بين هـذين الجنـدين، ويضـع الحرب والسلاح)، فقال أبـو نـوح: إنى أخـاف غـدراتك وغـدرات أصحابك، فقال له ذو الكلاع: أنا لك بما قلت زعيم.

حينها سار أبو نوح، وهو يقول: اللهم إنك ترى مـا أعطـاني ذو الكلاع وأنت تعلم مـــا في نفســـي، فاعصـــمني واخـــتر لي وانصرني وادفع عنى.

وحينمـا قـدموا على عمـرو بن العـاص وهـو عنـد معاويـة وحوله الناس، وكـان معهم عبـد اللـه بن عمـرو يحـرض النـاس على الحرب، فلما وقفا على القوم قال ذو الكلاع لعمرو: يـا أبـا عبد الله، هل لك في رجل ناصح لبيب شفيق يخـبرك عن عمـار بن ياسر لا يكذبك؟

فقال عمرو: ومن هو؟ قال: ابن عمى هـذا، وهـو من أهـل الكوفة.. فقال عمرو: إنى لأرى عليك سيما أبى تراب.. قال أبـو نـوح: علي سـيما محمـد ﷺ وأصـحابه، وعليـك سـيما أبى جهـل وسيما فرعون.

فقام أبو الأعور فسل سيفه، ثم قـال: لا أرى هـذا الكـذاب اللـئيم يشـاتمنا بين أظهرنـا وعليـه سـيما أبى تـراب، فقـال ذو الكلاع: أقســم باللــه لئن بســطت يــدك إليــه لأخطمن أنفــك بالسيف، ابن عمى وجاري عقدت لـه بـذمتي، وجئت بـه إليكمـا ليخبركما عما تماريتم فيه.

فقـال عمـرو بن العـاص: أذكـرك باللـه يـا أبـا نـوح إلا مـا صدقتنا، ولم تكذبنا، أفيكم عمار بن ياسر؟ فقال له أبو نوح: مـا أنا بمخبرك عنـه حـتى تخـبرني لم تسـألني عنـه، فإنـا معنـا من أصحاب رسول الله ﷺ عدة غيره، وكلهم جاد على قتالكم.

فقال عمرو: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إن عمارا تقتله الفئة الباغية، وإنه ليس ينبغى لعمار أن يفارق الحـق ولن تأكـل النار منه شيئا)(1)

حينها صاح أبو نوح مهللا، وهو يقول: لا إلـه إلا اللـه، واللـه

1() وقعة صفين (ص: 335)

أكبر، والله إنه لفينا، جاد على قتالكم.

فقال عمرو: والله إنـه لجـاد على قتالنـا؟ قـال: نعم واللـه الذى لا إله إلا هو، ولقد حدثنى يوم الجمـل أنـا سـنظهر عليهم، ولقد حدثنى أمس أن لو ضربتمونا حتى تبلغوا بنا سعفات هجــر لعلمنا أنا على حـق وأنهم على باطـل، ولكـان قتلانـا في الجنـة وقتلاكم في النار.

حينها طلب عمرو أن يجمعه بـه، وقـال: فهـل تسـتطيع أن تجمع بيني وبينه؟ قال: نعم.

فركب عمرو بن العاص، وابناه، وعتبة بن أبى سفيان، وذو الكلاع، وأبو الأعور السلمى، وحوشب، والوليد بن عقبـة بن أبى معيط، فانطلقوا حتى أتوا خيولهم.

ثم ذهب أبو نوح ومعه ابن ذي الكلاع إليك، وقصا عليك مـا جرى، وطلبا منك أن تسير إلى هؤلاء الذين يريـدون أن يتأكـدوا من موقفـك، حينهـا ضـحكت على بسـاطتهما، وقلت لأبي نـوح: هـل يسـرك ذلـك؟ قـال: نعم، فقـد أخـبرني السـاعة عمـرو بن العاص أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: (عمار يقتله الفئة الباغية)

فقلت: أقررته بذلك؟ قال: نعم أقررته فأقر..

كنت تعلم هجر هـؤلاء للقـرآن ولأحـاديث رسـول اللـه ﷺ، ولذلك قلت له: صدق، وليضرنه ما سمع ولا ينفعه.

ثم سرت معه إليهم، وأنت تعلم غدرهم، لكنـك أبيت إلا أن تقيم الحجة عليهم، وبعد أن التقيت بهم تشهد عمرو، فقلت له: (اسكت، فقد تركتها في حياة محمد ﷺ وبعد موتـه، ونحن أحـق بها منك، فـإن شـئت كـانت خصـومة فيـدفع حقنـا باطلـك، وإن شئت كانت خطبة فنحن أعلم بفصل الخطاب منـك، وإن شـئت أخبرتك بكلمة تفصل بيننا وبينك وتكفرك قبل القيام، وتشهد بها على نفسك، ولا تستطيع أن تكذبني فيها) (1)

حينها أخبرك عمرو عن سر مجيئه، وقال: يـا أبـا اليقظـان، ليس لهذا جئت، إنما جئت لأنى رأيتك أطوع أهـل هـذا العسـكر فيهم.. أذكرك الله إلا كففت سلاحهم وحقنت دماءهم، وحرضت على ذلك، فعلام تقاتلنا؟ أو لسنا نعبـد إلهـا واحـدا، ونصـلي إلى قبلتكم، وندعو دعوتكم، ونقرأ كتابكم، ونؤمن برسولكم.

رحت حينها تبين لـه الفـرق بين معركـة التنزيـل، ومعركـة

1() وقعة صفين (ص: 337)

التأويـل، فقلت: (الحمـد للـه الـذى أخرجهـا من فيـك، إنهـا لي ولأصحابي: القبلة، والدين، وعبادة الرحمن، والنبي ﷺ، والكتاب من دونك ودون أصـحابك.. الحمـد للـه الـذى قـررك لنـا بـذلك، دونـك ودون أصـحابك، وجعلـك ضـالا مضـلا.. وسـأخبرك علام قاتلتك عليه أنت وأصـحابك.. أمـرني رسـول اللـه ﷺ أن أقاتـل الناكثين، وقد فعلت، وأمرني أن أقاتـل القاسـطين، فـأنتم هم.. وأما المارقون فما أدرى أدركهم أم لا.. أيها الأبـتر، ألسـت تعلم أن رسـول اللـه ﷺ قـال لعلى: (من كنت مـولاه فعلى مـولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه)، وأنا مولى الله ورسوله ﷺ وعلى بعده، وليس لك مولى)

لم يلتفت عمرو لتلك الحقائق التي كنت تقولها لـه، والـتي كان يعلمها، ويتجاهلها، ولذلك راح يهون من شـأنك، فقـد كـانوا يسبونك بسوادك، وبأمك الشهيدة، ويسمونك ابن سـمية، فقلت لـه: (إن الكـريم من أكرمـه اللـه، كنت وضـيعا فرفعـني اللـه، ومملوكا فأعتقني الله، وضـعيفا فقـواني اللـه، وفقـيرا فأغنـاني الله)

وانتهى المجلس، وعـاد البغـاة إلى ديـارهم، من دون أن يلفتوا لتلك الأحاديث العظيمة التي وردت في حقك، مع كـونهم من رواتها.. ولكن الشيطان الذي استطاع أن يحتـال على الأمم الأخرى ببغيها وحسدها استطاع أن يحتال على هذه الأمة أيضا.

وقد اسـتطاع عمـرو أن يحتـال على ذي الكلاع، حيث قـال له: (إنـه سـيرجع إلينـا، ويفـارق أبـا تـراب)، فصـدقه ذو الكلاع، وبقي في عسكر الفئة الباغية، ينتظر عـودة عمـار إلى معاويـة، وقـد شـاء اللـه أن يقتلا في نفس اليـوم.. حينهـا قـال عمـرو مخاطبا معاوية: (والله يا معاوية مـا أدرى بقتـل أيهمـا أنـا أشـد فرحا.. واللـه لـو بقى ذو الكلاع حـتى يقتـل عمـار لمـال بعامـة قومه إلي على، ولأفسد علينا جندنا) (1)

لن أقص عليك كل مـا ذكـره المؤرخـون من مـآس، وإنمـا سأكتفي بذكر شهادتك.. فما أجمل ذلك اليوم الذي سـرت فيـه إلى ربك، لتلقى الأحبة الذين عشت جميع حياتك مشتاقا لهم.

لقد كنت حينهـا ممتلئـا سـرورا وسـعادة ليقينـك بأنـك قـد أكملت جميـع الكلمـات الـتي كلفت بهـا، وحفظت جميـع عهـود

1() وقعة صفين (ص: 341)

النبوة، وأنه آن لشهادتك التي تأخرت، أن يتحقق أجلها، فتلتحق بأبيك وأمك، بعد أن أكملت كل ما عليك من وظائف.

لقد ذكر المؤرخون أنك قبل استشهادك أصابتك تلك الغشية التي سببها لك المشركون في حرب التنزيل، ثم سببها من بعدهم المبدلون في حرب التأويل، فرووا عن بعضهم أنه قال: (نظرت إلى عمار بن ياسر يوما من أيام صفين رمى رمية فأغمى عليه ولم يصل الظهر، ولا العصر، ولا المغرب، ولا العشاء، ولا الفجر ثم أفاق فقضاهن جميعا، يبدأ بأول شيء فاته، ثم بالتي تليها)

ويوم استشهادك جيء لك بشربة من لبن، ففرحت عندما رأيتها، ثم قلت: إنى سمعت خليلي رسول الله ﷺ يقول: (إن آخر زادك من الدنيا شربة لبن) (1)

وبعد أن شربتها، خرجت تردد في ساحة المعركة:

كلا ورب البيت لا ... حتى أموت أو أرى ما

أ ... أ ... أشتهي

أنا مع الحق أحامي ... صهر النبي ذي

... ... الأفاضل الوفي

نقتل أعداه وينصرنا ... ونقطع الهام بحد

الها ... الهاشمي

والله ينصرنا على ... ظلما علينا جاهدا ما

... ... أتيا

وقد روى المؤرخون على لسان الذين قتلوك آخر كلماتك، حيث ذكروا أن ابن جون جاء لعمرو وقال: أنا قتلت عمارا، فقال له عمرو: فما كان آخر منطقه؟ قال سمعته: (يقول: اليوم ألقى الأحبة محمدا وحزبه)، فقال له عمرو: (صدقت، أنت صاحبه، أما والله ما ظفرت يداك ولكن أسخطت ربك) (2)

ورووا أنه احتج رجلان في سلبك، كلاهما يدعي ذلك، يبتغي الأجر من معاوية، فأتيا عبد الله بن عمرو فقال لهما: ويحكما، اخرجا عنى فإن رسول الله ﷺ قال: (ولعت قريش بعمار.. ما لهم ولعمار يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار، قاتله وسالبه في النار) (3)

لكن كل هذه الأحاديث لم تجدي في ردع الفئة الباغية، لا

---

1 () وقعة صفين (ص: 342)

2 () وقعة صفين (ص: 342)

3 () وقعة صفين (ص: 342)

في ذلك الزمان، ولا في هذا الزمان، فلا زال معاوية يتربع على ذلك العرش الذي تسلط عليه ببغيه، لا العرش المصنوع من الخشب فقط، وإنما عروش القلوب التي نسيتك وذكرته، وجحدتك وشكرته.. فعشرات الكتب تؤلف عنه، ولا يؤلف عنك كتاب واحد.

لكن زمانك سيدي قادم مع كل الذين عاشوا المعاني التي عشت من أجلها، وسوف تنبت بذور كلماتك من جديد، وسيعود الإسلام الأصيل معها، وسيرتفع اسمك، وتنخفض أسماؤهم، بعد أن يأذن الله لدولة دين البشر أن تسقط، وتحل بدلها دولة دين الله الأصيل الذي لا يغير ولا يبدل.

رسالة إلى سلمان الفارسي

سيدي سلمان الفارسي.. عفوا المحمدي..

أيها الصحابي الجليل.. الباحث عن الحقيقة.. المهتدي لها.. السائر في طريقها.. الدال عليها.. صاحب اللسان الحكيم، والقلب السليم، والصيت العظيم.

يا من شرفك رسول الله ﷺ بقبولك في عترته الطاهرة، وأهل بيته الصادقين الصالحين، بعد أن تبرأت من كل نسبة غير نسبتك لله ورسوله، فقال عنك: (سلمان منا أهل البيت)[1]

وقد صارت تلك نسبتك التي يعرفك بها الصالحون، فأنت الوحيد الذي شرف بعدم النسبة إلى قومه، وإنما ينسب إلى نبيه، وقد كان الإمام الصادق يذكرك ويعظمك كثيرا، وحين سأله بعضهم عن ذلك، وقال له: (ما أكثر ما أسمع منك ذكر سلمان الفارسي؟)، أجابه بقوله: (لا تقل سلمان الفارسي، ولكن قل سلمان المحمدي، أتدري ما أكثر ذكري له؟)، فقال الرجل: لا.. فقال الإمام الصادق: (لثلاث خصال: إيثاره هوى أمير المؤمنين الإمام علي على نفسه، والثانية: حبه للفقراء واختياره إياهم على أهل الثروة والعدد، والثالثة: حبه للعلم والعلماء)[2]

وهكذا كان الإمام علي يشبهك بلقمان الحكيم، ويقول: (سلمان أمرؤ منا وإلينا أهل البيت، من لكم بمثل لقمان الحكيم، علم العلم الأول والعلم الآخر، وقرأ الكتاب الأول والكتاب الآخر، وكان بحراً لا ينزف)[3]

وكان يخصك بالصلاة، ويذكر سر ذلك التخصيص، فعن زاذان الكندي، قال: كنا عند علي ذات يوم فوافق الناس منه طيب نفس ومزاح، فقالوا: يا أمير المؤمنين حدثنا عن أصحابك، قال: عن أي أصحابي؟ قالوا: عن أصحاب محمد ﷺ، قال: كل أصحاب محمد ﷺ أصحابي، فعن أيهم؟ قالوا: عن الذين رأيناك تلطفهم بذكرك والصلاة عليهم دون القوم، حدثنا عن سلمان،

1() رواه الحاكم 3/691 ح(6539)، المعجم الكبير للطبراني 6/212 ح6040)

2() رواه الطوسي في أماليه 1: 133.

3() بحار الأنوار 22 / 347..

قال: من لكم بمثل لقمان الحكيم؟ ذاك امرؤ منا وإلينا أهل البيت، أدرك العلم الأول والعلم الآخر، وقرأ الكتاب الأول والكتاب الآخر، بحر لا ينزف) [1]

وكان يقول لمن سأل عنك، غير عارف بفضلك: (ما أقول في رجل خلق من طينتنا، وروحه مقرونة بروحنا، خصه الله تبارك وتعالى من العلوم بأولها وآخرها وظاهرها وباطنها وسرها وعلانيتها)

ثم يروي لهم كيف كان رسول الله ﷺ يعظمك، ويعرف فضلك، فيقول: (ولقد حضرت رسول الله ﷺ وسلمان بين يديه، فدخل أعرابي فنحاه عن مكانه وجلس فيه، فغضب رسول الله ﷺ حتى درٍ العرق بين عينيه واحمرتا عيناه، ثم قال: يا أعرابي، أتنحى رجلاً يحبه الله تعالى ورسوله.. يا أعرابي، أتنحي رجلاً ما حضرني جبريل إلا أمرني عن ربي عز وجل أن أقرئه السلام.. يا أعرابي، إن سلمان مني، من جفاه فقد جفاني ومن آذاه فقد آذاني، ومن باعده فقد باعدني، ومن قربه فقد قربني) [2]

وهكذا كان يذكرك كل حين، ويذكر معك المنتجبين من أصحاب رسول الله ﷺ الذين حافظوا على العهد، ومثلوا الإسلام وجميع القيم الرفيعة التي جاء بها.. وكان يقول: (ضاقت الأرض بسبعة، بهم ترزقون، وبهم تنصرون، وبهم تمطرون، منهم: سلمان الفارسي، والمقداد، وأبو ذر، وعمار، وحذيفة)، ثم يقول: (وأنا إمامهم، وهم الذين صلوا على فاطمة) [3]

وعلى دربه سار جميع أئمة أهل البيت.. فكلهم كانوا يثنون عليك، ويذكرون فضلك، ويذكرون سبب تلك المناقب العظيمة التي شرفت بها، وقد قال عنك الإمام الباقر: (إن سلمان منا أهل البيت، إنه كان يقول للناس: هربتم من القرآن إلى الأحاديث، وجدتم كتاباً دقيقاً حوسبتم فيه على النقير والقطمير والفتيل وحبة الخردل، فضاق عليكم ذلك، وهربتم إلى الأحاديث

---

1 () حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (1/ 187)

2 () رواه أحمد (38/ـ 122)، وفي فضائل الصحابة (1176)، ومن طريقه أخرجه الحاكم 3/130.

3 () رواه الكشى في رجاله، ص 4 ورواه الصدوق أيضا في الخصال، وفرات بن إبراهيم في تفسيره ص 215.

التي اتسعت عليكم)[1]

وكيف لا يذكرون ذلك، وجدهم رسول الله ﷺ هو الذي سن سنة الثناء عليك، فقد قال فيك: (نزل علي الروح الأمين فحدثني أن الله تعالى يحب أربعة من أصحابي)، فقال له من حضر: من هم يا رسول الله؟ فقال: (علي وسلمان وأبو ذر والمقداد)، وقال فيك: (اشتاقت الجنة إلى أربعة: علي والمقداد وعمار وسلمان) [2]

وكان يغضب غضبا شديدا من أولئك القوميين والعنصريين الذين كانوا ينظرون إليك وإلى المستضعفين من الصحابة باحتقار، ففي الحديث عن أبي سلمة بن عبد الرحمن قال: جاء قيس بن مطاطية إلى حلقة فيها سلمان الفارسي وصهيب الرومي وبلال الحبشي، فقال: هؤلاء الأوس والخزرج قاموا بنصرة هذا الرجل، فما بال هؤلاء؟ فقام معاذ، فأخذ بتلبيبه حتى أتى به النبي ﷺ، فأخبره بمقالته، فقام رسول الله ﷺ مغضباً يجر رداءه حتى دخل المسجد، ثم نُودي الصلاة جامعة، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: (يا أيها الناس إنَّ الربَّ رب واحد، وإن الأب أب واحد، وإن الدين دين واحد، ألا وإن العربية ليست لكم بأب ولا أم، إنما هي لسان فمن تكلم بالعربية فهو عربي). فقال معاذ وهو آخذ بتلبيبه: يا رسول الله ما تقول في هذا المنافق؟ فقال: (دعه إلى النار) قال: فكان فيمن ارتد فقُتل في الردة[3].

وحدث الإمام الباقر، قال: (جلس جماعة من أصحاب رسول الله ﷺ ينتسبون ويفتخرون وفيهم سلمان، فقال له عمر: ما نسبتك أنت يا سلمان، وما أصلك؟ فقال: أنا سلمان بن عبد الله، كنت ضالاً، فهداني الله بمحمد، وكنت عائلاً، فأغناني الله بمحمد، وكنت مملوكاً فاعتقني الله بمحمد، فهذا حسبي ونسبي يا عمر.. ثم خرج رسول الله ﷺ، فذكر سلمان ما قال عمر، وما أجابه به، فقال رسول الله ﷺ: (يا معشر قريش ؛ إن حسب المرء دينه، ومروته خلقه، وأصله عقله، قال الله تعالى: ﴿ يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ

1() رجال الكشى: 12.

2() حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (1/ 190)

3() تاريخ دمشق لابن عساكر (21/ 407)

شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ [الحجرات: 13]، ثم أقبل على سلمان فقال له: (سلمان، إنه ليس لأحد من هؤلاء عليك فضل إلا بتقوى الله عز وجل، فمن كنت أتقى منه فأنت أفضل منه)[1]

ائذن لنا سيدي في أن نستن بهذه السنة، ونسير هذه السيرة، فنتحدث عنك ومعك.. فما أجمل الحديث مع الحكماء العلماء الصادقين.. وما أجمل الحديث مع من ترفعوا عن طينتهم لينالوا بدلها الجواهر المقدسة.. وما أجمل الحديث عن ذلك الذي اتفقت عليه طوائف الأمة، ولم يختلف فيه اثنان منها.

وقد رأيت ـ سيدي ـ أنك ـ بتلك المعاني التي وصفت بها ـ صرت رمزا للحقيقة، فأنت الذي جاهدت طويلا في البحث عنها، ثم جاهدت طويلا في الدلالة عليها.. فأنت الباحث عن الحقيقة، وأنت الدال عليها.

1. الباحث عن الحقيقة:

سيدي يا لقمان هذه الأمة، وحكيمها..

لا يمكن لأحد أن يتحدث عنك، دون أن يتحدث عن رحلتك للحقيقة.. تلك الرحلة التي أمضيت فيها جزءا طويلا من عمرك، تقطع المسافات الطوال، وتتعرض لكل أنواع البلاء إلى أن وصلت إلى منبع الحقيقة ومركزها، ففنيت فيها، وصرت جزءا منها.

لقد حدثت عن تلك الرحلة الطويلة التي وصفتها، فقلت: (قد تداولني بضعة عشر من رب إلى رب)[2]

وأشار إليها رسول الله ﷺ عندما تحدث عنك وعن قومك الفرس وصدقهم في إيمانهم، واجتهادهم فيه، فقال: (لو كان الإيمان عند الثريا لناله رجال من هؤلاء)[3]، وأشار إليك.

وصدق رسول الله ﷺ.. فقد كان عمه أبو لهب، وأكثر قريش من الذين عرفوا رسول الله ﷺ من صباه الباكر، وعرفوا أمانته وصدقه، ورأوا معجزاته، وسمعوا القرآن الكريم غضا طريا.. وهم يتقنون اللغة التي نزل بها، ويقرون له بالإعجاز، ومع ذلك حجبوا عن الإيمان، واهتديت أنت.

---

1 () الدرجات الرفيعة 205 / 206.

2 () حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (1/ 195)

3 () مسلم (2546) (231)، والنسائي في الكبرى (8278)

فلـذلك أنت البـاحث عن الحقيقـة، الصـادق في طلبهـا.. ولـذلك كنت أهلا لأن تصـل إليهـا، ويحجب أولئـك الـذين امتلأت نفوسهم كبرا، وقلوبهم حقدا.

لقد ذكرت بداية رحلتك، ومعها ذكرت بداية نشـأتك، وأنـك كنت من أسرة غنية، فأبوك ـ كما ذكـرت ــ رئيس للقريـة الـتي كنت تسكن فيها.. وكان لكم مال وجاه.. ولذلك لم تكن رحلتـك في طلب الرزق، وإنما كانت في طلب الحقيقة.

لقد قلت تخاطب الذين سـألوك عن رحلتـك إلى الحقيقـة: (كنت رجلاً من أهل فارس، من أهل أصبهان من قرية يقال لها: (جي)، وكان أبي دهقان أرضه (رئيس القرية)، وكـان يحبُّني حبًّا شديدًا، لم يحبَّه شيئًا من ماله ولا ولده، فمـا زال بـه حبـه إيـاي حــتى حبســني في بيت كمــا تُحبَس الجاريــة، واجتهــدت في المجوسية، حتى كنت قاطنَ النارِ الذي يُوقِـدها ولا يتركهـا تخبـو ساعة، فكنت كذلك لا أعلم من أمر الناس شيئًا إلا مـا أنـا فيـه) (1)

لكن اللـه تعـالى شـاء أن يخرجـك من تلـك القيـود الـتي وضعت لتحول بينك وبين الوصول للحقيقة، فقـدر من الأسـباب ما يسر ذلك لك.. لقد ذكرت ذلك، فقلت ـ تتحدث عن والــدك ـ (بنى أبي بنيانًا له، وكانت له ضـيعة فيهـا بعض العمـل، فـدعاني فقال: أي بُنَي، إنه قد شـغلني مـا تـرى من بنيـاني عن ضـيعتي هذه، ولا بد من اطلاعها، فانطلق إليها، فمُـرْهم بكـذا وكـذا، ولا تحتبس عني، فإنك إن احتبست عـني شـغلتني عن كـل شـيء، فخرجت أريد ضيعته، فمررتُ بكنيسة النصارى)

وهنا بـدأت رحلتـك من المجوسـية إلى المسـيحية، وبـدأت تلتــذ بالتنقــل في عــالم الحقــائق.. لقــد ذكــرت ذلــك، فقلت: (فسمعت أصواتهم فيها، فقلت: ما هذا؟ فقالوا: هؤلاء النصـارى يصلُّون، فدخلت أنظر، فأعجبني ما رأيت من حالهم، فو الله مـا زلتُ جالسًا عندهم حتى غربت الشـمس، وبعث أبي في طلـبي في كل وجـه حـتى جئتـه حين أمسـيت، ولم أذهب إلى ضـيعتِه،

1() انظر هذه القصة بطولها في: أسـد الغابـة لابن الأثـير (2/ـ 265ـ 267)، مسـند أحمد (5/ 437ـ 444)، وطبقات ابن سعد (4/ 45)، والتاريخ الكبير للبخاري (4/ 135-136)، وتهذيب الأسماء واللغات للنووي (1/ـ 163ـ 171)، ومجمـع الزوائـد للهيثمي (9/ 332- 344)، وأسد الغابة لابن الأثير (2/ 365)

فقال أبي: أين كنت؟ ألم أكن قلت لك: لا تحتبس عني؟ فقلت: يا أبتاه! مـررتُ بنـاس يقـال لهم: النصـارى، فـأعجبني صـلاتهم ودعاؤهم فجلست أنظر كيف يفعلون)

وهنا بدأت معاناتك مع الواقفين في وجـه الحقيقـة، الـذين يصرفون الخلق عن اتباعهـا، وكـان أولهم أهلـك الأقربـون، لقـد قلت تصف معاناتـك معهم: (قـال لي أبي: أي بـني، دينـك ودين آبائك خـير من دينِهم، فقلت: لا واللـهِ، مـا هـو بخـير من دينهم، هؤلاء قوم يعبدون الله، ويدعونه ويصـلُّون لـه، ونحن إنمـا نعبـد نارًا نُوقِدها بأيدينا، إذا تركناها ماتت، فخافني، فجعـل في رِجْلي حديدًا، وحبسني في بيتٍ عنده)

لكنك لم ترضخ للأمر الواقـع، وإنمـا رحت تسـتعمل حيلـك الشرعية للفـرار من كـل الحجب الـتي تحـول بينـك وبين النـور الذي بدأ يبـدو لـك من خلال كـوة المسـيحية.. لقـد قلت تصـف ذلـك: (فبعثت إلى النصـارى، فقلت لهم: أين أصـل هـذا الـدين الذي أراكم عليه؟ فقالوا: بالشام، فقلت: فـإذا قـدِم عليكم من هنـاك نـاسٌ فـآذنوني، فقـالوا: نفعـل، فقـدم عليهم نـاس من تجَّارهم، فبعثوا إليَّ أنه قد قـدِم علينـا تجـار من تجَّارنـا، فبعثت إليهم إذا قضـوا حـوائجهم وأرادوا الخـروج فـآذنوني، فقـالوا: نفعل، فلما قضـوا حـوائجهم وأرادوا الرحيـل، بعثـوا إليَّ بـذلك، فطرحت الحديد الذي في رجلي، ولحقت بهم)

وهكذا ضحيت بكل ذلك العز والغنى الذي كنت تعيش فيه، ورحت تغامر بكل شـيء من أجـل الوصـول إلى الحقيقـة الـتي ملأت عليك كل كيانك.

وعندما سافرت في رحلتك إلى المسيحية لم تقنع بما كان عليه عوام المسيحيين، وإنما رحت تبحث عن أفضلهم، وأكثرهم إخلاصا، لأن همتك العالية كانت تترفع بك دائما عن السفاسـف، وتدعوك إلى المعالي، لقد ذكرت ذلك، فقلت: (فانطلقت معهم حتى قدِمت الشام، فلمـا قـدِمتُها سـألتُ: مَن أفضـل أهـل هـذا الدين؟ فقالوا: الأسقف صاحب الكنيسة، فجئتُه، فقلت لـه: إني أحببت أن أكون معك في كنيستك، وأعبد الله فيها معك، وأتعلَّم منك الخير، قال: فكن معي)

وهنا بدأت تكتشف لصوص الله، أولئـك الـذين يسـتخدمون الدين وسـيلة للـدنيا، لقـد قلت تصـف لص الكنيسـة وأسـقفها: (فكنت معه، وكان رجل سوءٍ كـان يـأمرهم بالصـدقة، ويـرغبهم

فيها، فإذا جمعها إليه اكتَنَزها ولم يُعطِها المساكين حتى جمع سبع قلال من ذهب ووَرِقٍ، فأبغضتُه بغضًا شديدًا لما رأيت من حاله، فلم ينشبْ أن ماتَ، فلما جاؤوا ليدفنوه، قلتُ لهم: إن هذا رجل سوءٍ، وكان يأمركم بالصدقة ويرغبكم فيها، حتى إذا جمعتموها إليه، اكتنزها ولم يُعطِها المساكين، فقالوا: وما علامة ذلك؟ فقلت: أنا أخرج لكم كنزها، فقالوا: فهاتِه، فأخرجت لهم سبع قلال مملوءة ذهبًا ووَرِقًا، فلما رأوا ذلك، قالوا: والله لا يدفن أبدًا، فصَلَبوه على خشبة ورَمَوه بالحجارة، وجاؤوا برَجُل آخر فجعَلوه مكانه)

وقد أراد الله أن يريك عالم الدين بكل معانيه، فلذلك أراك الصالحين، كما أراك المفسدين حتى لا تقع أسيرا لتلك الأحكام الجائرة التي تعمم مواقفها على كل شيء تصادفه، بسبب ما يقع لها من أحداث، لقد قلت تصفه، وتثني عليه: (فلا والله ما رأيتُ رجلاً قط لا يصلي الخمس، أرى أنه أفضل منه وأشد اجتهادًا ولا زهادة في الدنيا، ولا أدأب ليلاً ونهارًا منه، ما أعلمني أحببتُ شيئًا قط قبله حبه، فلم أزل معه حتى حضرتْه الوفاةُ)

وهنا هداك الله إلى الوصية، وكون الأرض لا تخلو من قائم لله بحجته، فلذلك طلبت من الأسقف أن يدلك على وارثه، أو وصيه، أو من يمكنه أن يقوم مقامه، فدلك عليه، لقد قلت تصف ذلك: (فقلت: يا فلان، قد حضرك ما ترى من أمر الله، وإني واللهِ ما أحببتُ شيئًا قط حبك، فماذا تأمرني؟ وإلى مَن توصيني؟ فقال لي: أي بُنَي، والله ما أعلمه إلا رجلاً بالموصل فأتِه، فإنك ستجده على مثل حالي، فلما مات وغيِّب لحقت بالموصل فأتيتُ صاحبها، فوجدته على مثل حاله من الاجتهاد والزهادة في الدنيا، فقلت له: إن فلانًا أوصى بي إليك أن آتيَك وأكون معك، قال: فأقم أي بُنَي، فأقمتُ عنده على مثل أمر صاحبه حتى حضرته الوفاة، فقلت له: إن فلانًا أوصى بي إليك وقد حضرك من أمرِ الله ما ترى، فإلى مَن توصيني؟ قال: والله ما أعلمه أي بني، إلا رجلاً بنَصيبينَ، وهو على مثل ما نحن عليه، فالحَقْ به، فلما دفنَّاه لحقت بالآخر، فقلت له: يا فلان، إن فلانًا أوصى بي إلى فلان، وفلان أوصى بي إليك، قال: فأقم يا بُنَي، فأقمتُ عنده على مثل حالهم حتى حضرتْه الوفاة، فقلت له: يا فلان، إنه قد حضرك من أمر الله ما ترى، وقد كان فلان أوصى بي إلى فلان، وأوصى بي فلان إلى فلان، وأوصى

بي فلان إليك، فقال: أي بني، والله ما أعلم أحدًا على مثل ما نحن عليه إلا رجلاً بعمورية من أرض الروم، فأتِه، فإنك ستجده على مثل ما كنا عليه، فلما واريته خرجتُ حتى قدمت على صاحب عمورية، فوجدته على مثل حالهم، فأقمت عنده واكتسبت حتى كانت لي غنيمة وبقرات، ثم حضرته الوفاة)

وهكذا ظللت تتردد بين أيدي الأوصياء، تتعلم على أيديهم، إلى أن هداك الله إلى شمس الحقائق وقبلتها.. لقد قلت تصف طريق ذلك: (فقلت: يا فلان إن فلانًا (كان) أوصى بي إلى فلان، وفلان إلى فلان، وفلان إليك، وقد حضرك ما ترى من أمر الله (تعالى) فإلى مَن توصيني؟ قال: أي بني، والله ما أعلمه بقي أحد على مثل ما كنا عليه، آمرُك أن تأتيه، ولكنه قد أظلك زمان نَبِيٍّ يبعث من الحرم، مهاجرُه بين حرَّتينِ إلى أرض سَبِخة ذات نخيلٍ، وإن فيه علامات لا تخفى، بين كتفيه خاتم النبوة، يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة، فإن استطعت أن تخلصَ إلى تلك البلاد فافعل، فإنه قد أظلك زمانه)

وهنا بدأت رحلتك الجديدة إلى النبي ﷺ، وقد أراد الله أن يذيقك فيها بعض أنواع البلاء، بل أشدها، حتى يحصل لك ما حصل لأصحابه المنتجبين، وربما في نفس الوقت الذي كانوا يتعذبون فيه، لقد قلت تصف ذلك: (فلما واريناه، أقمت حتى مرَّ بي رجال من تجار العرب من كلب، فقلت لهم: تحملونني معكم إلى أرض العرب، وأعطيكم غنيمتي هذه وبقراتي؟ قالوا: نعم، فأعطيتهم إيَّاها وحملوني، حتى إذا جاءوا بي وادي القرى، ظلموني فباعوني عبدًا من رجلٍ من يهود بوادي القرى)

وفي الوقت الذي تعرضت فيه للعبودية، لم تكن تبالي بها، بل كان كل همك مصروفا نحو رسول الله ﷺ، لقد قلت تصف حالك: (فوالله، لقد رأيت النخل وطمعت أن يكون البلد الذي نعت لي صاحبي، وما حقت عندي حتى قدم رجل من بني قريظة من وادي القرى، فابتاعني من صاحبي الذي كنت عنده، فخرج بي حتى قدِم بي المدينة، فوالله، ما هو إلا أن رأيتُها فعرفت نعتها، فأقمت في رقٍّ مع صاحبي، وبعث الله رسوله ﷺ بمكة، لا يذكر لي شيء من أمره، مع ما أنا فيه من الرق، حتى قدم رسول الله ﷺ قُباء، وأنا أعمل لصاحبي في نخلة له، فوالله إني لفيها إذ جاء ابن عمٍّ له فقال: يا فلان، قاتل الله بني قيلة، والله إنهم الآن لفي قُباء مجتمعون على رجل جاء من

مكة، يزعمون أنه نبي)

وهنا انتفضت انتفاضة عظيمة، فقد تحقق لك كل ما كنت تحلم به.. لقد قلت تصف حالك حينها: (فوالله ما هو إلا أن سمعتُها، فأخذتني العرواء (الرعدة)، حتى ظننت لأسقطن على صاحبي، ونزلت أقول: ما هذا الخبر؟ ما هو؟ فرفع مولاي يدَه، فلكمني لكمة شديدة، وقال: ما لك ولهذا؟ أقبل قبل عملك، فقلت: لا شيء، إنما سمعت خبرًا فأحببتُ أن أعلمه)

في ذلك المساء المبارك، رحت بكل ما عندك من الصدق والإخلاص إلى النبي ﷺ، ولكنك لم تكن لتسلم دون أن تعرف البينة، خشية أن تقع في لصوص الأديان.. لقد قلت تصف ذلك: (فلمَّا أمسيتُ، وكان عندي شيء من طعام، فحملته وذهبت به إلى رسول الله ﷺ وهو بقُباء، فقلت: إنه قد بلغني أنك رجل صالح، وأن معك أصحابًا لك غرباء، وقد كان عندي شيء للصدقة، فرأيتُكم أحقَّ مَن بهذه البلاد به، فها هو ذا فكُلْ منه، فأمسك رسول الله ﷺ بيده، وقال لأصحابه: (كُلُوا) ولم يأكل، فقلت في نفسي: هذه خلة مما وصف لي صاحبي، ثم رجعت، وتحوَّل رسول الله ﷺ إلى المدينة، فجمعت شيئًا كان عندي، ثم جئته به، فقلت: إني قد رأيتُك لا تأكل الصدقة، وهذه هدية وكرامة ليست بالصدقة، فأكل رسول الله ﷺ وأكل أصحابه، فقلت: هذه خلتان، ثم جئتُ رسول الله ﷺ وهو يتبع جنازة وعليَّ شملتان لي، وهو في أصحابه، فاستدرت به لأنظر إلى الخاتم في ظهره، فلما رآني رسول الله ﷺ استدبرته عرَف أني أستثبتُ شيئًا قد وُصف لي، فوضع رداءه عن ظهرِه، فنظرت إلى الخاتم بين كتفَيه كما وصف لي صاحبي)

حينها لم تملك نفسك، وهل يمكن أن يملك أحد نفسه أمام نبي.. لقد قلت تصف تلك الحال التي لا يمكن وصفها: (فأكببتُ عليه أقبِّله وأبكي)

حينها طلب منك رسول الله ﷺ أن تحدثهم بحديثك، وهو يعلم بكل ما حصل لك، والرحلة التي رحلتها إليه، ثم طلب منك أن تكاتب اليهودي لتخرج من رقك، وكان اليهودي جشعا، حيث طلب منك ثلاثمائة نخلة تحييها، وأربعين أوقية.

وشاء الله أن يحدث لك من كرامات النبي ﷺ ما يعينك على الخروج من رقك، وبأيسر السبل.. لقد قلت تصف ذلك: (وأعانني أصحاب رسول الله ﷺ بالنخل؛ ثلاثين ودية، وعشرين

وديـة، وعشـرًا، كـلٌّ رجـلٍ منهم على قـدرٍ مـا عنـده، فقـال لي رسول الله ﷺ: (فَقِّر لهـا، فـإذا فـرغت فـآذني، حـتى أكـون أنـا الـذي أضـعها بين يـدي)، ففقرتهـا وأعـانني أصـحابي، (يقـول: حفرت لها حيث توضع)، حتى فرغنا منهـا، ثم جئت رسـول اللـه ﷺ فقلت: يـا رسـول اللـه، قـد فرغنـا منهـا، فخـرج معي حـتى جاءهـا، وكنـا نحمـل إليـه الـوَدِيَّ، ويضـعه بيـده ويسـوِّي عليهـا، فوالذي بعثه بالحق، ما ماتت منهـا وديـة واحـدة، فـأديت النخـل وبقيت عليَّ الدراهم، فأتاه رجل من بعض المعادن بمثل البيضة من الـذهب، فقـال رسـول اللـه ﷺ (أين الفارسـي المسـلم المكـاتب؟)، فـدعيت لـه، فقـال: (هـذه يـا سـلمان، فأدِّهـا ممـا عليك)، فقلت: يا رسول اللـه، وأين تقـع هـذه ممـا عليَّ؟ قـال: فإن الله تعالى سيؤدي بهـا عنـك، فوالـذي نفس سـلمان بيـده، لـوزنت لهم منهـا أربعين أوقيـة فأديتهـا إليهم، وكـان الـرقُّ قـد حبسني، حتى فاتني مع رسول الله ﷺ (بدر)، و(أُحُد)، ثم عتقت فشهدت الخندق، ثم لم يفتني معه مشهد)

هذه هي رحلتك كما قصصـتها على ابن عبـاس وغـيره من الصحابة، وقد وصلتنا كمـا ذكرتهـا، واسـتفدنا منهـا كثـيرا، لا مـا يتعلـق بشخصـك فقـط، وإنمـا بـالقيم الـتي تحكم الشخصـية المسلمة الممتلئة بالحكمة والعقلانية والتريث والأدب.

وقـد ظـل هـذا البحث عن الحقيقـة والتضـحية في سـبيلها بكل شيء معك جميع حياتك إلى أن توفاك الله، فقد كنت تعلم أن الابتلاء الإلهي الذي تعرضت له الأديان السابقة ستتعرض لـه هذه الأمة أيضا، فلذلك رحت تبحث عن الأوصياء حـتى لا يكـون للهوى أي مجال للتلاعب بك، وبدينك.

2. الدال على الحقيقة:

لم يكن ذلك وحده ما مثل شخصك الكريم؛ فما فعلتـه من تلك الرحلة لم يكن سوى المقدمة، ولو اكتفيت بها لما نلت تلك المراتب الرفيعة، والمناقب العظيمة التي شـرفت بهـا من دون أكثر الصـحابة.. فهنـاك من وصـل إلى مـا وصـلت إليـه من نبـع الحقيقـة لكنـه بـدل أن يسـتمر في الـري منهـا، راح ينهـل من المنابع المكدرة.

لقد ذكـر اللـه تعـالى ذلـك، فقـال: ﴿وَاتْـلُ عَلَيْهِمْ نَبَـأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَـا فَأَتْبَعَـهُ الشَّـيْطَانُ فَكَـانَ مِنَ الْغَـاوِينَ (175) وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَـدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَـعَ هَـوَاهُ

فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ [الأعراف: 175، 176]

بل إنك رأيت ذلك بأم عينيك من ذلك الصحابي الذي أسلم، وهاجر إلى الحبشة، وبدل أن يستمر في وفائه للإيمان راح ينفر منه(1)، ويرتد بعد أن رأى الحقيقة بعينيه كما فعل السامري قبله.

لكن الله تعالى حفظك، وحفظ صدقك وإخلاصك، لذلك كنت تمثل الحكمة والرأي السديد في كل مواقفك، في عهد رسول الله ﷺ وبعده.

أما في حياته، فقد كان أول ثمار حكمتك، تلك الخطة التي اقترحتها على رسول الله ﷺ لتنقذ المسلمين من كيد الأحزاب، وقد كان رسول الله ﷺ غنيا عن تلك المشورة، وكيف لا يكون غنيا، وهو المسدد بالوحي، لكنه أراد أن تكون تلك الخطة منك، ليعرف المسلمون فضلك، ويجعلك من بعده مستشارا له كما فعل رسول الله ﷺ.

وهكذا، وفي تلك الغزوة شاء الله أن ترى المزيد من الحقائق التي تدلك على المصير الذي سيصير إليه الإسلام، فقد ذكر المحدثون أنه لما أمر النبي ﷺ بحفر الخندق، عرضت لهم صخرة حالت بينهم وبين الحفر، فقام رسول الله ﷺ وأخذ المِعْول، ووضع رداءه ناحية الخندق، وقال: ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [الأنعام: 115] فندر ثُلُث الحجر.. وكنت حينها قائما تنظر، فبرق مع ضربة رسول الله ﷺ برقة، ثم ضرب الثانية، وقال: ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾

1() نقصد به عبيد الله بن جحش الذي قال عنه ابن إسحاق عند ذكر بعض من اعتزل عبادة قريش للأصنام: (وهم: ورقة بن نوفل، وعبيد الله بن جحش، وعثمان ابن الحويرث.. وأما عبيد الله بن جحش فأقام على ما هو عليه من الالتباس حتى أسلم، ثم هاجر مع المسلمين إلى الحبشة، ومعه امرأته أم حبيبة بنت أبي سفيان مسلمة، فلما قدمها تنصّر وفارق الإسلام، حتى هلك هناك نصرانياً.. وكان عبيد الله بن جحش ــ حين تنصَّر ــ يمر بأصحاب رسول الله ﷺ وهم هنالك من أرض الحبشة، فيقول: فقّحنا وصأصأتم؛ أي أبصرنا، وأنتم تلتمسون البصر ولم تبصروا بعد) (سيرة ابن هشام (1/ 223)، إسحاق بن راهويه في مسنده (4/27)

[الأنعام: 115] فندر الثُّلُث الآخر، فبرقت برقة رأيتها أيضا، ثم ضرب الثالثة، وقال: وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ [الأنعام: 115] فندر الثُّلُث الباقي، وخرج رسول الله ﷺ فأخذ رداءه وجلس.

حينها رحت تسأله قائلا: (يا رسول الله، رأيتك حين ضربت، ما تضرب ضربة إلا كانت معها برقة)، فقال رسول الله ﷺ: (يا سلمان، رأيتَ ذلك؟)، فقلت: (إي والذي بعثك بالحق يا رسول الله(، فقال ﷺ: (فإني حين ضربت الضربة الأولى رفعت لي مدائن كسرى وما حولها ومدائن كثيرة، حتى رأيتها بعيني.. ثم ضربت الضربة الثانية، فرفعت لي مدائن قيصر وما حولها، حتى رأيتها بعيني.. ثم ضربت الثالثة، فرفعت لي مدائن الحبشة وما حولها من القرى، حتى رأيتها بعيني)[1]

وهكذا سرعان ما تعلمت فنون الحكمة، وكيف لا تفعل ذلك، وأنت مع رسول الله ﷺ بكل كيانك، وقد أقر رسول الله ﷺ لك بذلك، فقد روي أنه آخى بينك وبين أبي الدّرداء، فزرته، فرأيته يضيق على نفسه وأهله، فقلت له ناصحا: (إنّ لربّك عليك حقّا، ولنفسك عليك حقّا. ولأهلك عليك حقّا، فأعط كلّ ذي حقّ حقّه)، وعندما أتى النّبيّ ﷺ، فذكر ذلك له، قال ﷺ: (صدق سلمان) [2]

وهكذا كنت مع رسول الله ﷺ تنهل من الحقائق والقيم وتتمسك بها بكل كيانك إلى أن توفاه الله تعالى.. حينها رحت تتمسك بكل الوصايا التي أوصى بها، وتنفذها بكل دقة، ولا تكتفي بتنفيذها، وإنما تستعمل كل ما لديك من حكمة، حتى تدعو لها.

لقد كان أول مواقفك ما ذكره المؤرخون من اعتراضك على ما حصل في السقيفة من البيعة التي لم يشارك فيها كل المسلمين، والتي استبعد فيها الإمام علي، وقد روى البلاذري وغيره عن أحمد بن يحيى الجوني، قال: (قال سلمان الفارسي حين بويع أبو بكر: (كرداذ وناكرداذ) ـ أي عملتم وما عملتم ـ لو بايعوا علياً لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم) [3]

1() أبو داود (4302) والنسائي (6/43)

2() البخاري 13/151

3() الأنساب / 591.

وقلت حينهـا مخاطبـاً المبـايعين: (أصـبتم الخـير، ولكن أخطـأتم المعـدن)، وقلت لهم: (أصـبتم ذا السـن منكم، ولكن أخطأتم أهل بيت نبيكم، أما لو جعلتموها فيهم مـا اختلـف منكم اثنان ولأكلتموها رغداً)[1]

وقمت فيهم خطيبا، فقلت: (ألا أيها النـاس، اسـمعوا عـني حديثي، ثم أعقلوه عني، ألا واني أوتيت علماً كثيراً، فلو حدثتكم بكل ما أعلم من فضائل أمير المؤمنين لقالت طائفة منكم: هـو مجنون. وقالت طائفة أخرى: اللهم اغفر لقاتـل سـلمان. ألا إن لكم منايـا تتبعهـا بلايـا، ألا وان عنـد علي علم المنايـا والبلايـا، وميراث الوصايا وفصل الخطـاب وأصـل الأنسـاب، على منهـاج هارون بن عمران من موسى عليه السلام، إذ يقول رسول الله ﷺ فيه: (أنت وصيي في أهـل بيـتي، وخليفـتي في أمـتي، وأنت مـني بمنزلـة هـارون من موسـى)، ولكنكم أخـذتم سـنة بـني إسرائيل، فأخطأتم الحق، فأنتم تعلمون ولا تعملـون، أمـا واللـه لتركبن طبقاً عن طبق حذو النعل بالنعـل، والقـذة بالقـذة.. أمـا والذي نفس سلمان بيده، لـو وليتموهـا عليّـاً لأكلتم من فـوقكم ومن تحت أقدامكم، ولو دعوتم الطير لأجابتكم في جو السماء، ولو دعوتم الحيتان من البحـار لأتتكم، ولمـا عـال ولي اللـه، ولا طـاش لكم سـهم من فـرائض اللـه، ولا اختلـف اثنـان في حكم الله، ولكن أبيتم فوليتموها غيره، فأبشـروا بالبلايـا واقنطـوا من الرخاء، وقد نابذتكم على سواء، فانقطعت العصـمة فيمـا بيـني وبينكم من الولاء) [2]

ثم قلت لهم مـذكرا بمـا حصـل في عهـد رسـول اللـه ﷺ: (عليكم بأمير المؤمنين علي بن أبي طالب، فواللـه لقـد سـلمنا عليه بالولاية وأمرة المؤمنين مراراً جمة مع نبينـا ﷺ، كـل ذلـك يأمرنا به، ويؤكده علينا، فما بال القوم عرفوا فضـله فحسـدوه! وقد حسد هابيل قابيل فقتله! وكفاراً قد ارتدت أمـة موسـى بن عمران، فأمر هذه الأمة كأمر بني إسرائيل، فأين يـذهب بكم؟.. أيهـا النـاس، ويحكم ؛ أجهلتم أم تجـاهلتم، أم حسـدتم أم تحاسـدتم؟ واللـه لترتـدن كفـاراً يضـرب بعضـكم رقـاب بعض بالسيف، يشهد الشـاهد على النـاجي بالهلكـة، ويشـهد الشـاهد

1() شرح النهج6 / 43.

2() الاحتجاج 1 / 151 ـ 152.

على الكافر بالنجاة، ألا وأني أظهرت أمري، وسلمت لنبيي، واتبعت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة علياً أمير المؤمنين وسيد الوصيين، وقائد الغر المحجلين، وإمام الصديقين والشهداء والصالحين)[1]

وكنت تروي لهم حينها ما سمعته من رسول الله ﷺ وأحاديثه في الإمام علي، ومنها قوله ﷺ: (عليكم بعلي بن أبي طالب فإنه مولاكم فأحبوه، وكبيركم فاتبعوه، وعالمكم فأكرموه، وقائدكم إلى الجنة فعززوه، فإذا دعاكم فأجيبوه، وإذا أمركم فأطيعوه، أحبوه بحبي، وأكرموه بكرامتي، ما قلت لكم في علي إلا ما أمرني به ربي جلت عظمته)[2]

وهكذا كنت تردد عليهم ما ورد من أحاديث رسول الله ﷺ الكثيرة عن دور الإمام علي في الأمة، وأن رسول الله ﷺ أوصى له بولاية أمر المسلمين، وخاصة عندما أكد ذلك في غدير خم، بعد أن قضى مناسكه[3] وقفل راجعا إلى المدينة، فلمّا انتهى إلى غدير خم، نزل عليه قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَه لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِين﴾ [المائدة:67]، حينها خطب رسول الله ﷺ قائلا: (إنّي أوشك أن أدعى فأجيب، وإنّي مسئول، وأنتم مسئولون، فماذا أنتم قائلون؟)، فقالوا: نشهد أنّك قد بلّغت، ونصحت وجهدت فجزاك الله خيرا، ثم قال رسول الله ﷺ: (ألستم تشهدون أن لا إله إلاّ الله، وأنّ محمّدا عبده ورسوله، وأنّ جنّته حقّ، وأنّ ناره حقّ، وأنّ الموت حقّ، وأنّ السّاعة آتية لا ريب فيها، وأنّ الله يبعث من في القبور...)، فقالوا: بلى نشهد بذلك، فقال ﷺ: (اللهمّ اشهد)

بعد كل هذه التمهيدات، قال ﷺ: (إنّي فرط على الحوض، وأنتم واردون عليّ الحوض، وإنّ عرضه ما بين صنعاء وبصرى، فيه أقداح عدد النّجوم من فضّة، فانظروا كيف تخلّفوني في الثّقلين؟.. الثّقل الأكبر كتاب الله، طرف بيد الله عزّ وجلّ، وطرف بأيديكم فتمسّكوا به لا تضلّوا، والآخر الأصغر عترتي،

1() الاحتجاج 1 / 151 ـ 152.

2() فرائد السمطين ص 78.

3() ما أورده هنا هو من روايات متفرقة وردت في الصحاح والسنن وغيرها.

وإنّ اللّطيف الخبير نبّأني أنّهما لن يتفرّقا حتّى يردا عليّ الحوض، فسألت ذلك لهما ربّي، فلا تقدّموهما فتهلكوا، ولا تقصروا عنهما فتهلكوا) [1]

ثمّ أخذ ﷺ بيد الإمام علي، ورفعها، ثم قال مخاطبا الجموع الكثيرة التي احتشدت: (أيّها النّاس، من أولى النّاس بالمؤمنين من أنفسهم؟)، فأجابوا: الله ورسوله أعلم، فقال ﷺ: (إنّ الله مولاي، وأنا مولى المؤمنين، وأنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فمن كنت مولاه فعليّ مولاه)

وكرر ذلك وأكده، ثم ختمه بقوله: (اللهمّ وال من والاه، وعاد من عاداه، وأحبّ من أحبّه، وأبغض من أبغضه، وانصر من نصره، واخذل من خذله، وأدر الحقّ معه حيث دار، ألا فليبلّغ الشّاهد الغائب...)[2]

لقد فهمت ــ سيدي ــ أنت والصحابة المنتجبين من هذا الحديث أن رسول الله ﷺ يدل الأمة على الإمام علي، لا للقرابة التي بينهما في النسب، وإنما لكون الإمام علي هو التلميذ الأكبر لرسول الله، والذي لم يغب عنه لحظة واحدة، بل إنه الوحيد الذي ربي في حجره، وبقي معه إلى يوم دفنه، ولذلك كان أكثرهم علما بالدين، وأكثرهم حرصا على تنفيذ كل تعاليمه.

لكنك رأيتهم ينصرفون إلى تلك المقاييس التي تعطي قريشا الحق في تحديد الإمام متناسين أنها أكثر من حارب الدين، وأن كل ما ورد في القرآن الكريم عن قسوة قلوب المشركين، نزلت فيهم.

1() صحيح مسلم (2408) والترمذي (3788) واللفظ له. وغيرهما كثير.

2() الشطر الأول من الحديث ـ كما ينص المحدثون ـ: متواتر، نص على تواتره عدد من الحفاظ، وأما الزيادة الواردة في الحديث، وهي قوله ﷺ: (اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه) فهي صحيحة، وقد وردت عن عدد من الصحابة، وصححها عدد من الحفاظ من رواية أنس بن مالك، وأبي سعيد الخدري، وزيد بن أرقم، وسعد بن أبي وقاص.. وقد خصص الحافظ ابن عقدة لها مصنفا مستقل، استوعب فيه طرقها، ومثله السيد أحمد بن الصديق الغماري في: (الإعلام بطرق المتواتر من حديثه عليه السلام)، بل إن الإمام أحمد نفسه ذكر في (الفضائل)، والنسائي في (الخصائص)، وابن الجزري في (المناقب)، والهيثمي في (المجمع) روايات كثيرة في الدلالة عليه وعلى معناه.

لكنك مع ذلك ـ سيدي ـ التزمت ما فعلـه إمامـك علي، من الحفاظ على وحدة المسـلمين، وعـدم الخـروج عليهم، والنصـح لهم ولأئمتهم، وقد روي أن عمرا سألك: أملـك أنـا أم خليفـة؟.. فقلت له: (إن أنت جبيت من أرض المسلمين درهماً أو أقــل أو أكثر ووضعته في غير حق، فأنت ملك غير خليفة)[1]

وعندما شاء الله أن تتـولى بعض المناصـب، استننت فيهـا بسنة النـبي ﷺ وسـنة أئمـة الهـدى، فلم تغـوك الـدنيا، ولم تبن القصور، ولم تتغير حياتك قبل الولايـة ولا بعـدها، وكيـف تغـيرك الدنيا، وأنت ابن الآخرة.

لقد روى المؤرخـون عنـك الكثـير من الروايـات في ذلـك، وهي كافية للتفريق بين المنتجبين من أصحاب رسـول اللـه ﷺ، وبين غـيرهم من الـذين لم يسـتطيعوا الحفـاظ على العهـد، ولا التزام القيم..

ومن ذلك ما رواه أبو قلابـة أن رجلاً أتـاك، فوجـدك تعجنُ، فقال: أين الخادم؟ فقلت: (أرسلته في حاجـة، فلم يكن لنجمـع عليه اثنتين: أن نرسلَه ولا نكفيـه عملـه)، فقـال الرجـل: إن أبـا الدرداء يقول: عليك السلام، قلت: (مـتى قـدمت؟)، قـال: منـذ ثلاث، قلت: (أما إنك لو لم تؤدِّها كانت أمانة عندك) [2]

وروى سلامة العجلي قـال: (جـاء ابن أخت لي من الباديـة يقـال لـه قُدامـة، فقـال لي أحب أن ألقى سـلمان الفارسـي فأسلِّم عليه، فخرجنا إليـه فوجـدناه بالمـدائن وهـو يومئـذ على عشرين ألفاً، ووجدناه على سرير يسف خوصـاً، فسلَّمنا عليـه، قلت: يـا أبـا عبـد اللـه هـذا بن أخت لي قـدم عليَّ من الباديـة فأحب أن يسلم عليك، قال: وعليـه السـلام ورحمـة اللـه، قلت يزعم أنه يحبك، قال: أحبه الله)[3]

وروى الحارث بن عميرة قال: (قدمت إلى سلمان المدائن فوجدته في مدبغة له يعرك إهاباً بكفيه، فلما سلَّمت عليه قـال: مكانك حتى أخرج إليك. قلت: والله ما أراك تعرفني، قال: بلى، قـد عـرفت روحي روحـك قبـل أن أعرفـك، فـإن الأرواح جنـود مجنَّدة فما تعارف منها في اللـه ائتلـف ومـا كـان في غـير اللـه

1() الكامل 3 / 59..

2() رواه أبو نُعَيم في الحلية، حياة الصحابة (3/ 346)

3() رواه أبو نُعَيم في الحلية، حياة الصحابة (3/ 346)

اختلف)[1]

وروى ميمون بن مِهْران عن رجل من بني عبد القيس قال: رأيت سلمان في سرية وهو أميرها على حمار وعليه سراويل، وخدمتاه تَذَبذبان، والجند يقولون: قد جاء الأمير، فقال سلمان: إنما الخير والشر بعد اليوم) [2]

وعن رجل من عبد القيس قال: كنت مع سلمان الفارسي وهو أمير على سرية، فمر بفتيان من فتيان الجند فضحكوا وقالوا: هذا أميركم، فقلت: يا أبا عبد الله ألا ترى هؤلاء ما يقولون؟ قال: (دَعْهم؛ فإنما الخير والشر فيما بعد اليوم، إن استطعت أن تأكل من التراب فكل منه ولا تكونن أميراً على اثنين، واتَّقِ دعوة المظلوم والمضطر فإنها لا تُحجب) [3]

وحدث ثابت قال: كان سلمان أميراً على المدائن وكان يخرج إلى الناس في أندَرْورد وعباءة، فإذا رأوه قالوا: كُرْك آمذ، كُرْك آمذ، فيقول سلمان: ما يقولون؟ قالوا: يشبهونك بلعبة لهم، فيقول سلمان: لا عليهم فإنَّما الخير فيما بعد اليوم[4].

وقال: كان سلمان أميراً على المدائن، فجاء رجل من أهل الشام من بني تيم الله معه حمل تين، وعلى سلمان أندَرْوِرْد وعباءه، فقال سلمان: تعالَ احملْ - وهو لا يعرف سلمان -، فحمل سلمان، فرآه الناس فعرفوه فقالوا: هذا الأمير، قال: لم أعرفك، فقال له سلمان: لا، حتى أبلغ منزلك[5].

وحدث هُرَيم قال: (رأيت سلمان الفارسي على حمار عُرْى وعليه قميص سنبلاني قصير ضيق الأسفل، وكان رجلاً طويل الساقين كثير الشعر، وقد ارتفع القميص حتى بلغ قريباً من ركبتيه، قال: ورأيت الصبيان يُحضِرون خلفه. فقلت: ألا تنحون عن الأمير؟ فقال: دَعْهم فإنما الخير والشر فيما بعد اليوم) [6]

1() رواه ابن عساكر وأبو نعيم في الحلية، حياة الصحابة (3/ 346)

2() الزهد لأبي داود (ص: 231)

3() الطبقات الكبرى لابن سعد، (4/ 66)

4() المرجع السابق.

5() المرجع السابق.

6() المرجع السابق.

وحدث عبد الله بن بُريدة، قال: (كان سلمان يعمل بيديه، فإذا أصاب شيئاً اشترى به لحماً - أو سمكاً - ثم يدعو المجذَّمين فيأكلون معه) [1]

وحدث الحسن عنك، فقال: كان عطاء سلمان خمسة آلاف درهم، وكان أميراً على زهاء ثلاثين ألفاً من المسلمين، وكان يخطب الناس في عباءة يفترش بعضها ويلبس بعضها، وإذا خرج عطاؤه أمضاه، ويأكل من سفيف يده[2].

وهكذا وردت الروايات الكثيرة، والتي تدل على القيم الإسلامية العظيمة، وترد في نفس الوقت على تلك التحريفات التي حولت الحكم الإسلامي إلى ملك عضوض.

ولم تكن تكتفي بذلك.. بل كنت تحذر بكل قوة ــ مثل إخوانك من المنتجبين ـ المسلمين من تلك الأموال التي جبوها من كل بلاد الله، والتي أمروا بهدايتها، لا بجباية أموالها، وقد روي أنك خاطبت من فرح ببعض الغنائم، مذكرا لهم بما ستصير إليه تلك الأموال واستعمالها في حرب آل بيت النبوة، فقلت: (إذا أدركتم سيد شباب أهل محمد، فكونوا أشد فرحاً بقتالكم معه بما أصبتم اليوم من الغنائم)[3]

وروي أنك مررت بكربلاء، فقلت: ما تسمون هذه الأرض؟ قالوا: كربلاء. فقال: هذه مصارع إخواني، هذا موضع رحالهم، وهذا مناخ ركابهم، وهذا مهراق دمائهم، يقتل بها ابن خير الأولين، ويقتل بها خير الآخرين) [4]

لقد قلت ذلك في غزوة بلنجر سنة اثنتين وثلاثين للهجرة، أي قبل واقعة كربلاء بثلاثين سنة[5].. وكل ذلك ليس رجما بالغيب، وإنما لما علمك رسول الله ﷺ من علوم الفتن وما سيحصل للأمة من تغيير وتبديل.

وهكذا كنت تظهر لهم بمظهر الزهد والتواضع، لا من باب تحريم ما أحل الله، وإنما للتحذير من السعي وراء الدنيا، ثم استعمال الدين وسيلة لاقتناصها، مثلما كنت تراه بعينك في

1() حياة الصحابة (3/ 348)

2() رواه أحمد، 23711، وابن سعد، حياة الصحابة (2/ 545)

3() الكامل 4 / 42.

4() فتوح البلدان / 406.

5() الكامل 3 / 132.

أولئك الذين أثروا ثراء فاحشا.

وهكذا كنت تسير في حياتك سيرة المنتجبين من أصحاب رسول الله ﷺ الذين حافظوا على العهود، ولم تستهوهم الدنيا ولا أهواءها، فالدنيا هي الشباك التي يصطاد بها الشيطان من يريد جرهم لتحريف الدين، كما قال تعالى عن أهل الكتاب من قبلنا: ﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلُهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [الأعراف: 169]

ومما يروى عنك في ذلك ما رواه عطية بن عامر، قال: رأيت سلمان الفارسي أكره على طعام يأكله، فقال: حسبي حسبي فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إن أكثر الناس شبعا في الدنيا أطولهم جوعا في الآخرة) (1)

وحدث أبو عبد الرحمن السُّلمي عنك، أنهم لما رأوا حالك من الزهد والفاقة، وفروا لك بيتا بكندة لتسكنه، فلما رأيته، قلت: (ارجعوا آجركم الله.. أمحموم بيتكم، أم تحولت الكعبة في كندة؟)، فقالوا: ما بيتنا بمحموم، ولا تحولت الكعبة في كندة.. ثم لم تدخله حتى نُزع كل ستر البيت غير ستر الباب، فلما دخلت رأيت متاعاً كثيراً فقلت: لمن هذا المتاع؟ قالوا: متاعك، قلت: (ما بهذا أوصاني خليلي ﷺ.. أوصاني خليلي أن لا يكون متاعي من الدنيا إلا كزادِ الراكب).. ورأيت خدماً فقلت: لمن هذا الخدم؟ فقالوا: خدمك وخدم أهلك، فقلت: (ما بهذا أوصاني خليلي ﷺ) (2)

وحدث الأعمش عنك قال: سمعتهم يذكرون أن حذيفة قال لسلمان: يا أبا عبد الله ألا أبني لك بيتاً؟ قال: فكره ذلك، قال: رويدك حتى أخبرك: إني أبني لك بيتاً إذا أضجعت فيه رأسك من هذا الجانب ورجلاك من الجانب الآخر، وإذا قمت أصاب رأسك. قال سلمان: كأنك في نفسي(3).

وقد ظللت على هذا المنهاج تمثل الدين والقيم النبيلة،

---

1 () حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (1/ 198)

2 () رواه أبو نعيم في الحلية، حياة الصحابة (3/ 489)

3 () رواه أبو نعيم في الحلية، حياة الصحابة (2/ 545)

وتدعو إليها بلسانك وفعالك إلا أن توفاك الله تعالى، وأنت محافظ على العهود، غير مغير ولا مبدل، وقد روي أنَّ سعدا دخل عليك يعودك في مرض موتك، فبكيت، فقال لك سعد: ما يبكيك؟ تلقى أصحابك، وترد على رسول الله ﷺ الحوض، وتُوفي رسول الله ﷺ وهو عنك راض، فقلت: (ما أبكى جزعاً من الموت ولا حرصاً على الدنيا؛ ولكنَّ رسول الله ﷺ عهد إلينا فقال: (ليكن بُلْغة أحدكم من الدنيا كزاد الراكب)، وهذه الأساود حولي ـ ولم يكن حولك حينها سوى مِطْهرة أو إِنجانة ونحوها.

عندما رأى سعد ذلك تأثر كثيرا، ثم طلب منك أن تنصحه، فقلت: (اذكر ربَّك عند همَّك إذا هممت، وعند حكمك إذا حكمت، وعند يدك إذا قسمت) (1)

وحدث عنك عامر بن عبد الله، قال: (حين حضر الموت سلمان الخير، عرفوا منه بعض الجزع، فقالوا: ما يجزعك يا أبا عبد الله؟ وقد كانت لك سابقة في الخير، شهدت مع رسول الله ﷺ مغازي حسنة وفتوحاً عظاماً، فقال: يجزعني أنَّ حبيبنا ﷺ حين فارقنا عهد إلينا قال: (ليَكْفِ المرءَ منكم كزادِ الراكب، فهذا الذي أجزعني)، فجُمع مال سلمان فكان قيمته خمسة عشر درهماً)(2)

وقد روي أنه عندما اشتد بك المرض، مررت على المقابر، فقلت: (السلام عليكم يا أهل القبور من المؤمنين والمسلمين، يا أهل الدار هل علمتم أن اليوم جمعة)، وبعد أن عدت إلى بيتك، واستلقيت على فراشك، سمعت قائلا يقولك لك: (وعليكم السلام يا أبا عبد الله، تكلمت فسمعنا، وسلمت فرددنا، وقلت: هل تعلمون أن اليوم جمعة، وقد علمنا ما تقول الطير في يوم الجمعة: قدوس.. قدوس.. ربنا الرحمن الملك) (3)

وعندما أفقت من غفوتك التفت إلى من حولك قائلاً لهم: (أسندوني)، فلما أسندوك رمقت السماء بطرفك، وقلت: (يا من بيده ملكوت كل شيء وإليه ترجعون، وهو يجير ولا يجار

---

1 () رواه ابن ماجة، 4104، وأبو نعيم في الحلية، حياة الصحابة (2/ 545)

2 () رواه ابن حبان، 706.

3 () بحار الأنوار (86/ 355)

عليه بك آمنتُ، ولنبيك اتبعت، وبكتابك صدقتُ، وقد أتاني ما وعدتني، يا من لا يُخلف الميعاد اقبضني إلى رحمتك، وانزلني دار كرامتك، فأنا أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله) [1]

ثم التفت إلى من حولك قائلاً: (قال لي رسول الله ﷺ: (إذا حضرك أو أخذك الموت، حضر أقوام يجدون الريح ولا يأكلون الطعام ـ) تعني الملائكة، ثم أخرجت صرةً من مسك، فقلت: (هبة أعطانيها رسول الله ﷺ)، ثم بللتها، ونضحتها حولك، ثم قلت لأهلك: (قومي أجيفي الباب)، ففعلت، وجلست هنيهة، فسمعت هسهسةً، فصعدت، فإذا أنت قد مت وكأنما أنت نائم[2].

وقد حدث الأصبغ بن نباتة، قال: (فبينما نحن كذلك ـ منشغلين بموت سلمان ـ إذ أتى رجل على بغلة شهباء متلثماً، فسلم علينا، فرددنا السلام عليه، فقال: يا أصبغ جدوا في أمر سلمان، وأردنا أن نأخذ في أمره، فأخذ معه حنوطاً وكفناً فقال: هلموا، فان عندي ما ينوب عنه، فأتيناه بماءٍ ومِغسل، فلم يزل يغسِّله بيده حتى فرغ، وكفَّنهُ وصلينا عليه ودفنَّاه ولحدَّه علي بيده، فلما فرغ من دفنه وهمَّ بالانصراف تعلقت بثوبه، وقلت له: يا أمير المؤمنين، كيف كان مجيئك؟ ومن أعلمك بموت سلمان؟ قال: فالتفت إلي وقال: آخذُ عليك ـ يا أصبغ ـ عهد الله وميثاقه أنك لا تحدث به أحداً ما دمتُ حياً في دار الدنيا، فقلت: يا أمير المؤمنين، أموت قبلك؟ فقال: لا يا أصبغ، بل يطول عمرك، قلت: يا أمير المؤمنين، خذ علي عهداً وميثاقاً، فإني لك سامع مطيع، إني لا أحدث به حتى يقضي الله من أمرك ما يقضي، وهو على كل شيء قدير.. فقال لي: يا أصبغ، بهذا عهدني رسول الله، فاني قد صليت هذه الساعة بالكوفة، وقد خرجت أريد منزلي، فلما وصلت إلى منزلي اضطجعت، فأتاني آتٍ في منامي وقال: يا علي، إن سلمان قد قضى نحبه، فركبت وأخذت معي ما يصلح للموتى، فجعلت أسير، فقّرب الله لي البعيد، فجئت كما تراني، وبهذا أخبرني رسول الله ﷺ.. ثم إنه دفنه وواراه، فلم أرَ صعد إلى السماء، أم في الأرض

1() بحار الأنوار: 22 / 379.

2() بحار الأنوار، (22/ 383)

نزل، فأتى الكوفة والمنادي ينادي لصلاة المغرب[3].

هذه سيدي كانت خاتمة حياتك الطويلة، والتي عشت فيها جميعا باحثا عن الحقيقة، لا عن الأموال، وقد آتاك الله بحسب نيتك، فشرفك بلقاء أشرف خلقه، وشرفك بأن تنجح في كل الاختبارات، وتحافظ على كل العهود، وتمثل كل القيم.. وشرفك بعد ذلك بأن تكون من أولئك المعدودين الذين اتفقت الأمة جميعا على عدالتهم وحكمتهم وصفائهم.

3() بحار الأنوار: 22 / 380.

هذا الكتاب

هـذا الكتـاب محاولـة لتعميـق المحبـة الحقيقيـة لأصحاب رسول الله ﷺ الذين وردت النصوص المقدسة بالثناء عليهم واعتبارهم نماذج شريفة للصحبة الحقيقيـة التي لم تبدل ولم تغـير ولم تتـأثر بـذلك الواقـع الجديـد الذي حصل بعد رسول الله ﷺ نتيجـة مـا فتح اللـه على المسلمين من الدنيا.

وقد كان الأساس الأول لاختيارنـا لهـؤلاء الأصـحاب مـا ورد من الثنـاء عليهم، والـذي اتفقت عليـه جميـع مـدارس المسـلمين، وخصوصـا المدرسـتين الكبـيرتين: السنة والشيعة، باعتبارهما الركنين الكبيرين للإسلام.

ولذلك استبعدنا كل من وقع فيه الخلاف بينهم، من أمثال أولئك الصحابة المختلقين الذين وضعهم سيف بن عمـر، أو من أمثـال أولئـك الـذين وضـعت لهم الفئـة الباغية الكثير من المناقب قصد الإضرار بالمخالفين لها، أو أولئـك الصـحابة الـذي وقفـوا أيـام الفتنـة مـع الفئـة الباغية مناصرين أو مؤيدين أو مقاتلين معها، وذلك بنـاء على اعتبار ذلك ثلمة كبيرة في وفائهم بعهودهم.